الجمهوريـــــة الجزائريـــــة الديموقراطيـــــة الشعبيـــــة
وزارة التعليـــم العالي و البحث العلمي
جامعة وهران

كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية

قســـم الحضارة الإسلامية



مخطوط النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب " الجزء الأول" دراسة وتحقيق

مـــــذكرة لنيل شهـــــادة الماجســـــــــــتير

من إعـــداد الطالب:

بلحـــــاج محمد

تحت إشراف:

الأستاذ الدكتور: بن معمر محمد

السنة الجامعية:2007-2008

الإهـــــــــــــــــــــداء

إلى روح والدي

إلى والدتي الكريمة أطال الله في عمرها

أهذي ثمرة جهدي المتواضع هذا

فضلا عن أسرتي الصغيرة التي عانت معي طيلة إنجاز هذا البحث

كما لا أنسى كل من علمني طيلة مسيرتي الدراسية بكل أطوارها ومراحلها، خاصة

الأساتذة الذين استفدنا منهم الكثير

كلمة شكر وعرفان

أتقدم بالشكر الجزيل وامتناني الخالص لأستاذي المشرف الأستاذ الدكتور " محمد بن معمر " الذي لم يبخل علي بالتوجيهات والإرشادات القيمة، التي تمكنت بفضلها من تدليل وإزالة الصعوبات وخرج البحث بهذه الحلة النهائية.

كما أنوه بالمساعدة الكبيرة التي قدمها لي كل من الأستاذ الدكتور "عبد المجيد بن نعمية " الذي تلقيت منه كل المساعدة في المخبر، و على نصائحه القيمة وجميل العون والمساعدة التي قدماها لي كل من الدكتور " بوداود عبيد"، و" محمد شريف " من جامعة تيطوان – المغرب الأقصى –

ولا يفوتني أن أنوه أيضا على المساعدة التي تلقيتها من الدكتور "بوباية عبد القادر" والأستاذ " سبع قادة" الذي لم يبخل علي بمكتبته طوال الفترة النظرية، وأثناء إنجاز البحث.

و لا أنسى الإشادة بالجهد والمساعدة التي قدمها لي الأخ محمد في إخراج هذا البحث في شكله الجميل.

واشكر جميع أساتذتي الذين تتلمذت على أيديهم أثناء فترة الليسانس، وما بعد التدرج وأتمنى أن أبقى وفيا لهم، وعند حسن ظنهم، وأن أعمل بنصائحهم.

المقـــــدمة

لا شك أن عملية تحقيق المخطوطات، تعد اليوم من الدراسات الضرورية خصوصا إذا علمنا أن قسما كبيرا من تراثنا ما يزال مخطوطا.

من هنا، فإن أي تقدم تاريخي مرتبط بمدى تقدم الباحثين في التنقيب والحفر داخل التراث ، لإخراج هذه المخطوطات إلى النور، وتحقيقها تحقيقا أكاديميا حتى يتسنى الاستفادة منها.

ولقد ظلت المخطوطات المناقبية إلى وقت قريب غير موظفة بشكل لائق من قبل المؤرخين، وارتكازهم أساسا على المصادر التاريخية الصرفة، إلا أنه صار من المسلم به اليوم الانفتاح على مثل هذه النماذج، والاستعانة بها لتجاوز دائرة المعلومات الشحيحة التي توفرها المصادر الإخبارية التقليدية عن بعض القضايا الدقيقة التي يطرحها البحث التاريخي المعاصر .

لقد أصبح الآن من بين مستلزمات البحث التاريخي، تناول القضايا الجديدة من تاريخ الغرب الإسلامي، وخاصة تلك المرتبطة بالاقتصاد والمجتمع، والذهنيات مثل تطور الفئات الاجتماعية وحياتها اليومية، وعلاقاتها بالسلطة، والتصورات الإيديولوجية الخ...

من هنا تأتي كتب المناقب على رأس هذا النوع من المصادر التاريخية، التي تمدنا بمعلومات قيمة ودقيقة عن بعض القضايا العميقة للمجتمع، التي لا نجد لها ذكرا في المصادر الإخبارية.

ومخطوط النجم الثاقب يصب في هذا الاتجاه، حيث يعتبر نصا منقبيا على غاية من الأهمية، فهو يعد من بين الدعامات الرئيسة لدراسة التصوف بالمغرب والوقوف على رجاله، إلى جانب المخطوطات المنقبية الأخرى مثل كتاب " التشوف إلى رجال التصوف" لإبن الزيات التادلي، و"المقصد الشريف " لعبد الحق البادسي" " وصلحاء وادي الشلف" للمازوني.

حسب معرفتنا، وبعد استقراء لمن كتب في التراجم المنقبية للصوفية والأولياء بالنسبة للمغرب الأوسط (الجزائر)، فإننا توصلنا إلى أن أقدم من كتب في

هذا المجال هو" ابن صعد" صاحب " النجم الثاقب... " الذي هو موضوع بحثنا هذا ولا شك في ذلك أنه تأثر بمن سبقه من المشارقة، الذين كان لهم السبق الأول في هذا الفن، مثل "حلية الأولياء وبلغة الأصفياء" لأبي نعيم ، و" صفة الصفوة " لابن الجوزي، ويليهم علماء مغاربة انطلاقا من "ابن الزيات التادلي" المتوفي 617 هــ/1220م في مؤلفه الموسوم " التشوف إلى رجال التصوف ... " الذي ترجم فيه لمائتين وثمانية و سبعين متصوفا عرفهم المغرب الأقصى.

لقد احتوى مخطوط "النجم الثاقب..." على عدد كبير من الكرامات وخوارق العادات، التي ساهمت إلى حد بعيد في الإيمان بالأساطير والخرافات واللجوء إلى الأولياء لقضاء الحاجات، فضلا عن إيراد المخطوط لتفاصيل كثيرة عن شخصية إبراهيم التازي نزيل مدينة وهران، حيث أخذت ترجمته حصة الأسد منه.

كما حمل لنا هذا المخطوط في ثناياه نصوصا ومقتطفات من مصادر تعد إلى يومنا هذا في عداد التراث المفقود، نذكر منها على سبيل المثال كتاب " الرقائق " "لعبد الله بن المبارك"، و" المجالس المكية " لأبي حفص عمر الميانشي"، و" الأمثال الحديثية " لإبراهيم ابن خلاد"، ورحلة "ابن رشيد"، و جزء من "الذيل والتكملة" "لابن الأبار".

زد على ذلك، فإن المخطوط يحتوى إلى معطيات سياسية هامة بإشاراته لعلاقة هؤلاء المتصوفة بالحكام، تارة بالنصح والإرشاد، وتارة أخرى بالدعاء عليهم نحو المراسلة المطولة التي لا نجد لها أثرا إلا في هذا المخطوط بين الولي "ابن عاشر" والسلطان " أبي عنان المريني".

لقد سجل المخطوط قضايا اجتماعية، نستقرؤها من خلال هذه المناقب، تجلت معظمها في توزيع الصدقات والنذور على يد هؤلاء المتصوفة، وصور لنا في هذا الجانب مظهرا آخر تمثل في ظاهرة الاستشفاء والتداوي، كما ذكر لنا صورا من حياة هؤلاء المتصوفة اليومية، وما لهم من دور اجتماعي وسياسي رائد.

أما الجانب الحضاري العمراني، فيكاد ينعدم، إلا في ترجمة "إبراهيم التازي" وذلك بذكره لبناء الزاوية بوهران، مع تفاصيلها المرافقة لها من (المسجد والمدرسة والحمام ...)، وقصة إدخال هذا الأخير الماء للمدينة.

أما الجانب الفكري فهو محصور في العلوم النقلية من تفسير وفقه وحديث وقراءات لهؤلاء المتصوفة، والغياب شبه التام للعلوم العقلية من طب وحساب وكيمياء إلخ ... وورود الزاوية في سياق ترجمة "ابراهيم التازي" التي كانت مملوءة بالكتب العلمية و آلات الجهاد، مما يوحي أن المدينة كانت قبلة للعلماء وطلبة العلم في المجال العلوم النقلية لا العقلية، كما نقرأ في ثنايا هذه التراجم الصراع بين الفقهاء والمتصوفة، والذي كان ينتهي أحيانا إلى القتل والتصفية الجسدية.

أما فيما يخص أسباب اختيار الموضوع، فمما لا شك فيه أن كل باحث في أي تخصص من التخصصات له أسباب تدفعه إلى اختيار موضوعه و تحديده، فمن بين الأسباب التي حدت بي للتعامل مع هذا الموضوع نذكر:

أنه منذ التحاقي في الدراسات العليا بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية بجامعة وهران كانت رغبتي كبيرة في تحقيق مخطوط، نظرا للأهمية الكبيرة التي تحتوي عليها المخطوطات من مادة علمية وتاريخية،لا نجدها في غيرها من الكتب الأخرى.

تأكيد مساهمتي التي ما هي إلا سلوك و مبادرة متواضعة من بين مبادرات لا حصر لها ترمي إلى مشروع تحقيق و إحياء التراث التاريخي للمغرب الأوسط الذي يعتبر جزءا من تراث الأمة العربية و الإسلامية.

العمل لإخراج مخطوط بلغة العصر إلى النور، ذكر كثيرا في كتب التراجم والتاريخ العام لمؤلف ينتسب إلى الوطن الذي أنتمي إليه.

أما بخصوص إشكالية البعد التاريخي للمخطوط، فانه غطى فترة زمنية جد طويلة امتدت من بداية القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي إلى غاية نهاية القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، أما من ناحية أهميته التاريخية، فهو يحتوي على معلومات تاريخية هامة، مثلا في ترجمة "إبراهيم البلفيقي" حيث يورد لنا نصا طويلا عن هذه الشخصية، نقله من الجزء المفقود لكتاب "الذيل والتكملة"

"لابن عبد الملك"، و نصا آخر لجزء من رحلة "ابن رشيد" اللذان لازالا إلى حد الساعة حسب معرفتنا في حكم المفقود.

كما أن هناك مظهرا آخر من مظاهر أهمية هذا المخطوط، يتمثل في رصد تلك العلاقة التي ربطت الحكام بالمتصوفة، وأدوار هؤلاء الآخرين بالوساطات من اجل (الصلح، واستثبات الأمن ...إلخ).

كما تتجلى هذه الأهمية أيضا على مستوى الجانب الحضاري العمراني خلال ترجمته "لابراهيم التازي" نزيل وهران، حيث يصف لنا الزاوية ومرافقها، إلى جانب إدخال الماء لمدينة وهران، وهذا دون شك، مما يسعف المختصين والباحثين في تاريخ مدينة وهران بحقائق تاريخية نفيسة تساهم في إزالة الغموض عن عدة قضايا تخص المدينة.

إننا نذهب بأن "ابن صعد" لا يعتبر مؤرخا بمفهوم عصره الذي وصف فيه المؤرخ بالإخباري (الجامع لأخبار وأحداث التاريخ) لعدة اعتبارات، منها:

أن كل من ترجم له أو عرف به لم يصفه وينعته بهذه السمة (مؤرخ أو إخباري).

أن مؤلفه هذا يعتبر كتاب منقبي لطائفة من المتصوفة، تخللتها من دون شك معطيات تاريخية، وردت عارضة، إذ لم تكن هي المقصودة، وهذا شيء طبيعي في التأليف يومها، حيث لم تشهد العلوم ما يعرف بالتخصصات.

لقد إعترضتنا في إنجاز بحثنا هذا عدة مشاكل وعراقيل، نذكر منها:

أضحت عملية الحصول على مخطوطات من المشاكل العويصة عند الباحثين وهذا باعتراف أهل الاختصاص، أول محاولة قمت بها، تمثلت في حصولي على مخطوط من المكتبة الوطنية على شكل ميكروفيلم، قمت بتصويره تحت عنوان " تاريخ فتح وهران"، سرعانا ما تبين لي أنه قيد التحقيق، إلا أنني لم أتوان عن ذلك إلى أن تيسر لي الحصول على مخطوط آخر وهو "النجم الثاقب..." في جزئه الأول من الخزانة العامة بالرباط بعد مساعدة جمة من قبل الباحث عبيد بوداود، و هو

مشكور على ذلك، ولكن لم أشرع في التحقيق لغياب نسخة ثانية، الذي يعتبر شرطا أساسا في عملية التحقيق.

فلم تبق لي سوى فرصة الدراسة الاجتماعية للمخطوط، أشارا علي بها الأستاذان الفاضلان: محمد بن معمر، وعبد المجيد بن نعمية، وبالفعل شرعت في هذا العمل قرابة سبعة أشهر، دون أن أفقد الأمل في الحصول على نسخة أخرى إلى أن تحقق هذا الأمل بحصولنا على نسخة ثانية بعثها لنا الباحث المغربي محمد الشريف، أستاذ التاريخ بجامعة تطوان بالمملكة المغربية، لكن للأسف الشديد كانت نسخة الجزء الثالث لا الأول الذي نسعى لتحقيقه ، مما اضطررنا إلى الاتصال به وبعد فترة وصلتنا نسخة الجزء الأول تحت رقم 1110 د ،بالمكتبة العامة بالرباط.

من هنا توفر لنا شرط الدراسة والتحقيق، فتوقفنا عن العمل الأول ، وشرعنا في العمل الثاني.

فضلا عن ذلك، واجهتنا مشكلة شح المادة المتعلقة بالمؤلف، إذ جل المصادر التي تصفحتها تذكر نفس المعلومات عنه ولا تأتي بالجديد، فجلها مقصور على التعريف به وبمؤلفاته.

كما واجهتنا مشكلة كثرة الأعلام الواردة في المخطوط، حيث تعذر التعريف بكلها، واكتفينا بتعريف الأعلام غير المعروفة، وواجهتنا مشكلة تخريج الأحاديث النبوية الشريفة الكثيرة التي تجاوزت الخمسين حديثا وأثرا، أخذت مني جهدا ووقتا طويلين .

أما فيما يتعلق باختيار النسخ، فلقد قمنا باعتبار النسخة الأولى التي تحمل رقم 1292 "ك" لصاحبها الأصلي الكتاني، وناسخها عبد الله بن عمر الترقي الموجودة بالخزانة العامة بالرباط، كنسخة أصلية، كون خطها مغربي قديم مقارنة بخط النسخة الثانية التي تحمل رقم 1110 "د" بالمكتبة العامة بالرباط، حيث لم يكتب ناسخها، كما ننبه أننا لم نجد اختلافا بين النسختين، بل يتفقا إلى حد بعيد.

لقد استعنا في بحثنا هذا بمجموعة من المصادر و المراجع، نذكر منها:

كتاب "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، لعبد الرحمن بن خلدون،حيث استفدنا منه في دراسة المخطوط، وبالظبط " الحياة السياسية " خلال القرنين السابع والثامن الهجريين/ الثالث والرابع عشر الميلاديين.

وكتاب " بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد" ليحى ابن خلدون، استفدنا منه في الحياة السياسية خلال القرنيين السالفي الذكر..

كتاب "تاريخ بني زيان ملوك تلمسان" مقتطف من "نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ملوك تلمسان"، لمحمد بن عبد الله التنسي، الذي يعتبر تاريخا مرتبا ترتيبا كرونولوجيا، حسب السلاطين استفدنا منه للكتابة عن الحياة السياسية خلال القرن التاسع الهجري / الخامس عشر ميلادي، عصر المؤلف.

وكذا "الزركشي" تاريخ الدولتين "الحفصية والمرينية"، استفدنا منه خصوصا في كتابة الحياة السياسية والصراع الحفصي- الزياني.

الإحاطة لأخبار غرناطة، لابن الخطيب الأندلسي، استفدنا منه في الحياة الثقافية وخصوصا في تعريف ببعض العلماء اللذين عاشوا بتلمسان خلال القرن الثامن هجري/ الرابع عشر ميلادي.

كتاب البستان في ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان، لابن مريم المديوني، استفدنا منه في التعريف بمجموعة كبيرة من العلماء الذين عاشوا في تلمسان خلال القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر ميلادي، كما استخدمناه في الكتابة عن حياة المؤلف.

أما بخصوص المراجع ، فنذكر منها :

كتاب "الإستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى"، للناصري الذي استفدنا منه هو الآخر في المجال السياسي بالنسبة للصراع الزياني – المريني.

وكتاب "تاريخ الجزائر الثقافي"، لأبي القاسم سعد الله الذي يعتبر مرجعا مهما جدا استفدنا منه كثيرا في المجال الثقافي، كما وجهنا إلى مصادر ومراجع لولاه ما اهتدينا إليها.

كتاب "دراسات في الحضارة الإسلامية" لهاملتن جب، إذ أورد فيه معلومات مهمة عن ظاهرة التصوف وسلبياته خلال القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، و تراجع بلاد المغرب الأوسط في المجالات كلها.

أما المصادر الأجنبية نذكر منها هي الأخرى :

George Marçais- Complément de l’histoire de Beni Zeyon rois de Tlemcen استفدنا منه في الحياة السياسية للدولة الزيانية خلال القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، خاصة في تعليقاته عليه، لأن هذا المؤلف في الحقيقة ما هو إلا ترجمة للمصدر الأصلي " نظم الدر والعقيان" السابق الذكر

William Marçais et George Marçais- Les monuments arabes de Tlemcen.

الذي زودنا بمعلومات قيمة في الحياة الثقافية بتلمسان، وبالضبط المساجد والمدارس وقتها، وما تعلق بها من منارات ...مضيفا إليها أشهر العلماء والفقهاء والمتصوفة الذين عاشوا على أرضها.

Henri Golvin - Histoire de l’Algérie des origines a nos jours.

أسعفنا بحقائق علمية جد معتبرة عن التصوف وأطواره بالمغرب الأوسط (الجزائر) خلال تلك الفترة.

و من أجل تسهيل هذا البحث وتذليله اتبعنا الخطوات التالية :

بدأنا أولا بدراسة عامة للمخطوط تفرعت إلى: الحياة السياسية لعصر المؤلف الذي عاش فيه، بما أن الأحداث التاريخية هي سلسلة مترابطة فيما بينها،ولا يمكن فصل بعضها عن البعض ، كان علينا الرجوع يسيرا إلى الوراء، فأشرنا بنسبة قليلة إلى نهاية القرن السابع الهجري/ الثالث عشرالميلادي وبنسبة كبيرة إلى القرن الثامن

الهجري/ الرابع عشر الميلادي ، الذي شهد التدخلات المتكررة للدولتين المرينية والحفصية، في شؤون الدولة الزيانية .

وأما القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، فقد أخذ حصة الأسد أكثر من السابق لأنه المقصود بالدراسة

وعن الحياة الثقافية، فقد اتبعنا نفس الخطوات السابقة، وذلك بالرجوع إلى القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، حيث اشتهر بالعلم والعلماء، عكس سالفه المعروف بقلة المصنفات المبتكرة، واكتفائه بالشروحات والأراجيز والمختصرات.

وكذالك " ظاهرة التصوف "، بالكلام عن أسبابها وانتشارها وانعكاساتها، ثم الحديث عن حياة المؤلف، فمحتوى الكتاب الذي يضم التعريف بالمخطوط وقيمته وأهميته، السياسية والاجتماعية والفكرية والحضارية، والصراع بين الفقهاء والمتصوفة، كما أشرنا إلى وصف نسخ المخطوط، وإلى المصادر التي نقل منها المؤلف ونقلت منه وأخيرا إلى طريقة التحقيق.

أما بالنسبة للخطوات المنهجية في تحقيق المخطوط فهي :

أولا –وضع إسم كل شخصية مترجم لها في وسط الورقة بخط كبير وواضح بدل موقعه في الأصل على يمينها.

ثنيا –الإحالة بالهامش إلى أغلب المصادر والمراجع التي ترجمت له مراعين في ذلك الترتيب التاريخي لها.

ثالثا – الإشارة بالهامش إلى النقص والزيادة في المخطوط بوضعهما بين معقوفتين بالمتن.

رابعا– بالإشارة للانتقال من ورقة إلى ورقة أخرى في المخطوط بوضع رقم الورقة بين خطين مائلين.

إلا أنه نظرا لطول ترجمة "إبراهيم التازي" في المخطوط، قمنا بوضع عناوين مكتوبة بخط كبير وواضح للإشارة بأنها من وضعنا و ليس في الأصل.

خامسا- التعريف بالآيات القرآنية ، بذكر سورها وترقيم آياتها، كما عرفنا بالأحاديث النبوية بتخريجها وتحقيقها ،وكذلك التعريف بالأشعار وأصحابها وبحورها وعرفنا بأكبر عدد من الأعلام، الواردة في المتن خاصة غير المعروفة، وأشرنا إلى الأعلام التي لم نتوصل إلى ترجمتها بعد مجهود كبير في البحث عنها، وإن كانت قليلة، وعرفنا بالأماكن من مدن وقلاع،كما أشرنا إلى التعريف بالكتب الواردة في المتن بذكر أصحابها ومكان وتاريخ طبعها، ثم ذيلنا هذه الدراسة بفهارس فنية تشمل أسماء الأعلام، والقبائل، والأماكن، والآيات القرآنية، والأحاديث النبوية و الكتب الواردة في المخطوط بالمتن.

وأخيرا، فإنه بهذا العمل المتواضع نكون قد ساهمنا في إحياء التراث التاريخي لبلادنا، وأخرجنا كتابا ظل لسنوات عديدة حبيس أدراج المكتبات خارج الوطن، وتردده كثيرا في كتب التراجم و كتب التاريخ العام، واقتحمنا مجال التحقيق لأحد أجزاء مؤلف ضخم ينتسب صاحبه لوطننا، آملين أن تحقق أجزاؤه المتبقية مستقبلا ، وبالتالي يكتمل هذا العمل الكبير، وتعود منفعته بتوفره تحت أيدي المختصين و المهتمين في هذا المجال. والله ولي التوفيق.

أولا : عصر المؤلف

1 - الحياة السياسية :

لقد أدى تفكك الدولة الموحدية التي حكمت المغرب الإسلامي، وجزءا من الأندلس طيلة مائة وأربعين سنة (525 هـ / 1130 م – 668 هـ / 1269 م)[1] إلى ظهور ثلاثة كيانات سياسية وهي : الدولة الحفصية بالمغرب الأدنى، والدولة الزيانية بالمغرب الأوسط، والدولة المرينية بالمغرب الأقصى.

والذي يلاحظ أن كل دولة من هذه الدول الثلاث لم تكتف بحدودها السياسية بل راحت تدخل في صراعات عسكرية فيما بينها للسيطرة الأحادية على المنطقة كلها، والحلول محل الدولة الموحدية.

لكن رغم هذا الصراع الطويل و المرير في نفس الوقت، فإنه لم يغير شيئا بخصوص الحدود الجغرافية لكل دولة، فامست حدودا مطاطية تخضع للمد والجزر حيث لم تستقر على حالة ثابتة نظرا لنتائج تلك الصراعات العسكرية السجالية بينهما وبالتالي لم تستطع أية دولة أن تحقق هدفها المذكور سالفا.

لقد كان المتضرر الأكثر من بين تلك الدول الثلاث هي الدولة الزيانية بحكم موقعها الجغرافي الوسطي الذي جعلها بين نارين، نار الدولة الحفصية من جهة الشرق، ونار الدولة المرينية من الغرب مباشرة، فضلا عن كون أراضيها وقعت ميدانا وموضوعا لأغلب معارك وحروب تلك الصراعات.

إن البداية الأولى لهذا الصراع تمثل في الحملة الأولى التي قام بها الحفصيون على تلمسان بقيادة سلطانهم أبي زكريا [2]سنة (639 هـ/1241 م)– (640 هـ/1242 م)

---

[1] ابن قنفذ، أحمد بن الخطيب، أبو العباس – الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية – تحقيق: محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي – الدار التونسية للنشر – تونس – 1968 – ص: 108.

[2] أول سلطان حفصي، حكم (627 هـ/ 1229م – 647 هـ / 1249م)، دامت فترة حكمه عشرين سنة كاملة حقق فيها الأمن و الإستقرار و الإزدهار للدولة الحفصية، كما شن فيها هجومات عيدية على جيرانه الزيانيين والمرينيين. الزركشي، محمد بن ابراهيم، أبو عبد الله – تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية – تحقيق: محمد ماضور – المكتبة العتيقة – تونس – الطبعة الثانية – 1966– ص: (24 – 32).

حيث جهز جيشا لغزوها قارب أربعا و ستين ألفا، حاصرها أشد حصار، إلى أن فتحها في شهر صفر سنة أربعين و ستمائة [1] ملحقا بها قتلا للسكان و نهب للخيرات والمنافع و تخريبا للعمران [2].

ومن أشهر الحملات العسكرية الحفصية خلال القرن الثامن الهجري / الرابع عشر ميلادي، نذكر حملة سنة (732 هـ / 1331 م) التي كان فيها الصراع يدور حول مدينة بجاية، [3] حيث وجدت السلطة الحفصية الدعم الكامل من السلطان المريني أبي الحسن بن عثمان، [4] فنزلوا فيها قتلا وتخريبا، و توسعت أيدي النهب والسلب [5].

أما عن القرن التاسع الهجري / الخامس عشر ميلادي، فإنه يظهر جليا أن المغرب الأوسط عرف فيه تدخلات متتالية في شؤون الدولة الزيانية من جيرانها الشرقيين الذين حاصروا تلمسان عدة مرات، و التي إنتهت كلها بالقتل و التدمير والنهب، فضلا عن إستبداد صاحبها عبد الواحد [6]، الذي إستولى عليها بالقـــوة

---

[1] إبن عداري المراكشي – البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب – تحقيق: محمد الكتاني، وآخرون – دار الغرب – بيروت – طبعة 1985 – ص: 362.

ومما يلفت الانتباه أن هنا اختلافا واضحا و جليا في هذه القضية، حيث نجد أن الزركشي يؤرخها في ربيع الأول من السنة، كما أن ابن خلدون اكتفى بذكر سنة 639 هـ / 1241 م دون ذكر الشهر الذي تمت فيه عملية الغزو. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، أبو زيد – العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب والعجم والبربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر – دار الكتب العلمية – طبعة 1983 م – المجلد السادس – ص : (607 – 610). ونحن نرجح تاريخ صفر 640 هـ/1242م الذي ذكرناه بالمتن أعلاه وذلك لقرينتين:

– اعتدنا بنص المراكشي لأنه أقدمهم.

– والنص لم ينفرد به المراكشي لوحده، بل يوافقه في ذلك نص آخر، لابن أبي زرع الفاسي، علي – الدخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية – دار منصور – الرباط – طبعة 1972 – ص: 61.

[2] ابن خلدون – المصدر السابق– ص: (608 – 610).

[3] مدينة تقع على ساحل البحرين إفريقية والمغرب، كانت قاعدة ملك بني حماد. الحموي، ياقوت بن عبد الله، أبو عبد الله، معجم البلدان –دار صادر– بيروت –الطبعة الثانية – 1995 – المجلد الأول –ص: 339– 340.

[4] ثاني عشر سلاطين بن مرين، حكم من (749 هـ / 1347 م – 759 هـ / 1357 م) الناصري، أحمد بن خالد، أبو العباس – الإستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى – تحقيق: جعفر الناصري، و محمد الناصري – الدار البيضاء – 1954 – الجزء الثالث – ص: (118 – 181).

[5] ابن خلدون – المصدر السابق – مج: 7– ص: (226 – 228).

[6] سادس عشر سلاطين بني زيان، حكم في الفترة الأولى من (814 هـ / 1411 م – 827 هـ / 1424 م) عرف بالحزم و الجد، ثأر للزيانيين من المرينيين وغزاهم في عقر دارهم. التنسي، محمد بن عبد الله، أبو عبد الله – تاريخ بني زيان ملوك تلمسان – مقتطف من نظم الدر و العقيان في شرف بني زيان – تحقيق: محمود بوعياد – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – ط 1405 هـ / 1985 م – ص: (235 – 241).

ولم يدم حكمه طويلا، حيث أزاحه الحفصيون وأقاموا بدله محمد بن أبـــي تاشفين.[1]

كما نجد أن العودة المتكررة للتدخل الحفصي في شؤون الزيانيين الداخلية سنتي اثنين وثلاثين وثمانية مائة (832 هــ / 1428 م) وخمس وثلاثين وثمانية مائة (835 هــ / 1431 م)،: الغزوة الأولى تمثلت في نزع السلطان الزياني محمد اسم السلطان الحفصي أبي فارس [2] من الخطبة.

فما كان للسلطان الحفصي إلا أن قام بخلعه وإقامة عمه بدله، والثانية كانت عقب عودة السلطان المخلوع محمد بعد قتله لعمه واستيلائه على العرش الزياني مرة أخرى، هذا ما حذى بالسلطان الحفصي أبي فارس بالتوجه لتلمسان ومحاصرتها منهيا هذه المعضلة باعتقاله وقتله[3].

وأخطر حملة على الزيانيين كانت أيام السلطان الحفصي المنتصر [4] الذي غزا غزا تلمسان بجيش ضخم العدد والعدة، ومحاصرتها أياما عدة، لم ينته إلا بعد تدخل الشيخ أبي العباس أحمد بن الحسن[5]، والفقيه محمد بن أحمد بن قاسم العقباني[6]، الذين الذين ترجاه بالكف وعدم الإيداء، مقابل بيعة السلطان الزياني الجديد له، وهذا ما قبله السلطان الحفصي، ووافق عليه [7].

كما عرفت تلمسان غزوا آخر سنة سبعين وثمانمائة (870 هــ/ 1466م) من جيرانها الحفصيين بعد نكث البيعة الحفصية كل مرة، إذ تعرضت المدينة للحصار

---

[1] الزركشي – المصدر السابق – ص: 125. جمال الدين بوقلي، حسن – الإمام السنوسي وعلم التوحيد – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – بدون تاريخ الطبع – ص: 16.

[2] سابع عشر سلاطين الحفصيين، حكم (796 هــ/1393م–837 هــ/1433م)، عرفت فيها الدولة الحفصية الهدوء و الأمن داخليا، و الغزو و التوسع خارجيا. الزركشي– المصدر السابق– ص: (114 – 130).

[3] المصدر السابق– ص: (126 – 129).

[4] ثامن عشر سلطان حفصي (837 هــ / 1433 م – ؟ هــ / ؟ م) الزركشي – المصدر نفسه – ص: 131.

[5] من أكابر الأولياء بتلمسان، المنقطعين للعبادة والزهد، توفي 874 هــ / 1469 م. ابن مريم، محمد بن محمد أبو عبد الله – البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – طبعة 1986 – ص: (31 – 38).

[6] اشتهر بفقه النوازل، ولي قضاء الجماعة بتلمسان، توفي 871 هــ– 1466م – المصدر السابق– ص: 224.

[7] الزركشي – المصدر السابق– ص: 152 – 153.

بعد معارك طاحنة وشرسة بين الجيشين انتهت هذه المرة بتدخل القضاة والفقهاء لدى السلطان الحفصي طالبين العفو منه، فاشترط عليهم البيعة وفعلا تم ذلك[1].

و نفس المشهد يتكرر أيام السلطان أبي أحمد العاقل [2]، و ذلك لما أبطل ولاءه للحفصيين، معلنا استقلاله بمملكة بني زيان، فتحرك له السلطان الحفصي المنتصر بجيش جرار وضخم، حيث تمكن من استرجاعها [3]، هذا إذن عن صراعات الدولة الزيانية من جهتها الشرقية.

أما عن صراعاتها الغربية مع جيرانها المرينيين، فإنه اعتبر أشد وأخطر من االسابق، إذ مما زاده شدة وضراوة، هو تجاور ومحاذاة عمران الدولتين أكثر – من تجاوز ومحاذاة عمران الدولتين الزيانية والحفصية – من جهة، وعدم تمكن أحد الطرفين من فرض سيطرته وقبضته قبضة مطلقة ودائمة على الطرف الآخر[4]، من جهة أخرى.

لا شك أن الحملات العسكرية التي قادها المرينيون في أواخر القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، وطوال القرن الثامن الهجري / الرابع العشر ميلادي على ممتلكات وأراضي الدولة الزيانية، قد انتهت أغلبيتها – إن لم نقل كلها – باحتلال أراضي واسعة من منطقة المغرب الأوسط، فضلا عن محاصرة العاصمة مدينة تلمسان[5] مرارا [6]

ما دام الحديث عن الحملات والتدخلات المرينية في شؤون الدولة الزيانية بهدف وضع اليد عليها ليس من صميم دراستنا، فإننا سنكتفي بإلقاء نظرة مجملة جدا

---

[1] المصدر نفسه – ص: 157 – 158.

[2] السلطان العشرون لدولة بني زيان، حكم (834 هـ/1430 م– 866 هـ / 1461 م)، عرف عليه أنه صاحب الشيم الفاضلة والصفح والعفو، كما أشتهر بالسياسة الراجحة. التنسي– المصدر السابق– ص: (247 – 249).

[3] الزركشي – المصدر السابق– ص: 152 – 153.

[4] بوقلي – المصدر السابق– ص: 16.

[5] مدينتان متجاورتان، إحداهما قديمة والأخرى حديثة، فأما القديمة اسمها أقادير يسكنها الرعية، و الحديثة اسمها تافرزت، اختطها الملثمون ملوك المغرب، يسكنها الجند، وأصحاب السلطان. الحموي – المصدر السابق– مج: 2– ص: 44. اليعقوبي، أحمد بن أحمد، أبو يعقوب – فتوح البلدان – دار إحياء التراث العربي – الطبعة الأولى – 1408 هـ / 1988 م – ص: 112.

[6] عبد الله شريط، و محمد الميلي – الجزائر في مرآة التاريخ – مكتبة البعث – قسنطينة – الطبعة الأولى – 1965 – ص: (100 – 103).

عليه، وهذا بالاقتصار وتسليط الضوء على أكبر تلك الحملات، وما رافقتها من أحداث معلمية جد مهمة، كانت لها آثار وخيمة وخطيرة على العباد والمنطقة خصوصا مدينة تلمسان وما جاورها.

لقد قاد السلطان المريني يوسف بن يعقوب [1] الذي تولى الحكم طيلة (635 هــ/ 1237م) –706 هــ/ 1305م)، لوحده خمس حملات عسكرية ضد الدولة الزيانية خلال سنوات متوالية في الغالب: (689 هــ/1275م)، (695 هــ/1281م) (696 هــ/1289 م)، (697 هــ/1283م)، (698 هــ/1284م)[2] انتهت جلها بمحاصرة تلمسان وتخريبها.

ففي حملته الأولى التي كانت سنة 689 هــ/ 1275م – كما سبق وأن ذكرنا – ضرب حصارا شديدا وقويا على مدينة تلمسان قارب الأربعين يوما، فأحاط بأسوارها من كل جهاتها، مقيما بمحاذاة تلك الأسوار آلات الحرب، بما فيها المجانيق [3].

لقد كان هذا السلطان في كل مرة يحاصرها، إلا ويقوم بأزهاق الأرواح وتدمير البنايات والعمران، وتخريب القرى والأرياف، وإتلاف الزروع والأشجار وقتل الحيوانات ... وفي الأخير، وحين امتنعت عليه ولم يفلح – بعد كل هذه الإجراءات والتدابير التي اتخذها – في اقتحامها انكفأ منها وولى راجعا إلى المغرب الأقصى [4].

وفي القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، كانت الحروب أكثر شراسة وأشد ضراوة من السابق، ويكفي وصفه بقرن الحروب بين الدولتين، حيث شهد حملات عسكرية متتالية ومستمرة، لم تعرف منطقة المغرب الأوسط مثيلا لها

---

[1] تاسع سلاطين بني مرين، حكم (685 هــ / 1284 م – 706 هــ / 1305 م)، كان شديد الحزم والعزم تعتبر فترة حكمه من أروع فترات حكم الدولة المرينية، شهدت الاستقرار والأمن و الهجوم والتوسعات. الناصري – المصدر السابق– ص: (66 – 85).
[2] ابن خلدون– المصدر السابق– مج: 7– ص: (194 – 196). الناصري– المصدر السابق– ص: (96 – 80).
[3] ابن خلدون – المصدر السابق – ص: 196.
[4] الناصري – المصدر السابق – ص: 69.

من قبل. من أهم وأكبر حملات ذلك القرن، حملة كل من السلطان المريني أبي الحسن بن عثمان التي كانت في أواسط سنة (735 هـ / 1334 م)، وابنه أبي عنان [1]

فيما يخص الحملة الأولى، ألا وهي حملة السلطان المريني أبي الحسن على دولة الزيانيين بالمغرب الأوسط، فقد أعد لها هذا الأخير جيشا مجهزا جرارا، تمكن بواسطته حصار مدينة تلمسان مدة سنتين تقريبا، مستعملا أثناءه كل الوسائل والطرق بهدف الاستحواذ عليها، إلى أن تمكن في الأخير من تحقيق ذلك، فكان أن اقتحمها سنة 737 هـ / 1336 م، وقتل سلطانها أبي تاشفين،[2] بقطع رأسه[3].

لقد كان من تداعيات ذلك، أن تكرر الوضع الحزين والمزري البائس للمدينة هذا الوضع الذي يصف لنا "ابن خلدون" بعض صوره بأبلغ تعبير وأوقعه في النفس بقوله: "وانطلقت أيدي النهب على البلد، فلحقت الكثير من أهله المعرة في أموالهم وحرمهم"[4].

أما في الحملة الثانية، فلقد استطاع السلطان المريني "أبو عنان فارس" فرض سيطرته وقبضته الكلية على منطقة المغرب الأوسط [5]، لكن بوفاة السلطان المريني"أبي عنان"، فإن دولة بني مرين بالمغرب الأقصى ستدخل مرحلة الانحطاط والضعف والتراجع، لعدة أسباب، من أهمها ضعف حكامها في هذه المرحلة فهذه الوضعية المتدهورة للدولة المرينية يومها، لا شك أنها ساعدت الزيانيين

---

[1] رابع عشر سلاطين بني مرين، حكم (749 هـ/ 1348م– 759 هـ/1358م)، لم تدم فترة حكمه سوى عشرة سنوات، إلا أنه سيطر على الأمور الداخلية ووفر الأمن والاستقرار وخارجيا غزى دولة الزيانيين – المصدر السابق– ص: (181 – 204).

[2] رابع سلاطين بني زيان، حكم (718هـ/1317م – 737هـ/1336م)، تعتبر فترة حكمه من أروع فترات حكم الدولة الزيانية، بالتنعم بالإستقرار السياسي، والبناء والتشييد، وحب العلم والعلماء على المستوى الحضاري والفكري. التنسي – المصدر السابق– ص: (139 – 150).

[3] ابن خلدون – المصدر السابق– ص: (532 – 536). يحيى بن خلدون – بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد – تحقيق: عبد الحميد حاجيات – المكتبة الوطنية – الجزائر – 1400 هـ / 1980 م– الجزء الأول – ص: (204 – 207). الناصري – المصدر السابق– ص: (123 – 126).

[4] الناصري – المصدر السابق– ص: 128.

[5] المصدر نفسه – ص: 182.

لاستئناف العمل من جديد من أجل إحياء دولتهم واستعادة قوتها التي تمتعت بها عقب تكوينها مباشرة.

إن هذا الوضع المريني السلبي سوف لا يتركه السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني[1] يضيع سدى، ببذل الجهد والاستمرار على مواصلة العمل من غير كلل ولا ملل، باعثا روح الحياة من جديد في الدولة الزيانية، رافعا مكانتها في جميع النواحي: السياسية والاقتصادية والاجتماعية، واقفا كسد منيع في وجه أطماع خصميه التقليديين (الدولة الحفصية والمرينية)، ومحبطا كل الحملات والمعارك[2] التي كانت من قبلهما.

هذا إذا على المستوى الخارجي، أما على المستوى الداخلي، فلقد تميز المغرب الأوسط خلال هذا القرن بكثرة الصراعات ومظاهر التصادم والاقتتال بين أفراد الأسرة الزيانية الطامعة في منصب السلطة والحكم، سنكتفي بذكر مثالين لهذه الصراعات: أولها خروج أبي محمد عبد الله وثورته على أخيه السلطان أبي زيان محمد الثاني [3] سنة 801 هـ/1397م، منتهية في آخر المطاف بنجاح هذا الأخير وتوليه السلطة [4].

وثانيها ثورة محمد بن الحمراء [5] الزياني على السلطان أبي مالك عبد الواحد[6] سنة 827 هـ/1424م، وتوليه الحكم بدله حتى سنة 831 هـ/1427م، ثم لم يلبث أن أزيح من قبل الأول بعد نجاحه في استرجاع حكمه بنفس السنة، لكن ابن

---

[1] سابع سلاطين بني زيان، حكم (760هـ/ 1359م–791هـ/ 1388م) التنسي– المصدر السابق– ص: (157–181).

[2] عن هذه الأحداث راجع، ابن خلدون– ج: 7– ص: 255 وما بعدها. التنسي– المصدر السابق– ص: (157 – 180) – حاجيات عبد الحميد، أبو حمو موسى الزناتي حياته وآثاره – الشركة الوطنية للنشر وللتوزيع – الطبعة الثانية – 1982 – ص: (152– 154).

[3] الثاني عشر من سلاطين بني زيان، حكم (801 هـ/1398م– 804 هـ/1401 م)، اشتهر بالخصال المرضية مع رعيته، قاد الجيوش بنفسه. التنسي – المصدر السابق– ص : (228 – 230).

[4] التنسي – المصدر السابق– ص: (241 – 246).

[5] سادس عشر سلاطين بني زيان، حكم (827 هـ/1424م–831 هـ/1427 م)، عرف بالشهامة والبسالة وحسن التدبير في السياسة. التنسي – المصدر السابق– ص: (235– 241).

[6] سابع عشر سلاطين بني زيان، حكم (831 هـ/ 1427 م– 833 هـ/1429م)، عاد إلى الحكم بدعم من الحفصيين. التنسي – المصدر السابق – ص : (241 – 244).

الحمراء من جديد استطاع إقصاءه عن الحكم نهائيا وهذا بقتله سنة 833 هـ/ 1429م [1].

وهكذا فإننا نخلص من كل ذلك: أن الحملات العسكرية والتدخلات المستمرة من قبل الدولة الحفصية على الزيانيين بالمغرب الأوسط، كانت لهدفين: خدمة مصلحة الدولة الحفصية الخاصة والمتمثلة في إبعاد الزيانيين عن موالاتهم للمرينيين كي لا يتحدوا (المرينيون والزيانيون) ضدها، فضلا عن جعل منطقة المغرب الأوسط منطقة عازلة تبعد المرينيين عن مجرد التفكير في إملاك الدولة الحفصية بالمغرب الأدنى.

أما عن نتائج هذه الحملات العسكرية على المغرب الأوسط، سواء كانت حفصية أم مرينية، فيمكن القول بأنها كانت وخيمة على البلاد والعباد، حيث خلفت خسائر في الأرواح والعمران، ونتج عنها النهب والتخريب، وحرق وإتلاف المزروعات والمنتوجات، مما سبب للرعية الخوف والرعب من جهة، والبؤس والفقر و الحرمان من جهة أخرى.

[1] المصدر نفسه.

2 – الحـــيـــاة الـــثـــقـــافـــيـــة:

إذا كان القرن التّاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي قد عرف أحداثا سياسيّة متكرّرة و خطيرة جدا، لم تكن في صالح المغرب الأوسط، حيث تمثّلت في هجمات الدّولتين الحفصيّة والمرينيّة على الدّولة الزّيانية.

فإن ذلك لم يمنع من وجود حياة فكريّة زاهرة معاكسة تماما للوضع السّياسي وهذا شيء طبيعي، لأن الضعف والتّدهور في الجانب السّياسي أو العسكري أسرع منه إلى الجانب الثقافي، بمعنى أنّ الحياة الثقافيّة بطيئة الموت عكس الحياة السّياسية والعسكريّة الكثيرة التقلبات.

إن الحياة الفكريّة في القرن التّاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي قد عرفت نشاطا فكريا كبيرا جاء امتدادا للقرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي والذي احتل مكانة عالية لما شهده من تنوع علوم وكثرة العلماء الكبار،غطت شهرتهم العالم الإسلامي كله، نظرا لإنجازاتهم ومؤلفاتهم الضّخمة في مختلف العلوم.

من هنا يتوجّب علينا إلقاء نظرة وجيزة على أشهر علماء القرن الثامن/ الرابع عشر الميلادي ومنجزاتهم العلميّة، لما له من أهميّة و تأثير على القرن التّاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي الذي هو موضوع بحثنا.

ومن أشهر علماء القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي نذكر شاعر تلمسان الكبير ابن الخميس، كان زاهدا ذي انقباض وأدب وهمّة، بعيدا عن الرّياء والهوادة، عالما بالمعارف القديمة طبعة الوقت في الشّعر، وفحل الألوان في النّظم[1] أشرف على ديوان الإنشاء أيّام السّلطـــان أبي سعيد الأوّل [2]، ثـــمّ ارتحل إلـــى

1 ابن الخطيب، محمد بن عبد الله، أبو عبد الله – الإحاطة في أخبار غرناطة – دار الكتب العلميّة – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى 1424هـ / 2003 م ـ المجلد الثاني – ص : 377.
2 فترة حكمه من (681 هــ– 1283م) إلى سنة (703 هــ– 1303 م)، استمر حكمه أربع و عشرين سنة كاملة كان حسن التدبير و التسيير محبا للعلم و العلماء. التنسي – المصدر السابق– ص : (129–131).

غرناطة[1] لخدمة الوزير ابن الحكيم، [2] وتوفي بها سنة (708هـ/ 1307)[3].

كما أنجب القرن الثامن الهجريّ/ الرابع عشر الميلادي، عالما كبيرا وهو أبو عبد الله محمد إبراهيم الآبلي[4]، التلمساني المولد، والأندلسيّ الأصل، يعد من العلماء الذين اشتهروا بالفنون النقلية وبرع فيها، تتلمذ على جماعة من العلماء منهم مخلوف المغيلي، كان ميالا ومحبّا للتعليم، استدعاه السّلطان أبو الحسن المريني من فاس[5] ونظمه في طبقات العلماء، فانعكف على التّعليم والتّدريس، توفي سنة (757هـ / 1355م).

ومنهم العلاّمة لسان الدّين ابن الخطيب[6] الذي اشتهر بكنية ذي الوزارتين لجمعه بين الوزارة والكتابة، نشأ بغرناطة فتعلّم القرآن والتفسير واللّغة،وهو صاحب مؤلفات كثيرة أشهرها، " الإحاطة في أخبار غرناطة "، " أعمال الأعلام... " " اللّمحة البدريّة... " مات مقتولا بفاس سنة 776هـ/1374[7].

---

1 غرناطة : "رمانة" بلسان أعجمي أندلسي، وهي من أقدم كورالبيرا من أعمال الأندلس، محدثة من أيام الثوار الأندلسيين.بنا أسوارها حبوس وهي اليوم مدينة كبيرة لحقت بأمصار الأندلس. الحموي – المصدر السابق– ص195. الحميري.محمد بن عبد المنعم، كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق : إحسان عباس– مكتبة لبنان– الطبعة الثانية – 1984م – ص : 45.

2 يكنّى بابن عبد الله، اشبيلي الأصل، ألحقه السلطان أبو عبد الله محمد بن نصر بكتّابه، و قلده الوزارة و الكتابة ولي عهده المخلوع من بلده أبو عبد الله و صار صاحب أمره. إبن الخطيب – المصدر السابق – مج : 2– ص: 310.

3 المقري احمد بن محمد التلمساني– نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب – تحقيق : إحسان عباس – الطبعة الأولى 1415هـ/1995 م – الجزء التاسع – ص: (334 – 351).

4 ابن مريم – المصدر السابق– ص: (214 – 218). راجع ترجمته عند التنبكتي، احمد بابا – نيل الابتهاج بتطريز الديباج –منشورات الدعوة الإسلامية – طرابلس– الطبعة الأولى – 1989م – ص : 411 – 412. الحفناوي، محمد بن إبراهيم الدسّي– تعريف الخلف برجال السلف – مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الثانية – القسم الأول – ص:16. ابن الفرضي، احمد المكناسي – جذوة الاقتباس في كل من حل من مدينة فاس– دار المنصور– الرباط – 1973م – القسم الأول – ص: 304 – 305

5مدينتان بالمغرب الأقصى، جنوبية تسمى عدوة الأندلسيين، أسست سنة 193هـ/808م، فاس قطب المغرب الأقصى، أسسها إدريس الأكبر – بينها و بين تلمسان عشرة أيام– الادريسي، محمد بن محمد أبو عبد الله، تاريخ المغرب العربي– من كتاب نزهة المشتاق واختراق الآفاق– تحقيق : محمد حاج صادق – بدون تاريخ الطبع – ص: 54. الحموي المصدر السابق– مج: 4 – ص: 230. الحميري– المصدر السابق– ص : 434–435. التنسي، محمد بن عبد الله – تاريخ دولة الادارسة من كتاب نظم الدر و العقيان– تحقيق : عبد الحميد حاجيات– المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر– 1984 م – ص: 65.

6 ابن الخطيب – المصدر السابق– مج : 1 – ص: (69 – 113).

7 المصدر نفسه – ص: (70 – 76).

ولا يفوتنا أن نشير إلى أحد العلماء الذين أنجبتهم تلمسان ونالوا شهرة عظيمة، وهو ابن مرزوق الخطيب[1]، نشأ بتلمسان وأخذ العلم بها عن الآبليّ والمجاصي، ثمّ ارتحل إلى المشرق مع والده سنة 718هـ/1317م، حظي عند السّلطان أبي الحسن المريني بتقدير كبير فأعلى مرتبته، توفّي سنة 781هـ/1379م[2].

لقد عرف القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي أحد العلماء المبرزين في الكتابة، امتاز بثقافة أدبية واسعة، وهو أبو زكرياء يحيى بن خلدون أخ عبد الرّحمان بن خلدون، ولد بتونس سنة 734هـ/1333م، ونشأ بها، وتلقى العلم على علمائها، واستفاد كثيرا من علماء مجلس أبي الحسن المريني، انصرف إلى خدمة الدّولة المرينية بفاس، كما التحق ببلاط أبي حمو الثاني[3]، حيث عيّن كاتبا للسّلطان الزياني، ألف كتاب " بغية الروّاد في ذكر الملوك من بني عبد الواد".توفّي سنة 780هـ/1378م [4].

وأخوه عبد الرّحمن بن خلدون، [5] الغنيّ عن كلّ تعريف، صاحب مؤلّف " كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر" الذي احتوى أحداث سياسية، واجتماعية، واقتصادية هامّة عن العالم الإسلامي بصفة عامّة والمغرب بصفة خاصّة، كما يعتبر هذا المؤلّف التاريخي الضّخم من المصادر البالغة الأهمّية، والقيّمة بالمعلومات والحقائق في تاريخ المنطقة، وخصوصا القبائل البربريّة من هنا صارا لا يستغني عنه أي باحث في هذا المجال.

---

[1] راجع ترجمته في : يحيى بن خلدون – المصدر السابق– ج: 1 – ص : 145. المقري – المصدر السابق– ج: 7– ص: 192 وما بعدها. التنبكتي – المصدر السابق– ص: (450–455).

[2] المقري – المصدر السابق– ص: 192 و ما يليها.

[3] تولى الحكم من سنة (760هـ/1358م) – (791هـ/1388م). التنسي – المصدر السابق– ص: (157–183).

[4] المصدر السابق– ص : (250–252).

[5] ترجمته عند المقري – المصدر السابق– ج: 7 – ص : (306–326). التنبكتي – المصدر السابق– ص: (250–254).

كما شهد القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، صنفين من العلماء، صنف جمع بين علمي الدّين والدّنيا، وآخر اضطلع بعلوم الدّين النّظريّة ومتعلّقاته.

أمّا الصنف الأوّل، فقد مثّلته وجوه علميّة بارزة كان لها الحظّ الأوفر في العطاء والإنتاج العلمي، حيث خلّفت لنا هذه مؤلّفات قيّمة لا زالت تعتبر إلى يومنا هذا مراجع رئيسة وأساس لكلّ دارس يروم البحث في تراث المنطقة وقتها نذكر من بينها:

❖ سعيد العقباني:

زاول علوم الدّين التي كانت اختصاصه الأوّل من تفسير، وأصول الـفـقـه وفقه وفـرائـض،كما اضطلع ببعض من علوم الدّنيا كالـمنطـق والجبر، لأجل ذلك كلّه أهّل لتولّي خطّة القضاء عبر مدن مختلفة بالمغرب مدّة طويلة تفوق الأربعين سنة إلى أن توفّي سنة 811هـ / 1408م [1].

❖ محمد الحباك:

العالم الذي غلبت عليه علوم الدّنيا، إذ فضلا عن اهتمامه بعلم الفرائض والمواريث، إلا أنّه ركّز كثيرا على علوم الفلك، وخصوصا علوم الإسطرلاب حيث تمكّن فيه وأجاد، وتوفّى سنة 857هـ/1463م [2].

❖ محمد المشدالي، أبو الفضل:

هو الآخر أرفق علوم الدّين الصرفة من تفسير، وحديث، وأصول الفقه علمي المواريث والحساب، توفى سنة 865هـ/1461م[3].

أمّا الصّنف الثاني والذي اختص أصحابه بعلوم الدين ومتعلّقاتها من عقيدة وتفسير وأصول وحديث وفقه ولغة وتاريخ فمنهم:

❖ محمد بن مرزوق الحفيد:

---

1 إبن مريم – المصدر السابق– ص: 106– 107. أنظر كذلك التنبكتي – ص: 365. الحفناوي. ج: 85/1.
2 إبن مريم – المصدر نفسه– ص: (219– 220).
3 التنبكتي– المصدر السابق– ص: (330–331).

إهتمّ بأصول الفقه، والفقه، والتّفسير، والحديث، كما تفوّق في النّحو واللّغة والبيان، توقّي بتلمسان سنة 842هـ/1438م [1].

❖ يحيى المازوني :

فقيه بارع، صاحب المؤلّف الضّخم "الدّرر المكنونة في نوازل مازونة " جمع فيه فتاوى المتأخّرين من أهل تونس، وبجاية، والجزائر، وتلمسان، توقّي سنة 875هـ/1431م [2].

❖ أحمد الونشريسي:

من الفقهاء الكبار، حامل لواء المذهب على رأس المائة التّاسعة الهجرية / الخامسة عشر الميلادية، من مصنّفاته "المعيار المعرب عن فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب".توفي سنة 914هـ/1508م [3].

كما زار تلمسان عاصمة بني زيان خلال القرن التّاسع/ الخامس عشر الميلادي، مجموعة من العلماء المشهورين، إمّا طلبا لفنون العلم، أو استزادة لها هذا ما يدلّ على انتشار العلوم في شتّى الميادين، وبتألّق و إشعاع هذه المدينة يومها حتّى صارت قبلة تشدّ إليها رحال طلبة العلم والعلماء من كلّ جهة، لينهلوا من هذه العلوم المتنوّعة التّخصّصات والميادين التي تزخر بها مدينة تلمسان.

من الشّيوخ و العلماء المقتدرين الذين تولّوا مهمّة التّدريس وإعطاء دروس العلم، فكانوا أصحاب اليد الطولى فيها، الإمام المازري المزكّى من قبل الشّيخ عبد السّلام [4]، ما أدراك ما هذا الأخير علما وعملا، وخلفه في ذات المهمّة بنفس البذل

---

1 إبن مريم – المصدر السابق– ص: (201-214).

2 التنبكتي – المصدر السابق– ص: 393.

3 إبن مريم – المصدر نفسه – ص: 53.

4 أبو عبد الله محمد بن عبد السلام، تونسي: من العلماء المتبحرين في العلون العقلية و النقلية، فقيه وقاضي أخذ عن جماعة من العلماء كالقاضي ابن حيدرة، وابن عرفة... توفي سنة 749هـ/1347م. التنبكتي– المصدر السابق – ص :406.

والجدّ تلميذه عبد الله الشّريف،[1] يكفي حجّة على هذه المكانة أنّهما نالا عن جدارة واستحقاق رتبة الاجتهاد[2].

ولعلّ من أشهر العلماء الذين سافروا إلى تلمسان تثبيتا وترسيخا لعلوم موجودة، وتحصيلا لأخرى مفقودة، عليّ بن محمّد القلصادي، مسقط رأسه الأندلس عرف بتجواله و تنقله عبر مختلف أنحاء المغرب والمشرق، إلى أن إستقرّ به المطاف أخيرا بتلمسان، فتتلمذ على شيوخها المقتدرين كابي عبد الله السّوسي، وأبي عبد الله الملالي[3].

والقلصادي له مؤلّفات جليلة وعديدة في علوم الدّنيا منها " كشف الحجاب عن قانون الحساب "، وكتاب " في التنجيم شرحا على رجز بن المقرع "، فهذا إن دلّ على شيء، فإنّما يدلّ على إسهام ودور هذه المدرسة في تكوين هذه الشّخصيّة العلميّة، و ما أثمرته من إنتاج و تأليف.

وكذا العالم المصريّ عبد الباسط بن خليل، المشهور في علوم الدّنيا، والذي يعتبر من الشّخصيّات اللامعة في مجال علم الطب، إذ لولا مدينة تلمسان – ما عرف هذه المكانة – التي زارها و نزل بها مدّة، واخذ هذا العلم عن شيخها محمد بن عليّ بن قشّوش حيث قال عنه معجبا به: " لا رأيت كمثله في مهارته في هذا العلم (أي علم الطّب)،[4] بل لم يغادرها إلاّ بعد أن أخذ عنه علوم أخرى كعلم الوقف وعلوم قديمة إلى أن توّجت هذه الملازمة له بان أجازه في كلّ ذلك [5].

هذا عن العلم والعلماء بمدرسة تلمسان، فماذا عن طرقه وأساليبه ومراحل التّعليم التي كانت تحصّل بها تلك العلوم التّحليليّة المتنوّعة التّخصّصات ؟

---

[1] فقيه تولّى إمامة مسجد الخراطين، من شيوخه أبي زيد، ومن تلامذته القلصادي، له عدة مؤلفات منها: اختصاره لشرح التسهيل لأبي حيان "، توفي سنة 847هـ/1443م. القلصادي، علي بن محمد، أبو الحسن- تمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب- (رحلة القلصادي) – تحقيق محمد أبو الأجفان – الشركة التونسية للتوزيع – 1978 – ص: 99-100.

[2] محمد الطمار – الروابط الثقافية في الجزائر والخارج- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – طبعة 1983 م – ص: 228 – 229

[3] ابن مريم – المصدر السابق- ص: (141-143). المقري – المصدر السابق- ج: 3 – ص: (341 – 430).

[4] عبد الرحمن الجيلالي – تاريخ الجزائر العام – دار الغرب الإسلامي – الجزائر- الطبعة الأولى – 1998م – الجزء الثاني- ص: 250

[5] المصدر نفسه- ص: 250.

فيما يخصّ طريقة التّعليم، وتلقين العلوم للطّلبة، فيبدو أنّها كانت أفضل حالا في العاصمة الزّيانيّة عنها في مدن أخرى مغربيّة، فلم تكن تلقّن لطلاّب العلم بطريقة جزافيّة ومن غير مرحليّة، وإنّما كانت بالتدرّج من الأدنى إلى الأعلى، ومراعاة لمدى قوّة وإدراك و فهم هؤلاء الطّلبة [1].

لنعطي نظرة ولو مختصرة عن مرحليّة هذا التّعليم التي تبدأ من الأدنى إلى الأعلى، أو من المبسّط إلى المعقّد.

المرحلة الأولى، فلا يتعدّى التّعليم فيها معرفة القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم في المساجد، أمّا في المرحلة الثّانية يشرعون في التّركيز على تعلّم مفاتيح الدّين الإسلامي من بلاغة وصرف وأدب، فينالون من هذه المفاتيح بضاعة وافرة تؤهّلهم إلى مستوى ثقافي لائق[2].

لا شك أنّهم ينتقلون بعد ذلك إلى مرحلة تعليمية أكثر تعقيدا حيث العمق والتّركيز على علوم الدّين و الدّنيا.

أمّا فيما يخـص المدارس ذاتها، فلقد شهدت هذه المدينة العلمـيّة خـمس مـدارس والأولى هـي التـي أمـر السّلطـان أبو حمو موسـى الأول[3] ببنائها [4]، والثانية هي المدرسة التّاشفينية[5]، والمدرسة الثالثة بقرية العباد[1] والرّابعة مدرسة سيدي الحلوي والخامسة هي اليعقوبيّة[2].

---

1 محمد رمضان شاوش - باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر – طبعة 1995 م – ص : 404.

2 حاجيات عبد الحميد– الحياة الفكرية في عهد بني زيان – الأصالة – 1975م – العدد 26– ص: 138.

3 فترة حكمه من (707هـ/1307م– 718هـ/1318م)، شهدت دولته الاستقرار والأمن بعد حصار طويل عين للتدريس بها الأخوين الفقيهان أبو زيد عبد الرحمن، وأبو عيسى– التنسي– المصدر السابق– ص: (132–139).

4 لم يذكر التنسي إسمها ولكن ذكر أنه بناها للفقيهان العالمان السالفان الذكر– ص: 139. كما أشار محقق نظم الدر والعقيان محمود بوعياد أنه لم يبق أي أثر اليوم لهذه المدرسة، إلا المسجد الذي كان بجانبها، وهو اليوم معروف في تلمسات باسم " جامع سيدي أولاد اليمام ". المصدر نفسه – ص : 139 نقلا من الهامش رقم 157.

5 كانت بإنشاء أبو تاشفين الأول (718هـ/1316م–737هـ/1365م)، فكانت تحفة فنية رائعة

WILLIAM MARCAIS et GEORGES MARCAIS-Les Monument Arabes de Tlemcen Ancienne. Librairie THORIN et B.fils Paris. P21.

راجع عنها كذلك:

J.J.L Bargés-Tlemcen ancienne capitale du royaume de ce nom d'ouvriers d'un voyage. P 331-332.

وكانت على غرار المدارس النّظاميّة التي بالمشرق – المهد الأوّل لظهور العالم الإسلامي –خلال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، حيث لعبت كما يقول المؤرخ الفرنسي " جوليان " دورا كبيرا في تكوين وتخريج العلماء في شتّى التّخصّصات و المجالات يومها [3].

ويبدو أنّ القرن التّاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، شهد بناء مدرسة واحدة فقط وهي مدرسة سيدي الحسن بن مخلوف الرّاشديّ الشّهير بأبركان، وتكون من إنشاء السّلطان أحمد العاقل، و موقعها قرب مسجد سيدي الحسن المذكور خارج باب زير، وقد انطمست آثارها تماما [4].

كما أنّ القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر ميلادي عرف موجة نزوح قصري كبيرة من الأندلسيّين باتجاه المغرب، خصوصا الأقصى والأوسط – بحكم قرب المسافة بين هذه المناطق – بسبب تغلّب الأسبان على المسلمين في الأندلس والاشتداد في ملاحقتهم وطردهم منها، والتي عادت على المنطقة بالفـــائدة، حيث نجد من هؤلاء القّارين العلماء والأدباء والشّعراء والحرفيّين ... هذا ما سيثري الحركة العلمية بالمغرب، خاصّة أن هؤلاء الآخرين وجدوا حفاوة واستقبالا حارا من طرف الحكّام و العلماء والعامّة[5].

---

1 بالنسبة لمدرسة العباد و سيدي الحلوي، فلقد ذكر عبد الحميد حاجيات في مجلة الحياة الفكرية بتلمسان السابقة الذكر ص: 138، أن الأولى كانت من بناء السلطان المريني أبو الحسن سنة 748هـ/1346م، والثانية كانت من بناء ابنه أبي العنان سنة 754 هـ، ولكننا لم نتوصل إلى المصدر الذي استقى منه ذلك، رغم رجوعنا إلى المصادر المطبوعة المختصة في مثل هذه المسائل كالعبر والبغية ونظم الدر والعقيان

2 أسسها السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني (760هـ–1358م/791هـ–1388م)، عبد الحميد حاجيات أبو موسى الزناتي– حياته وآثاره– الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الطبعة الثانية – 1982م– ص: (152–155).

3 C.ANDRE JULIEN– Histoire de l'Afrique du Nord – PAYOT – Paris –1935 – p 439

4 رمضان شاوش – المصدر السابق– ص : 399.

5 محمد طالبي – الهجرة الأندلسية على إفريقيا أيام الحفصيين – الأصالة – 1975م – العدد 26 –ص: (46 – 78).

3 – ظـــــاهــرة الـــــتــصــوف :

تطــور التــصوف بالــمــغرب الإســـلامي :

لقد وجد التصوف طريقه إلى المغرب الأوسط، وكان نخبويا بمعنى أنّه لا يخرج عن دائرة المثقفين، إلاّ انّه بمطلع القرن السّابع الهجري/ الثاني عشر الميلادي تحديدا، عرف تطوّرا بظهور الجماعات الصّوفيّة، هذا ما يتّضح من خلال انتشار الزّوايا، التي اعتبرت أماكن لاستقبال عابري السّبيل، وإطعام المحتاجين، وكذلك

مكانا مفضّلا للانقطاع إلى العبادة [1]. ومع القرن التّاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، تقريبا أصبحت الزّاوية تعني طريقة صوفية معيّنة لها شيخ تنسب إليه ولها أذكار وأوراد خاصة بها[2].

وإذا كان التصوّف قد بدا محتشما، واقتصر على عدد قليل من الأفراد فإنّه سرعان ما انتشر انتشارا منقطع النظير، وغزا أغلب شرائح المجتمع في العهد الزّياني[3].

بالعودة إلى كتاب "البستان"، حيث يعتبر من أقدم وأهمّ المصادر المتخصّصة في هذا الباب فيما يخصّ المغرب الأوسط، وتصفّح قوائم المتصوّفة المترجم لهم خلال القرون الثلاثة الهجرية: السّابع والثّامن والتاسع الهجري، الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر الميلادي، يتبيّن لنا بانّ التصوّف صار ظاهرة عامّة بتوغّله في معظم فئات المجتمع خلال القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، وقرينة ذلك أنّ ابن مريم صاحب المؤلّف المذكور ترجم في القرن السابع الهجري/ الثاني عشر الميلادي لسبعة من المتصوّفة فقط ممّا يدلّ على بداية مثل هذه الظّاهرة.

ولثمانية عشرة متصوّفا خلال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي. هذا كعلامة على انتشار هذه الظّاهرة، أمّا القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الهجري فلقد ترجم لأربعة وأربعين متصوّفا، إذ يعتبر هذا كمعيار ومقياس على تفشّيها في غالبيّة المجتمع.

ولعلّ أشهر متصوّفة هذا القرن الأخير، إبراهيم المصمودي [4] المتوفي سنة 804هـ/1405 م، وأبي عبد الله محمد بن عمر الهواري [5] المتوفي سنة 843

---

[1] إبن مرزوق التلمساني، محمد – المسند الصحيح في مآثر ومحاسن مولانا ابي الحسن – تحقيق: ماريا خيسوس بيفيرا– الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر– 1981 م – ص : (411–413).

[2] بوداوود عبيد – ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين – دار الغرب للنشر والتوزيع – 2003 م – ص: 82.

3 محمود بوعياد – المصدر السابق– ص: 49.

[4] ستلي ترجمته في المخطوط.

5 يكنى بأبي عبد الله، كان كثير السّياحة، اشتهر بالعلم والعمل، أخذ العلم عن جمهرة من العلماء كموسى العبدوسي، وعبد الرحمن الوغليسي وغيرهم ... من مؤلفاته " التنبيه "، استقر أخيرا بوهران، وتوفي بها سنة 843هــ/1439م. ابن مريم – المصدر السابق– ص : (228–236).

هـ/1438م، وإبراهيم التّازي[1] المتوفي سنة866هـ /1461م، وأحمد بن زاغو[2]، وعبد الرحمن الثعالبي،[3] وغيــرهم كثير[4]..

لقد اعتبر دعاة السّلفيّة عقبة كبرى واجهها تيّار التصوّف بالمغرب، من هنا راح هذا الأخير يدخل في صراع مع هؤلاء الدّعاة.

إنّ تاريخ توسع و انتشار التيار السّلفي بالمشرق الإسلامي- مهده الأوّل، كان بفضل علماء كبار بدءا من الإمام أحمد بن حنبل [5]، ثمّ الشيخ أحمد عبد الحليم بن تيمية الحرّاني [6]، و تلميذه بن القيم الجوزية [7].

وإنتقل هذا التيار إلى المغرب خلال هذه الفترة التّاريخية المدروسة، بحكم وحدة العالم الإسـلامي أوّلا، وتأثّر المغرب بكلّ ما يجري في المشرق للتفوّق الحضاري الّذي تمتّع به هذا الأخير ثانيا.

وقد تزعّم التّيار السّلفي والدّعوة لها بتلمسان الفقيه عليّ بن محمّد بن عبد الحقّ الزّرويلي [8].

---

1 ستلي ترجمته مطولة في المخطوط.

2 إهتم بالتفسير والحديث والأصول والفرائض والمنطق، قال فيه تلميذه القلصادي :" كانت له قدم راسخة في التصوف " توفي سنة 845هــ/1441م. المصدر نفسه – ص: (42–43).

3 زاهد ورع، من أولياء الله المعرفين، ومن المفسرين الكبار، أخذ العلم عن جماعة من العلماء كمحمد بن مرزوق الكفيف و الإمام السنوسي، من مؤلفاته " الجواهر الحسان في تفسير القرآن " وترك ما يزيد عن السبعين مؤلف أغلبها في القرآن و علومه والفقه، توفي سنة 884هــ/1478م.التنبكتي – المصدر السابق– ص: 257.

4 من شاء الرجوع فلينظر إلى المصادر السابقة الذكر، البستان، نيل الابتهاج، تعريف الخلف الخ ...

5 هو أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال،أبو عبد الله، الشيباني، ولد سنة 164هــ/780م من كبار فقهاء بغداد يومها حتى اعتبر أعلم و أفقه من الثوري. توقي 241هــ/855م. الشيرازي، إبراهيم بن عليّ، أبو إسحاق– طبقات الفقهاء – تحقيق: احسان عبّاس – دار الغرب الرائد– بيروت – لبنان – الطبقة الثانية –1981/1401 – ص: (31–32).

6 أحمد بن عبد الحليم، أبو العباس، الحراني، ولد سنة 661هــ/1262م من شيوخ الإسلام فقيه ،مفسر، محدث، أصولي صاحب التصانيف. توفي سنة 728هــ /م1327. الكتبي، محمد بن أحمد، ابن شاكر– فوات الوفيات – تحقيق : علي معوض، و عادل أحمد عبد الموجود – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان– الطبعة الأولى – 1421هــ/2000م – المجلد الأول – ص : (124–219).

7 محمد بن أبي بكر، ولد سنة 691هــ/1294م، .برع في علوم عديدة منها التفسير و الحديث.لازم شيخه بن تيمية ستة عشر سنة حتى وفاة هذا الأخير– توفي سنة 751هــ/1349م. إبن كثير إسماعيل بن عمر– البداية و النهاية–بيت الأفكار الدولية–الرياض.السعودية – طبعة 2004م – الجزء الثاني – ص : 2214 – 2215.

8 أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الحق الزرويلي: جمع بين العلم والعمل، عرف بالفتوى، أخذ عن جلة من العلماء نذكر منهم عبد العزيز الفوري، والقاضي أبو البركات ... توفي سنة 719هــ / 1318م في سن متأخرة نحو 120 عام. مخلوف محمد بن محمد – شجرة النور الزكية في طبقات المالكية – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان– ط 1– 2003 م / 1424هــ – ج: 1 – ص: 309

لا شكّ أنّ هذا الأخير تأثر بهذا التّيار السّلفي، فصار أحد نشطائه ورسله بالمغرب، وبالضّبط مدينة تلمسان، من هنا فإنّنا نجده يعلنها حربا لا هوادة فيها على سلوكيّات المتصوّفة خصوصا تلك التي اعتقدها بدعا وضلالات في نظر أصول المذهب المالكي، هذا إذن عن القرن الثامن الهجري الرّابع عشر الميلادي.

أمّا القرن التاسع الهجري/ والخامس عشر الميلادي الذي شهد ذروة وقمّة انتشار ظاهرة التصوّف بالمنطقة - بين العلماء والفقهاء- وعبر أوساط وفئات المجتمع، فإنّه لم يسلم هو الآخر من اصطدامه بالتيّار السّلفي الذي تولّى قيادته هذه المرّة بتلمسان محمد بن مرزوق الحفيد، وهكذا قامت حربا كلاميّة بين هذا الأخير ورأس الصّوفية بها وقاضي قضائها قاسم العقباني [1].

واستمرت هذه الحرب قائمة حتّى عهد محمد بن يوسف السّنوسي [2] صاحب كتاب "نصرة الفقير في الردّ على أبي الحسن الصغير" ألّفه خصّيصا للردّ على

التيّار السّلفي والانتصار لتيّار التصوّف [3].

من الملاحظ أنّ ضعف السّلطة السّياسيّة بمنطقة المغرب كان لها الدّور الّذي لا يستهان به في ظهور وانتشار الطّرق الصّوفيّة، من هنا جاءت هذه لتملا الفراغ والغياب السّياسي الّذي تركته السّلطة، فلا عجب أن نجدها يومئذ تلعب دورا سياسيا بارزا من، الدّرجة الأولى كما يقول الباحث عبد الحميد حاجيات [4].

---

1 أبو الفضل.شيخ الإسلام، ومفتي الأنام،وصل درجة الإجتهاد ولّي خطّة القضاء بتلمسان، أخذ عن لمصر عن ابن حجر و أجازه، و أخذ عن ابن العباس و الونشريس و القلصادي. توفي بتلمسان عن سن عالية سنة 854هـ/1450م. إبن مريم - المصدر السابق- ص : (147-149).

2 محمد بن يوسف، أبو عبد الله : من العلماء الكبار. جمع بين العلم و العبادة، تخصّص في علوم كثيرة، كالفقه والحديث، والعقيدة، أخذ العلم عن جماعة من العلماء منهم : نصر الزواوي، و المفيلي ... أخذ عنه أبي مدين و محمد بن صعد، توفي بتلمسان سنة 895 هـ/1489م. إبن مريم - المصدر نفسه - ص : (237 - 248). التنبكتي - المصدر السابق- ص : (563-570).

3 المهدي البوعبدلي - الأحداث الفكرية بتلمسان عبر التاريخ - مجلة الأصالة - 1976م - العدد 26 - ص: 126-127.

4 ABDELHAMID HADJIAT- Rôle du sufisme dans l’évolution du peuple du Maghreb. Actes du 2eme congre international d’études des cultures de méditerranée occidentale. II-page 442.

كما أنّ أهمّ ميزة امتازت بها ظاهرة التصوّف بالمنطقة آنذاك، هو ذلك الذكر الخّاص أو تلك الرّقصات الجماعيّة الموحّدة، والمصحوبة بألفاظ وأنغام تؤدّي في نهاية إلى حدّ الغيبوبة لأفراد الجماعة تباعا، كعلامة وإشارة دالّة على غياب وزوال الوعي والنّشاط العقلي تماما [1].

زد على ذلك، تفشّي السّلوكيات والممارسات الغريبة والمعتقدات الخرافية وكذا الانتشار الكبير والواسع لما يعرف بين أهل التصوّف بـــ "الكرامات" التي يحار فيها المنطق والعقل، ويقف عاجزا عن إيجاد أيّ تفسير لها، إلاّ الرضوخ والاستسلام أمامها واعتبارها – من منظورهم- منحا وعطايا ربانية دالّة على رضا الله وقبوله لمثل هذه التصرّفات من أصحابها، وأنّهم من أولياء الله الصّالحين أصحاب المكانة والقيمة المنقطعة النّظير وقتئذ [2].

إذن في مثل هذه البيئة وتأثرا بهذه الملابسات والظّروف، صارت نسبة كبيرة جدّا من المجتمع المغربي تلهث وتركض ليكون الواحد منها وليّا صالحا ممّا أدّى إلى ظهور الدجّالين والمشعوذين بشكل واسع ومنقطع النّظير، حيث راحوا يتحايلون بشتّى صور الحيل لتقمّص وانتحال صفة المتصوّف[3].

لقد كان طبيعيا ومنتظرا والأوضاع هكذا- كما صوّرناها بتلك الصورة المختصرة- أن رافق ظاهرة التصوّف بالمنطقة انحرافات على المستويين العلمي والعملي [4].

المستخلص مما سبق، هو أنّ القرن التّاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي- شهد تراجعا ملحوظا في مختلف العلوم، خصوصا تلك العلوم المستقلّة عن الدّين كالرّياضيات والفيزياء والتّاريخ والأدب...مقارنة بالقرن السّابق عليه مباشرة.

---

1 Op-cit

2 هاملتون جب – دراسات في الحضارة الإسلامية – –دار العلم للملايين – بيروت – مؤسسة فرانكلين للطباعة و النشر – طبعة 1964 م – ص : 281-282.

3 المصدر نفسه – ص : 282.

4 المصدر نفسه – ص : 282.

ضف إلى ذلك أنّ الملفت للنّظر هو كون منطقة المغرب الأوسط خصوصا في القرن التّاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي انفردت بميزة فريدة أطلق عليها الباحث أبو القاسم سعد الله " عقيدة المرابط "، [1] مفادها المبالغة جدا في الاعتقاد في الشيخ إن كان حيّا، أو ضريحه و قبّته إن كان ميّتا[2].

لقد كان من تداعيات ذلك بالمنطقة، إهمال الفقه وعدم التعامل مع النّصوص الشرعيّة بالرّكون إلى التّقليد، حيث عرفت هذه الظاهرة في تاريخ الفقه الإسلامي بـــ "غلق باب الاجتهاد" ، كما أنّ هذه الظاهرة لم تقتصر على الفقه وحده، بل تجاوزته إلى المعرفة عموما يومها، فمنعت "حريّة الرّأي،و البحث وراء المجهول وإعطاء تفسيرات حرّه و فلسفيّة لقضايا الدّين و العصر[3]، فضلا عن الشيوع يومها مسلكيّة أو ظاهرة العزلة لدى صوفيّة المنطقة[4]، بمعنى اعتزال المجتمع والدّنيا والتفرّغ للعبادة بمفهومهم.

لا شكّ أنّ ظاهرة الاعتزال تلك ليست بالجديدة في التّراث الدّيني للأمّة الإسلاميّة، و إن كان الجديد و الغريب فيها هو حين تتّخذ قاعدة عامّة تستغرق أغلب حياة المتصوّفة، ولم لا كلها عكس ما كانت في السّابق حين اتّخذت استثناءا وما مورست من قبل المتصوّفة القدمى إلاّ نادرا و أحيانا.

من المتشبّعين بهذا الفكر الإعتزالي، نجد محمد بن يوسف السّنوسي وعبد الرّحمان الثعالبي، اللّذان يعتبران من كبار متصوّفة القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي.

فرغم انتفاع طلاب العلم بهما في علوم الدّين من عقيدة و فقـــه و لغـــة... إلاّ أنّهما في إنتاجهما الفكري كانا يدفعان النّاس إلى الانقطاع عن الدّين و الاستعداد لما بـــعد الموت.

---

1 أبو القاسم سعد الله – تاريخ الجزائر الثقافي – دار الغرب الإسلامي – الطبعة الأولى 1998 م – الجزء الثاني (1500-1830) – ص : 48.
2 المصدر نفسه – ص : 48.
3 المصدر نفسه – ص : 49.
4 HENRI, CORNOVIN, HISTOIRE DE L'AFRIQUE DES ORIGINES A NOS JOURS, PAYOT, DEPONT COPOLANI, même ouvrage cite, page : 156.

وهكذا فإنّك لا تجد في هذا الإنتاج نقدا للمجتمع بوصف عيوبه و أدوائه[1] ، ثمّ تجسيد الحلول و الأدوية لذلك، هذا ما يذكره النّص الصّريح الواضح – في مثل هذه الظّاهرة- الّذي يورده بن مريم صاحب البستان، حينما طلب أحد المريدين من السّنوسي بأحد مجالس الذّكر والحلقة النّصيحة والوعظ، فتقدّم لجلسائه مذكّرا له بما يجب عليه سلوكه في هذا العصر وما العمل المفروض عليهم قائلا لهم :" الواجب فيه – عصر القرن التّاسع الهجري/ الخامس عشر ميلادي- قطعا لمن أراد النّجاة بعد تحصيله ما يلزم من العلم، أن يعتزل النّاس جملة، و يكون جليس بيته، و يبكي على نفسه، و يدعو دعاء الغريق، لعل الله سبحانه أن يخرق العادة، بفصله من هذه الفتن المتراكمة في نفسه ودينه على أن يرتحل من هذه الدّار بموته" [2].

ثانـــيا: حيــاة الــمؤلــف:

1. مـــــولــــده :

رغم شهرة ابن صعد كأحد العلماء الكبار، خصوصا في المجال الصوفي ثناء أقرانه و من جاء بعده عليه بأوصاف و نعوت تجمع كلها على ذلك، هذا مـــا نجـــده مسجلا عند كل من ترجم له من المتأخرين، إلا أن الغريب في هذه التراجم أنها لـــم تذكر لنا تماما تاريخ ولادته، لا من قريب و لا من بعيد، بل كل ما ذكرته ما هو إلا جانب قليل جدا عن حياته.

---

1 أبو القاسم سعد الله – المصدر السابق– ج : 1 – ص : 49.
2 إبن مريم – المصدر السابق– ص : 279.

قد يعزى هذا إلى الصراع بين الصوفية (أهل الحقيقة) و الفقهاء (أهل الشريعة)، الذي عرفه التاريخ الإسلامي، مما جعل المتفوق منهما يعمد إلى حرق كتب و مؤلفات خصمه، لأنها في نظره مخالفة للدين و مناقضة للشريعة، فلم لا يكون هذا الإهمال و الطمس لحيثيات من ترجمة ابن صعد، أو أجزاء من مسيرة حياته – نفس ما جرى لعلماء كثرين – هو من نتائج ذلك.

من هنا، و في غياب النصوص و الأدلة التاريخية لا يسعنا في هذه مسألة (أي مولده) إلا الإجتهاد و طرح الإفتراضات، ليس إلا :

ما نذهب إليه كحقيقة كلية و دليل عام فيما يخص مولد ابن صعد هو قول الرسول – صلى الله عليه و سلم – الذي أخرجه الترمذي : (عمر أمتي من ستين سنة إلى سبعين سنة) [1].

وهذا الحديث، من ناحية تحقيقه فهو في عداد المقبول، هذا ما يفهم من كلام أحد المختصين في هذا الفن حيث قال عنه : " أنه حسن لذاته، صحيح لغيره "[2] هذا أولا.

وثانيا افتراض آخر نراه في محله هو أنه بالنسبة للعلماء في هذا العصر اللذين تعدوا هذا السن المذكور في القاعدة النبوية والمتمثلة في الحديث الشريف السالف الذكر، لا بد من ذكر سنه وتسجيله من قبل كل من يعرف به أو يترجم، له حيث يعتبر ذلك معلما من معالم بيوغرافياته، وهذا ما عبر عنه بصيغ عديدة موجودة كلها في كتب التراجم و الرجال منها " عمر طويلا "، " تجاوز السبعين من العمر "، " أشرف على الثمانين " ....

وما دام لم يؤثر عنه ذلك و هو من الأعلام، فلا شك أنه لم يتجوز هذا السن.

1الترمذي، محمد بن عيسى، أبو عيسى – سنن الترميذي – كتاب الزهد عن رسول الله – صلى الله عليه و سلم – باب ما جاء فناء أعمار هذه الأمة ما بين الستين إلى السبعين – دار بن حزم – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – 1422هـ / 2002 م – ص : 670 – حديث رقم 2336.

2 محمد ناصر الدين الألباني – سلسلة الأحاديث الصحيحة و شيء من فقهها و فوائدها – المكتب الإسلامي – بيروت – الطبعة الرابعة – 1405هـ / 1995م – المجلد الثاني – ص : 397.

كما أننا نرى أنه لم يعش دون الخمسين سنة، إذ لو عاش كذلك لذكر وميز كما يميز من تجوز السبعين.

وفي الأخير تكون المحصلة والنتيجة، أنه ولد في بداية العقد الرابع من القرن التاسع الهجري / الخامس عشر ميلادي (أي 831هـ / 1427 م)، وهذا بعد طرحنا سبعين سنة من تسعة مائة سنة وواحدة.

2. شـــــيـــــوخـــــه:

لقد تتلمذ أبو عبد الله محمد بن صعد على شيوخ كثيرين، هذا ما يفهم من صيغة التبعيض، التي يأتي بها أقدم من كتب عنه وعرف به ، وهو صاحب البستان : ابن مريم التلمساني، في معرض ذكر وتعداد مشايخه، ألا وهو قوله:" اخذ – أي بن صعد – عن جماعة ، منهم ..." [1]، وممن ذكرهم صاحب البستان

محمد بن العباس المشهور بالتلمساني، من أكابر علماء تلمسان، صاحب علوم كثيرة، ومن أهل التحقيق، يفهم من ترجمته في البستان انه كان ضليعا في العقيدة والفقه والنحو، توفي سنة 871 هـ/1466م بالعباد بتلمسان [2].

التنسي، محمد بن عبد الله التلمساني: هو الآخر من أهل التحقيق، عرف بتضلّعه في الحديث والفقه والأدب، توفي 899هـ/1493م[3].

محمد بن يوسف السنوسي الذي سبق التعريف به.

كما يضيف صاحب شجرة النور الزكية شيخا جديدا إلى قائمة شيوخه السابقين ، و هو الشيخ إبراهيم [1] التازي[2].

3. مـــكـــانـــته الـــعـــلمية :

أوصاف دالة و مقصودة من جهة، كما أنها متميزة من جهة أخرى، أجمع عليها كل من كتب عنه، وتتلخص في كونه : فقيه، محصل، أكابر العلماء، علامة.

---

[1] ابن مريم – المصدر السابق– ص : 252.
[2] المصدر نفسه – ص : (232 – 242).
[3] المصدر نفسه – ص : 248 – 249.

لا شك أن هذه الأوصاف تدل على أنه تمتع بمكانة علمية عاليـــة بـــالمغرب يومها. هذا ما يفهم من صفة " علامة " و" أكابر العلماء " و" المحصل " [3].

فهذه الصفات إذن غالبها جاءت بصيغ المبالغة الدالة في اللغة العربية علـــى تميز والإنفراد في المكانة و الدرجة.

من هنا، فلا نستبعد أنه كان من أكابر رجالات التصوف، الذي يعتد وقتئذ بتحققهم وزهدهم، نلمس هذا من مؤلفه " النجم الثاقب ... "، الذي ما حفل إلا بهذا العلم غالبا، وتسجيل مآثر رجالاته، هذا كله عرفانا لجميلهم ومشيختهم المباشرة و غير المباشرة.

كما أننا نذهب إلى أن ابن صعد لا يقل مكانة في العلـــوم الأخـــرى غيـــر التصوف كالفقه الذي يوصف به في كل النصوص التي تكلمت عنه، فلا ريب أنـــه كان يرجع فيه إليه، بدليل، أن وصفه بالفقيه يتقدم أوصافه الأخرى في النصـــوص التي تكلمت عن مناقبه [4]، فضلا عن أنه كان متمكنا في العلوم الشائعة يومها من لغة وحديث إلخ ... هذا ما تدل عليه كلمة " المحص[illegible] [2] [illegible]

تعادل، في عرفنا اليوم بالموسوعي، بل تجاوزت شهرته العلمية عدوة المغرب إلـــى عدوة الأندلس، وانتشر صيته بها، ومما يدل على ذلك البيتان الشعريان اللذان قالهما أحد أعلام أندلس مادحا إياه بقوله:

إذا جـــئـــت لـــتـــلـــمـــســـان فـــقـــل لصنديدهـــــا ابـــن صـــعـــد

---

[1] التازي نزيل مدينة وهران، له ترجمة مطولة في النجم الثاقب لإبن صعد الذي هو موضوع دراستنا – الجزء الأول.
[2] ابن مخلوف – المصدر السابق– ج : 1 – ص : 387.
[3] إبن مريم – المصدر السابق– ص : 251.
[4] التنبكتي – المصدر السابق– ص : 575. الحفناوي – المصدر السابق– القسم الأول – ص : 151.

[2] إبن مريم – المصدر السابق– ص : (237 – 248).

علـــمــك فـــاق كـــل عـــلـــم   مـــــجـــدك فـــــاق كل مـــــجــــــد[1]

4. مـــؤلـــفـــاتـــه :

يذكر أبو القاسم سعد الله من خلال مؤلفه القيم الموسوم " بتـــاريخ الجزائـــر الثقافي"، بأن ابن صعد له ثلاث كتب :

كتابه المشهور الذي يحتل صدارة مؤلفاته عند كل من ترجم له و هو " النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب ". كما له مؤلف ثان " روضة النسرين في مناقب الأربعة المتأخرين " وهم الإمام الهواري، و إبراهيم التازي، و الحسن أبركان و أحمد الغماري " حيث توجد نسخة منه بالمكتبـــة الوطنيـــة بـــالجزائر العاصـــمة بمصلحة المخطوطات يحمل رقم 2596، قام بتحقيقـــه مـــؤخرا يحيـــى بـــوعزيز[2] و الكتاب يقع في مائتين و خمسة و خمسين صفحة.

و إن كان أبو القاسم سعد الله يستبعد نسبة هذا الكتاب إلى ابن صعد، بحجـــة أن نفس العنوان قد ذكر منسوبا لشيخه محمد بن يوسف السنوسي[3]، في ثنايا مؤلـــف البستان لابن مريم كما يقول[4].

لكن برجوعنا و تصفحنا للبستان، لم نعثر على هـــذا المعنـــى أولا، وثانيـــا أن صاحب البستان لم يورد هذا المؤلف حين ترجم للشيخ السنوسي، ثالثا و كمـــا هـــو معلوم، أن كتاب روضة النسرين ما هو في الحقيقة إلا اختصار لكتابه السابق النجم الثاقب، إذ يتبين ذلك لمن قارن بين النجم الثاقب، وروضة النسرين.

إذن فهذه الأدلة والقرائن كلها تجعلنا نرجح بأن هذا الكتاب هو من تأليف ابن صعد.

---

[1] لا يوجد بحر لهذه الأبيات

[2] ابن صعد محمد تلمساني – روضة النسريت في مناقب الأربعة المتاخرين تحقيق: يحي بوعزيز – منشورات ANEP – الجزائر الطبعة الأولى – 2002م

[3] إبن مريم المصدر السابق– ص: (237–248)

[4] سعد الله – المصدر السابق– ج:1 – ص : 74.

فضلا عن ذلك فقد ألف قصيدة في مدح الرسول – صلى الله عليه و سلم – حيث يوقفنا الباحث سعد الله على مكان وجودها ضمن مجموعة في الخزانة العامة بالرباط رقم 2404 من صفحة 230 إلى 232 .

5. وفـــاتـــه :

تجمع كل مصادر تاريخه، و الدراسات التي أجريت حوله على أنه توفي سنة 901 هـ / 1496 م بمصر، لكن تبقى الاحتمالات واردة في سبب وفاته هناك وليس بمسقط رأسه ومكان إقامته المدة الأطول، ألا وهي تلمسان.

فهل يرجع ذلك إلى الهروب، والإبتعاد عن الفتن، والأحوال السياسية المتردية، أم لأداء فريضة الحج، أم لطلب علم، وإن كنا نرى أن هذا الأخير مستبعد لأنه صار شيخا و عالما لا طالب علم.

المخطوط:

فيما يخص تاريخ تأليف المخطوط، فإنه لا يوجد دليل يبين ذلك تصريحا أو تلميحا، من هنا فلا نملك حيال هذه المسألة إلا سلوك طريق الاجتهاد انطلاقا من

معطيات نرى بالإمكان الجمع بينها، بغية إدراك علاقات تربطها بها، نراها نحن معقولة وممكنة للإجابة على ذلك، وهذه المعطيات هي:

المعطى الأول: آخر شخصية من حيث تاريخ الوفاة، ترجم لها ابن صعد هو الشيخ إبراهيم التازي المتوفى سنة 866هـ/1461م.

المعطى الثاني: تأليف الكتاب كما أشرنا إليه سابقا تحت عنوان دواعي التأليف، كان بأمر من السلطان المتوكل، الذي حكم من سنة 866هـ/1461م إلى سنة 877هـ/1472م.

المعطى الثالث: أن ميلاد ابن صعد، إستنتجنا أنه كان حوالي 830 هـ/1426م.

وباستنطاقنا لهذه المعطيات الثلاث، والربط بينها كما ذكرنا، نخرج بما يلي:

أن تأليف ابن صعد لكتابه هذا الذي يحتوي على ثمانية أجزاء كاملة هو إنجاز ضخم دون شك في تلك الفترة، ويتطلب وقتا ليس بالقصير، وظرفا مناسبا لذلك يتلخص في استقرار الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية والسياسية، الذي كان سببها الرئيس هو تولي السلطان المتوكل حكم الدولة الزيانية،[1] ومما يعضد ذلك كون التنسي هو الآخر ألف كتابه "نظم الدر والعقيان في شرف بني زيان" في ظل حكم هذا السلطان.

و قبل 866هـ/1461م نستبعد قيام ابن صعد بتأليفه، لأن تأليفه جاء بأمر من هذا السلطان والذي حكم بعد 866هـ/1461م .

كما لم يؤلفه بعد وفاة هذا السلطان، لأن الظرف غير مناسب تماما لتدهور الأمور بكل جوانبها بعد هذا الأخير، وظهور كيان سياسي جديد بالمنطقة المتمثل في الدولة العثمانية.

---

[1] التنسي – المصدر السابق – ص: 255 وما بعدها.

من هنا نخلص بأن تاريخ التأليف ينحصر ما بين 870هـ/1465م و877هـ/1472م. لكون السنوات الأولى الثلاث لحكم هذا السلطان تتمثل في إعادة استتباب الأمن وترتيب البيت.

رابعا : عنوان المخطوط و دواعي تأليفه

لقد جاء عنوان المخطوط في كل من نسخه " ك " والنسخة " د " على النحو الآتي : " النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب ".

في حين نجد كل المصادر و المراجع [1] التي تناولت هذا الكتاب سواء كانت كتب التراجم أو كتب التاريخ، ذكرت عنوانا يختلف نوعا ما عن العنوان السابق وهو " النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب ".

من هنا فالفرق واضح و جلي كما نرى في العنوانين، حيث يتمثل في كلمة مفاخر، المثبتة في الأول و المنزوعة في الثاني.

ولا يفسر هذا الإختلاف في نظرنا، إلا لكون تلك المصادر التاريخية والمراجع، والتي تنقل حرفيا أو بالمعنى من مصدر واحد وهو القديم الذي أرخ للكتاب و صاحبه ابن صعد، ألا وهو "البستان"، اعتمدت في جملتها على نسخة لم تصلنا غير نسختي " ك " و" د " التي بأيدينا.

من هنا فلا نستطيع الفصل في المسألة، بمعنى أن ابن صعد هل كتب عنوان كتابه بالعنوان الأول أم الثاني ؟

أما عن دواعي تأليف هذا الكتاب فكانت لأمر السلطان الزياني محمد بن محمد المتوكل[2]، وهذا ما سجله ابن صعد في مقدمة الكتاب بقوله: " أشار بجمعه وانتقائه من دواوين هذا الفن و أجزائه من جعل طاعته من اللوازم... أمير المسلمين المتوكل على رب العالمين، مولانا أبو عبد الله محمد ... فقابلت كريم تلك الإشارة بقبول البدار ولسان البشارة ..."، إذ أنه لا يوجد من المؤلفين سواء كانوا مؤرخين أو غيرهم ترجم لهذا السلطان إلا التنسي في كتابه " نظم الدر والعقيان في شرف بني زيان "، لكن يلاحظ عليه أنه جعله آخر من ترجم له في هذا الكتاب.

أما عن محتوى هذه الترجمة، فإنه ذكر نسبه، وسنه، وبداية خلافته وهي سنة (866هـ/1462م)، كما مدح هذا السلطان مدحا مفرطا، فذكر صورا شتى من مناقبه وخصائصه، تصديه المتكرر والناجح لفتن واجهت دولته، كما لم تخل هذه

---

[1] إبن مريم – المصدر السابق– ص : 251 – 252. التنبكتي – المصدر السابق– ص : 575. الحفناوي – المصدر السابق– ص : 151. إبن مخلوف – المصدر السابق– ص : 387.

2 سلطان الواحد و عشرون من سلاطين بني زيان، الذين تعاقبوا على حكم المغرب الأوسط، حكم من سنة (866 هـ / 1462 م – 877 هـ / 1473 م) التنسي – المصدر السابق – ص : 255 – 256.

الترجمة من قرضه لأبيات شعرية طويلة إقتربت من ثلاثة عشرة صفحة، هي الأخرى كلها مدحا لهذا السلطان، لا لشيء، إلا ابن صعد كان يعيش في كنف السلطان يتنعم بنعمه و آلائه.

إلا أنه لم يتكلم عن نهاية المتوكل، و الظروف التي لابستها، فضلا عن نهاية آخر سنة خلافته و وفاته[1].

كما أننا نستفيد من مقتطف صغير جدا لا يتجاوز سطر، مفاده أن المتوكل أقام في الخلافة إحدى عشر سنة [2].

فهذه السنوات الإحدى عشر إذن، لا بد من إضافتها إلى سنة 866هـ / 1462م، فتكون النتيجة أن مدة حكمه انتهت سنة 877 هـ / 1473 م.

لكن يبقى سؤالا آخر يطرح نفسه هو: هل أمر هذا السلطان ابن صعد بالتأليف في هذا النوع بذات، ألا و هو التراجم المنقبية في التصوف ؟ يستبعد الباحث أبو القاسم سعد الله ذلك[3].

إننا نذهب إلى غير ما ذهب إليه أبو القاسم سعد الله، و نرى أن هذا السلطان قد أشار إليه بنوع هذه الكتابة، من خلال قرينتين نذكر منها : قول ابن صعد : " أشار بجمعه و انتقائه من دواوين هذا الفن". [فن التراجم مناقب و مآثر أهل التصوف...]، و قوله : " أيده الله بهذه الطائفة"، حيث يفهم من ها النص الأخير أن أهل التصوف كانوا من مستشاري السلطان، و لا يكون الأمر كذلك، إلا إذا كان هذا السلطان منهم و ينزع منزعهم.

---

1 التنسي – المصدر السابق – ص : (128 – 156)، (255 – 275).

2 المصدر نفسه – ص: (255 – هامش 722، نقلا عن: Barges, compléments de l'histoire de béni Zeyon rois de Tlemcen Ernest Leroux Paris – P357

3 سعد الله – المصدر السابق – ج : 1 – ص : 74.

أبي محمد، محمد بن صعد، المتوفى سنة 901 هـ/1496 م ضمن قائمة كتب التراجم، وبالأخص المنقبية منها المضطلعة بذكر وتعداد المحاسن والمآثر الإيجابية للمترجم لهم.

خامسا: قيمة وأهمية المخطوط :

1 – التعريف بالمخطوط :

يصنف مخطوط " النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب " لمؤلفه أبي محمد، محمد بن صعد، المتوفى سنة 901 هـ/1496 م ضمن قائمة كتب التراجم، وبالأخص المنقبية منها المضطلعة بذكر وتعداد المحاسن والمآثر الإيجابية للمترجم لهم.

إن هذه الكتب الذي يعتبر هذا المخطوط واحد منها، أخذت على عاتقها الكلام عن طائفة خاصة عرفت في التاريخ الإسلامي بالمتصوفة، التي عاشت تجربة الزهد عن الدنيا وسلوك مسلك التصوف فيها، فكانت النتيجة أن سجلت خواطر تلك التجربة: إما خلال مؤلفات نثرية وشعرية، وإما رواية عنها نجد بعضا منها مرصودا ضمن هذا المخطوط.

لا يخفى ما لهذا الصنف من الكتب من أهمية كبرى، نظرا لما تضمنته من آثارهم المتنوعة في المجتمع حكاما ومحكومين بكل فئاتهم، وما تمتعوا به من نفوذ على مستوى الحكام، ومصداقية شعبية على مستوى العامة من المحكومين.

فضلا عن ذلك، يتميز المخطوط بخاصيتين: الخاصية الأولى: أنه لا يتكلم عن متصوفة منطقة محدودة ولكن عن مناطق العالم الإسلامي كلها بما فيها المشرق والمغرب والأندلس.

الخاصية الثانية: غطى فترة زمنية طويلة شملت ثمانية قرون بدءا من القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي حتى القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، ولم يكن بدعا في هذا النوع من التراجم على مستوى العالم الإسلامي.

وكتاب" النجم الثاقب " يقع في ثمانية أجزاء، تيسر لنا الحصول على الجزء الأول الذي نحن بصدد تحقيقه، والذي هو موضوع و هو موضوع دراستنا.

هذا الجزء، يبدأ فيه مؤلفه بحرف الألف ممن تسمى بإبراهيم، حيث ترجم فيه المؤلف لإثني عشرة شخصية، و لثمانية عشرة شخصية لمن إسمه أحمد.

كما أن تراجمه عبر هذا المخطوط مست العالم الإسلامي كله، ولم تقتصر على المغرب وحده، والدليل على ذلك أننا نجد :

التراجم المشرقية (مولدا ونشأة وإقامة) عددها ثلاثة عشر والتراجم الأندلسية عددها ست (مولد و نشأة وإقامة)، وأخيرا المغربية وعددها إحدى عشر: اثنان من إفريقية (المغرب الأدنى)، إبراهيم الجبنياني القيرواني، وإبراهيم بن أحمد القيرواني السبائي.

ومن المغرب الأوسط (إذا أخذنا بمقياس الإقامة) يوجد أربع إبراهيم بن موسى المصمودي، وإبراهيم التازي، وأحمد بن نصر الداودي، وأحمد بن العزيز السلاجي.

ومن المغرب الأقصى ست: إبراهيم البلفيقي، وإبراهيم الدكالي وأحمد بن نصر الداودي وأحمد أبو الحسن الرفاعي، وأحمد بن جعفر السبتي وأحمد بن عاشر.

هذا من الناحية المكانية فيما يخص المترجم لهم، أما من الناحية الزمنية حسب الوفاة، فلقد امتدت هذه التراجم من إبراهيم بن أدهم المتوفي 162 هــ/ 778م إلى آخرهم وهو إبراهيم التازي المتوفي 866 هــ1461م.

كما أن التراجم نجدها غير متماثلة في عدد الصفحات بل هي متفاوتة، لأنه بالإستقراء لا تخرج هذه التراجم فيما يخص عدد الصفحات عن الأقسام الآتية :

قسم التراجم الطويلة جدا (حيث غطت ثمانية و ثلاثين صفحة)، وهي ترجمة إبراهيم التازي.

وقسم التراجم الطويلة(غطت عشرة صفحات)، فما فوق كترجمة أحمد أبو العباس السبتي.

و قسم التراجم المتوسطة (غطت ست صفحات)، كترجمة أحمد بن عاشر المغربي.

وقسم التراجم الصغيرة (دون ثلاث صفحات)، غطت بقية المترجم لهم الذين يمثلون الأغلبية.

– أهمية المخطوط :

المخطوط مليء ومحشو بكثرة فيما يخص الكرامات، حيث أننا إذا تصفحنا التراجم : ترجمة لهؤلاء المتصوفة إلا وتصادفنا الكرامات وخوارق العادات، وإن كان الكتاب غطى واحدا وثلاثين ترجمة حيث أننا إذا نزعنا منها ترجمة التازي التي شملت ثمانية وثلاثين صفحة، وترجمة أبي العباس السبتي التي قافت عشر صفحات وترجمة أحمد بن عاشر ست صفحات.

باستثناء هؤلاء، فإننا نخرج بأن المتوسط العام لكل ترجمة يقترب من ثلاث صفحات، لكن إذا أمعنا النظر في تلك الصفحات نجد أن ظاهرة الكرامات أخذت حصة الأسد من هذه التراجم.

وهذا بلا شك له دلالات كبيرة بالنسبة العالم الإسلامي عموما، والمغرب خصوصا، والتي نلخصها في الاعتقاد الذي سرى في المجتمع الإسلامي يومها، وهو اعتقاد مميز قائم على ما اصطلح عليه، بظاهرة التصوف التي تفشت في هذا العالم حيثفي أركانها وأسسها الإيمان المفرط بمسألة الكرامات.

أما إبراهيم التازي، فقد خصص له خمس صفحات هذا الباب من مجموع ثمانية وثلاثين صفحة، وإن كان هذا المجموع فيه كل التفاصيل عنه بدءا بــ : التمهيد له أصله، رحلاته، ثناء العلماء عليه ... كما ذكر كرامات طويلة ومتنوعة عن أبي العباس السبتي غطت جل النصف الثاني من ترجمته.

وإن كان في الترجمة الأخيرة من مؤلفه في سياق الكلام عن احمد بن عاشر لا يذكر ولا يبين ما له من كرامات رغم أنه أشار في عدة فقرات تارة منه مباشرة وأخرى نقلا عن غيره أنه صاحب كرامات، وهذا مسلك شاذ لم يسر عليه إلا مع هذا الأخيرالكلام على هذه الكرامات.

إن ظاهرة الكرامات حتى هذه الآونة، كانت من أسس عقيدة المجتمع الإسلامي وإن كانت لها سابقة تاريخية قبل ذلك كما يقول المؤرخون، لكنها دروتها آنئذ، لهذا اعتبرت مقياسا يقاس به التصوف و الزاهد و صاحب الحقيقة من غيرهم ولا يخفى ما لهذه الظاهرة من آثار سلبية على المجتمع بكل مجالاتها (الفكرية السياسية إلخ ...) حيث نشرت السلبية في الحياة والهروب عن الدنيا والإيمان بالأساطير و الخرافات وعدم الأخذ بالأسباب، لأن ذلك ينافي التوكل في نظرهم.

قيمة المخطوط أنه يكمن في تباين ذهنية المجتمع يومها والتي تقوم على الإيمان المفرط بالكرامات، والالتجاء في قضاء الحوائج إلى (الأولياء سواء كانوا أحياء أو أمواتا)، و عدم الأخذ تماما بالأسباب والوسائل.

ولا شك أن هذه العقيدة في الكرامات والأضرحة وآثارهم لا زالت تهيمن على فئات عريضة من المجتمع الإسلامي إلى يومنا هذا، ولا شك أنها بقايا ذلك العهد، حيث أنها اليوم تعتبر عقبة من العقبات التي تعيق هذه المجتمعات من الخروج من التخلف.

فيما يخص إبراهيم التازي يعتبر ابن صعد أول وأقدم من أرخ لإبراهيم التازي من خلال كتابه هذا الموسوم بـــ " النجم الثاقب " وإن كان قد تكلم عنه في روضة النسرين بصورة مختصرة.

من هنا نستنتج أن تأليفه للنجم كان سابق على تأليفه لروضة النسرين، كما أن كل من تكلم و أرخ عن شخصية إبراهيم التازي حسب الترتيب التاريخي بدءا بابن مريم صاحب البستان، فالتنبكتي صاحب نيل الابتهاج، ثم الحفناوي صاحب تعريف الخلف ... فكل هؤلاء قد نقلوا بطريق مباشر وغير مباشر بالحرف الواحد تارة وبالمعنى تارة أخرى عن ابن صعد في هذا المؤلف.

زد على ذلك أنهم لم ينقلوا كل ما هو موجود في هذه الترجمة ومن خلال مؤلف" النجم الثاقب " ... إذ أننا نلاحظ أن الترجمة لابن صعد عن التازي في هذا الأخير ترجمة مفصلة جدا، تكلمت عن جوانب عدة من حياته بدءا بالتمهيد له فأصله ورحلاته المشرقية إلى مصر والحجاز والمدينة المنورة، فرجوعه إلى المغرب قاصدا تونس، ثم تلمسان ثم استقراره بمدينة وهران في زاوية الشيخ والإمام الهواري كما عرج على ذكر شيوخه الذين تلقى العلوم على أيديهم، مع ذكر إجازاته التي أخذها عنهم، كما نوه ابن صعد في ترجمته لهذه الشخصية بحبه للعلم والعلماء وتلقينه العلوم الشرعية للطلبة الواردين عليه في الزاوية بعد خلافته لإمامها الهواري بعد وفاته، كما عرف بالأعمال الخيرية التي كان يقوم بها هذا الأخير في مدينة وهران، من صدقات ونذور على الفقراء، والمحتاجين، كما أنه لم يغفل عن الجوانب الأخرى الهامة في حياة المجتمعات، كالجانب الحضاري والعمراني للمدينة، كذكر قصة إدخال الإمام التازي الماء لمدينة وهران وكيف سر أهل وهران سرورا كبيرا. ويكفي أنه أخذ حصة الأسد من (مؤلفه هذا).

بحيث التقسيم كالتالي بأننا توصلنا إلى النتيجة التالية :

28 % فضتها ترجمته لوحدها، خاصة إذا علمنا أن مجموع التراجم هو 31 ترجمة إذن تبقى 30 ترجمة تكون قد غطت النسبة المئوية المتبقية بالمعدل المتوسط لكل ترجمة الذي يصل إلى نتيجة 20 %.

نفس ما قلناه عن إبراهيم التازي ينطبق على إبراهيم المصمودي حيث يعتبر ابن صعد أول وأقدم من أرخ له من خلال أربع صفحات وإن كانت قليلة جدا مقارنة بما فعله ابن صعد مع إبراهيم التازي، إلا أنه ورغم قصرها، إلا أنها متنوعة المواضيع حول الشخصية، حيث نجد التعريف بأصله، وذكر شيوخه الذين تتلمذ عليهم، فوفاته كما عدد كراماته.

وإن هناك من أرخ لهذا الأخير لكنهم متأخرين عن ابن صعد، إذ أن أقدمهم الونشريسي سنة 911 هـ/1505م، ذكر وفاته فقط، أما الآخرون كصاحب البستان بن مريم ما قام إلا بالنقل الحرفي المنتقى من النجم الثاقب لابن صعد، كما أن التنبكتي والحفناوي فيما بعد ما قاما بالنقل الحرفي إلا بالنقل الحرفي كذلك من صاحب البستان الذي نقل بدوره من النجم كما أسلفنا.

ومن الصور الدالة على قيمة و أهمية مؤلف ابن صعد هذا، هو ما وردت في ثناياه من النصوص والمقتطفات التي تعتبر إلى يومنا هذا في عداد الثرات العربي الإسلامي المفقود.

ومن بين المؤلفات التي أشار إليها مؤلف النجم ابن صعد نجد كتاب"الرقائق " للحسن البصري، لكن برجوعنا إلى المؤلفات الخاصة –بتأريخ كتب وعلوم هذا التراث) ككشف الظنون لحاجي خليفة، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان، ومعجم المؤلفين لرضا كحالة، لم نعثر للحسن البصري على مؤلف بهذا النعث والتسمية بل وجدنا من له مؤلف بهذا العنوان (الرقائق) لعبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي المتوفى –582 هـ/1184م) حاجي خليفة – الكشف ج 1 / 911.

لا شك أن هذا المؤلف غير مطبوع، لأن صاحب معجم المؤلفين رضا كحالة لم يذكره بتاتا سواء بإشارة (ط) التي تفيد عنده أنه مطبوع، أو (خ) التي تعني (مخطوط)، هذا ما يفهم بأنه في عداد الكتب المفقودة.

كما نشير أن النص الذي نسبه ابن صعد للحسن البصري في كتابه "الرقائق " يكون قد نسبه خطأ، لأن نفس النص تقريبا ونفس المعنى عثرنا عليه عند الشعراني عبد الوهاب بن احمد – الطبقات الكبرى – المكتبة التوفيقية – بدون تاريخ الطبع – 52/1.

كما نجد كتاب " الرقائق" لعبد الله بن مبارك ينطبق عليه نفس ما قلناه سابقا (حاجي خليفة – الكشف ج1/ 911)، وإن كان صاحب النجم يذكر هذا المؤلف باسم الرقائق.

وكذلك من النصوص المفقودة مرويات الزاهد منصور بن عمار في كتابه الذي نسبها ابن صعد لكتاب له عنونه " بالمجالس المكية "، إلا أن برجوعنا إلى المراجع المختصة لم نجد لمثل هذه العنوان لهذه الشخصية، وإنما عثرنا عنوان فريد للفروي، لكن تحت اسم " المجالس الملكية " (حاجي – الكشف – 1091/2) وإن كان هو الآخر في عداد التراث المفقود، حيث لا ينبه إليه لا مطبوعا ولا مخطوطا.

نفس الكلام ينطبق تماما على كتاب " الأمثال الحديثية " لإبراهيم بن خلاد وكذلك " شرح الأسماء " لأبي القاسم، و كتاب " المحبة " الذي يذكره ابن صعد لأبي المعالي، و المؤلف الرشاطي ذكر له ابن صعد كتاب ولم يسمه، فهذان المؤلفان الآخيران لا يوجد لهما أثر تماما في المراجع المختصة السالفة.

كما يذكر نصوص منسوبة لابن رشيد في " رحلته "، وأخرى للقاضي ابن عبد الملك في كتابه " الذيل و التكملة " لم نعثر لهما على أثر في المراجع المذكورة وإن كانا الأستاذان الباحثان المشكوران، ابن معمر محمد، وبوباية عبد القادر قد افاداني بأن هذه النصوص لا يستبعد أن تكون في عداد القطع التي لم يعثر عليها لحد الآن، وهذا بعد أن بحثنا عنها في القطع المطبوعة.

لا شك ذكر مثل هذه المقتطفات النصية، وعناوين المؤلفات المفقودة لها أهمية كبرى في التراث، إذ أنها ترشد إلى مؤلفين ومؤلفات جديدة لم نسمع بها سابقا، كما أن هذه النصوص المفقودة والموجودة متفرقة في ثنايا المصادر التي منها مصدر النجم هذا، قد يؤلف بينهما ويجمع مستقبلا لتكون مؤلفات قائمة بذاتها، فضلا عما فيها من معطيات وأخبار في مختلف المجالات تملأ فراغات عدة وتفسر بها قضايا وأحداث، تظل ضرورية للباحثين والمؤرخين.

- المعطيات السياسة :

جاء " مخطوط النجم الثاقب ... " لابن صعد التلمساني، محتويا لأخبار وحقائق ذات طابع سياسي في ثنايا التراجم لهؤلاء المتصوفة، وبالضبط فهي لا تخرج عن وصف وتصوير لعلاقات كانت قائمة بين الحكام من سلاطين و ملوك وقادة ... وبين هؤلاء المتصوفة.

وهذا يدل على ما كان لمتصوفة العصر يومها من وزن و تأثير على الرعية لأن هذه الأخيرة كانت لا تخرج عن نواهيهم، و تأتمر دوما بأوامرهم، فلا تعود في شيء صغر أو كبر، عظم أو حقر، إلا باستشارتهم والاستنجاد بهم، لهذا خصوا من قبل الحكام بعلاقات متميزة تماما، كل ذلك كان حفاظا لمصالحهم ليس إلا من تحقيق الاستقرار السياسي وإبعاد الرعية عن التوارث ، ودوام هؤلاء الحكام في سدة الحكم إذ لا يتأتى ذلك إلا بالتقرب بهؤلاء المتصوفة، لأنهم الوسيلة الأساس لتحقيق كل ذلك، من هنا فإن علاقات هؤلاء الحكام مهما كانت مراتبهم سلاطين ملوك أمراء ولاة، قادة، مع هؤلاء المتصوفة، كانت لا تخرج عن نوعين من العلاقات:

النوع الأول: قد نعبر عنها بعلاقات متوترة غير ودية، والذي يدل على ذلك هو تصدي بعض هؤلاء المتصوفة، للحكام بالنصح والإرشاد تارة، وبالتهديد والدعاء عليهم تارة أخرى، نظرا لتجاوزات وظلمهم للرعية وهضم حقوقهم.

من نماذج ذلك ما جاء في سياق ترجمة أحمد بن أبي الربيع المالقي مع والي الوقت باديس بن حبوس، حين ساءت سيرته في الرعية، فراسله بكتاب مليء بالنصح له، يحثه بالإستقامة له مع رعيته ومذكرا له بعواقب الظلم والاستبداد في الدنيا والآخرة قائلا له:" فإن الدنيا حرث والناس زارعون، وكل في معاده يأكل من حصاده، وذو الجاه يسأل في الآخرة عن جاهه، كما يسأل ذو المال عن ماله، فاتخذ عندي اليوم يدا تجدها في الآخرة غدا ".

والمثال الأكثر جلاء ووضوحا، الذي يصادفنا في ثنايا ترجمة أحمد بن عاشر السلاوي من خلال رسالة مطولة قيمة وغنية بالحقائق خاصة التاريخية من سياسة

وغيرها... ، يحتاج إليها كل من يريد أن يؤرخ للفترة، وقد تغطى بها فراغات في الكتابات التاريخية، وتحل بها غموضات وإشكالات، والرسالة لا نجد لها أثر إلا في مخطوط النجم الثاقب، وقد أشار الباحث المختص في مثل هذه الشخصيات المغربية عبد الحي الكتاني بأنها في كتاب بعنوان " تحفة الزائر في مناقب أحمد بن عاشر" وأنه استفاد من كتبه الأخرى، ولم يعثر على الكتاب المذكور مما يدل على أنه في عداد الكتب المفقودة [1].

ومما جاء في هذه الرسالة المطولة : " ارتحل إليه ملك الوقت أمير المؤمنين أبو عنان، فوقف باب داره طويلا، ولم يأذن له فانصرف عنه، فكتب له كتابا يستعطفه للزيارة ... " فجاوبه بما يلي : " لست للزيارة أهلا ولا للقرابة محلا ... وأن الله ينظر إليك حين كل ساعة، ويسألك عن امر خلقه وما ضعت، وليكن أمير المؤمنين مشفقا على نفسه، وليعمل في يومه لما فرط في أمسه ..." فأجابه أبو عنان بكتاب آخر مما جاء فيه:" لقد نصحتني وما غششتني، وندبتني لسعادتي وما كذبتني فالله أسأل أن ينور بصيرتي، ويأخذ للخير بناصيتي، وأجتهد في كف أيدي الظالمين وأبدي جهدي في إنصاف المظلومين ...".

وهذه الأمثلة واضحة وظاهرة، تبرز الأدوار البارزة التي قام بها بعض المتصوفة بين رعيتهم، بتقديم الإرشاد والنصائح لحكامهم مهما تفاوتت درجاتهم، هذا كله خدمة للرعية وإنصافها من كل من تولى شؤونها.

النوع الثاني: المتصوفة لم يأبهوا بظلم الحكام وغبنهم للرعية، لهذا نجدهم لا يسدون لهم النصائح ولو بالكلمة الطيبة، إذ هذا النوع الأخير هو الذي يغلبه صاحب النجم، إذ يترجم لشخصيات بنسبة كبيرة ممن يتبنى هذا الخط السياسي السلبي – إن صح التعبير – مقارنة بمن ترجم لهم والذين تبنوا الخط السياسي مقابل ألا وهو الخط الإيجابي.

---

[1] عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني – فهرس الفهارس و الأثبات و معجم المعاجم و المشيخات و المسلسلات – دار الغرب الإسلامي – الطبعة الثانية – 1402هـ / 1902م – الجزء الثاني – ص : 841 - 842.

لا شك أن سيادة هذا الخط السياسي السلبي يومها له ما يبرره، والذي يتلخص في طبيعة التصوف السائد آنذاك، والقائم على اعتزال الدنيا والناس، والإنكفاء والرجوع إلى الذات، بالتخلي عن كل الملذات والشهوات، وتهذيب الجسد والمبالغة في العبادات.

لا شك أيضا أن هذا الخط كان له نتائج سلبية على المجتمع المغربي في كل مجالات الحياة وهذا بغياب النصح والتناصح بين أفراد الرعية، وبترك المجال لأصحاب القرار يتجاوزون ويظلمون، ويعرض المنطقة للفوضى عدم الاستقرار.

- **المـــعــطــيات الاجتماعية :**

فالجانب الاجتماعي كان بسيطا جدا وساذجا، نظرا لغياب النشاطات الاقتصادية: الزراعية، والصناعية، والتجارية بالكاد، فهو لا يتعدى توزيع الصدقات والمنافع على يد المتصوفة بين الرعية، وهذا بأمر من السلاطين وحكام الوقت، ومن أمثلة ذلك ما جاء في ترجمة إبراهيم القنجاري، إذ كان ملوك عبد المومن وأمرائهم يطلبون منه تفريق صدقاتهم التطوعية على الفقراء والمساكين ومن هم أهلا لذلك.

زد على ذلك تفشي ظاهرة اجتماعية خطيرة، وهي الرجوع للتداوي والاستشفاء إلى هؤلاء المتصوفة، وجعلهم بمثابة أطباء، فكان كل من ألم به مرض صغر أو كبر هرع إليهم، هذا من ناحية تفشي هذه الظاهرة. أما من ناحية خطورتها، فتتمثل في الإيمان المطلق بخرافات ساذجة وفجة استعملت كأدوية لإبعاد هذه الأمراض، منها: الأتربة، والتعاويذ ... وفي الحقيقة أن هذه الوسائل كانت أقرب إلى السحر والشعوذة منها إلى المنطق و المعقول.

من هنا نرى النصوص المخطوط في هذا الباب هو مصدر أساسي لتطوير هذه الذهنية المتفشية يومها بالمنطقة، والتي لا زالت لها بعض التداعيات إلى يوم الناس هذا.

والأمثلة كثيرة على ذلك نذكر منها: ما جاء في ترجمة إبراهيم البلفيقي أن طبيبا جاء بصبي للشيخ البلفيقي، وكان هذا الطبيب ممن ينكر الكرامات، وقال له على وجه السخرية:" يا شيخ هذا الصبي تداويه " فغضب البلفيقي واستدعى الصبي ووضع يده على صدره والأخرى على قلبه، وحرك شفتيه، ورفع ثياب الصبي ونفخ ثلاثا ... فقذف الصبي خمس حميصات في حجم الحمص مخصوبة بالدم، وسكن عنه الألم في الحال ".

وكذلك مما جاء في ترجمة إبراهيم التنوخي " أن قبره بعد وفاته يستسقي الناس به ويقصدونه في الحاجات ...".

إن كانت هذه المعطيات السلبية كما نرى، فهذا لا ينفي معطيات إيجابية احتواها المخطوط، نذكر منها على سبيل المثال:

فمن المتصوفة من لعب دورا كبيرا في المجتمع وخاصة الدور الديني لهم فأغلب كتب "المناقب" تؤكد حرصهم الشديد على القيام بالفرائض الدينية، وعدم التساهل في تطبيقها، وإعطائها مدلولها الصحيح، كما كان لهم دور كبير في تقويم أفراد المجتمع أخلاقيا خاصة، وأنهم كانوا في نظر الناس تجسيدا لملامح التقوى وتجديدا لسير الصفوة الخيرة من رجالات الإسلام في عصوره الأولى، هذا بالإضافة إلى دورهم الإرشادي – الوعظي والأخلاقي – الذي جسدوه بممارساتهم وسيرتهم داخل المجتمع، إلى جانب مساهمتهم في نشر الديانة الإسلامية وتعاليمها وإسهامهم في عملية التعريب الشعبي، وكذلك دورهم في التعليم ونهلهم منها وتعليمها للطلبة.

- الــمــعطــيــات الحــــضــاريـــة:

المعطيات الحضارية لا نجدها إلا من خلال ترجمة المؤلف للشيخ إبراهيم التازي، التي أخذت حصة الأسد من هذا المخطوط كما ذكرنا سالفا، لا لشيء إلا لأن هذه الترجمة غطت كثيرا من الصفحات عكس التراجم الأخرى، لهذا لا نعجب إذا وجدنا أنها حملت في طياتها معطيات حضارية تمثلت في ظاهرتين:

ظاهرة بناء الزاوية (المعروفة بزاوية سيدي الهواري) بوهران: فالمخطوط يلقي الضوء على المرحلة الأولى لبنائها على يد الشيخ إبراهيم التازي، وكيفية بنائها كما يورد صورة تفصيلية لمرافقها (المسجد، المدرسة، المنضدات، الحمام ...) ومواقع هذه الأخيرة، ولا شك أن هذا الإنجاز من قبل الشيخ إبراهيم التازي ما كان إلا تشريفا وتكريما لشيخه الإمام الهواري.

بالتالي، فالنص وثيقة حية ومصدر أساس لكل من يريد أن يؤرخ لهذه الزاوية، التي تعتبر صورة من صور العمران الحضاري لمدينة وهران، و عاملا أساس من عوامل استقرار السكان فيها وتوسيع المدينة، حيث ستجلب إليها طلاب العلم لنهل العلوم وقتها من جهة، كما ستستقطب العلماء المختلفي التخصصات للتعليم والإقامة.

ظاهرة إدخال الماء لوهران، يفهم ذلك من نص المخطوط الوارد خاصة في ترجمة هذه الشخصية الأخيرة (إبراهيم التازي)، أن لهذا الأخير فضل كبير جدا على مدينة وهران في إنجازه الضخم المتمثل في إدخال الماء لمدينة وهران.

لا شك أن فكرة إدخال الماء للمدينة هي فكرة قديمة كما يذكر ذلك النص بصراحة، لكن الذي أظهرها في الواقع وجسدها ميدانيا هو الشيخ إبراهيم التازي من هنا فآثار هذا الإنجاز المعماري الحضاري كانت بالغة الأهمية على المدينة وعمارها، حيث نقلهم من البداوة إلى الحضارة، ورفعت عنهم الغبن والمشقة، خصوصا وأن المنطقة عانت طويلا من نقص هذه المادة الحيوية ألا وهي الماء، والنص دليل وعلامة جلية على مدى سرور عمار وهران بهذه المنقبة والتي كانت لإبراهيم التازي.

إن كانت هذه الظاهرة نراها أهم وأكثر قيمة مقارنة بالظاهرة السابقة، لأنها تعلقت مقوم أساس للحياة لا نظير له مصداقا لقوله تعالى: وجعلنا من الماء كل شيء حي."

من هنا فالباحث والمؤرخ يقف على حقيقة مهمة جدا، وهي حقيقة إدخال الماء للمدينة، إذ لم يتفصل فيها، فضلا عن ذكرها وتسجيلها أحد قبل صاحب النجم إلا وهو أن تعمير المدينة وتطورها الحضاري مرهون بهذا الإنجاز من دون شك.

- المعـطـــيــات الفكـــريـــة :

كما تصادفنا في مخطوط النجم الثاقب مساحات ليست بالهينة والصغيرة تغطي الوضع الفكري وقتئذ، إلا أنه بإستقرائنا لهذا الوضع، وبعد التصفح التفصيلي لكل مكوناته، فإننا نجد الجوانب الفكرية محصورة في ثلاث لا تتعداها، وهي:

جانب العلوم النقلية:

فالنجم يعتبر وثيقة مهمة جدا، ومصورة للجانب الكبير لا تضاهيه جوانب العلوم الآخرى، وبالتالي فهو غني في هذا المجال.

المقصود بالعلوم النقلية هي تلك الروايات والآثار المنبثقة أصلا من الكتاب والسنة، إذ هما المصدران الأصليان، حتى وإن وجدت مصادر أخرى، فهي تعتبر مصادر تبعية، أي تستمد حجيتها من المصدرين المذكورين، وترتكز على منهج ورؤية بيانية ولغوية وروائية، لا على منهج البرهان كما هو الشأن بالنسبة للعلوم العقلية.

من هنا فلا نعجب إذا رأينا نصوص المخطوط تطغى فيها بنسبة كبيرة لا مثيل لها صور هذه العلوم النقلية من حديث وفقه وتفسير إلخ ...

لأجل هذا كله نرى صاحب المخطوط يشيد ويمدح بكثرة تراجمه لا لشيء إلا أن أصحابها اشتهروا بمثل هذه العلوم النقلية.

جانب الخزائن العلمية: كما حملت ترجمت إبراهيم التازي وصف للوضع الفكري الموجود في تلك الفترة، إذ أنها لا تخرج عن سياق الخصائص المشار إليها سابقا ومما جاء في الترجمة: " كانت الخزائن مملوءة بالكتب العلمية ..." وكان يحفز الطلبة ويشجعهم على العلم، كما أقام" سوق الأذكار بوهران، وأبان بها معالم الإسلام ورتب المواسم الشرعية، ونبه على الآداب الدينية والدنيوية..."،كما كان ينسخ كلام سيدي الهواري بخطه ويجمعه في دفاتر ...." وهذه المعلومات القيمة، توضح جاليا الدور الكبير الذي لعبته الزاوية إبراهيم التازي، ومكتبته العامرة في نشر العلوم واستقطاب العلماء إلى منطقة وهران، كما تعتبر هذه النصوص مرجعا أساسيا ومهما للباحثين والمؤرخين المختصين في تاريخ المنطقة.

جانب العلوم العقلية: أما الوجه المقابل للعلوم النقلية ، أو ما يعرف بالعلوم العقلية من فلسفة ومنطق وطب وكيمياء وحساب إلخ ... فالمخطوط يخلو منها تماما، بل قد يكون من خاض في مثل هذه العلوم ينظر إليه نظرة مقيتة ومختصرة، ويوصف بشتى نعوثات التكفير والزندقة، وقد يعرض هذا حياته للخطر والتصفية نظرا لسيادة النظم المعرفية البيانية والعرفانية.

الــصراع بــين الــفــقهــاء و المــتــصوفــــة :

فهناك نصوص فيه تعد مادة معتبرة في تصوير هذه الظاهرة (صراع الفقهاء- المتصوفة) في مرحلة من مراحلها بالنسبة للغرب الإسلامي، والتي كانت تصل أحيانا إلى حد التصفية من خلال الوشاية لدى الحكام من قبل طرف ضد الآخر كما حدث والأمثلة كثيرة، نذكر منهما: ما جاء في ترجمة "إبراهيم البلفيقي " سعى به بعض الحسدة من المتفقهة، وكتبوا لصاحب مراكش، بأن أب إسحاق انضم إليه جمع كبير من المريدين ... فركب البحر ودخل المستنصر، فهابه هيبة عظيمة وسأله الدعاء ..."، وما جاء أيضا في ترجمة أحمد بن عطاء الصنهاجي المعروف بابن عريف " الذي اشتكاه قاضي المرية ابن الأسود لدى الخليفة علي بن تاشفين والذي حمل أسيرا إليه، وفي النهاية فك قيوده وأطلق سراحه ... فلم يكتف القاضي بهذا الأمر بعدما خاب سعيه، فوضع سما لابن العريف في الطعام، فأكله هذا الأخير فمات ".

هذا كله حفاظا على المصلحة الخاصة لهؤلاء الفقهاء، التي تمثلت في المحافظة على المكانة والرتبة القريبة جدا من الحكام، إذا ما فتئ المتصوفة يحذرون السلطة منهم باعتبارهم جسرا ومطية تفضي بهم إلى ما يغضب الله من الظلم والتجاوزات في الدنيا، وسوء العاقبة في الآخرة.

وهو كما نعلم صراع قديم قدم ظهور التصوف الذي اصطلح عليه بالسلبي والذي ما زاد في وثيرته وغداه بقوة، كما يخرج بذلك الباحثين المختصين للتأريخ لهذه الظاهرة هو الغزالي في كتاب " إحياء علوم الدين "، الذي يعتبر في الحقيقة

سلاحا في يد المتصوفة (أهل و طلاب الحقيقة) في مواجهة الفقهاء (وهو ما اصطلح عليهم بطلاب الرسوم والشريعة).

لا شك أن الصراع سيستمر إلى أن يفوز جانب المتصوفة تماما، إذ ما بقي في الأخير إلا فقهاء قليلون اضطروا في نهاية المطاف إلى الإنصهار في تيار التصوف الجارف، هذا، والدخول في مرحلة جديدة فكرية عرفها الغرب الإسلامي خصوصا المغرب، ألا وهي التصوف الشعبي لا التصوف العالم (أو النخبوي) الذي يعتبر هذا المخطوط مصدرا من مصادر التأريخ له سيصير التصوف خلالها متناول الجميع، و ليس حكرا على أهل العلم، كما عهدناه قبل ذلك.

- ظـــاهـــــرة الــمــكـــتـــبـــات :

قد نحكم مع وجود المكتبات في مدينة ما بكثرة الكتب وتطور الحياة الفكرية والروحية، حيث ستكون مثل هذه المدينة قبلة للعلماء وطلبة العلم، لترسيخ لنهل العلوم والإستزادة منها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تدل هذه الظاهرة على مدى ما وصلته هذه المدينة في مجال صناعة الكتاب: تأليفا ونسخا، وجمعا.

وهذا بلا شك ما شهدته وهران، في عهد إبراهيم التازي، حيث يورد صاحب النجم ضمن مخطوطه نصا في حق هذا الشيخ وما كانت تزخر به زاويته من " الخزائن المملوءة بالكتب العلمية، وآلات الجهاد ".

بمعنى أن الزاوية كانت تضم مكتبة علمية ومستودعا للأسلحة، كما نخرج باستنتاج فيما يخص مدينة وهران، أنها كانت تعيش دوما هاجس الحذر والخوف من الهجومات وتحرشات الخصوم، خصوصا الاسبانية والمتتالية عليها باستمرار، نظرا لموقعها الساحلي المقابل تماما للجهة الأوروبية، وبالخصوص منها شبه الجزيرة الإيبيرية، التي كانت تتزعمها إسبانيا المسيحية، بمشروعها الرامي للاستحواذ على المناطق الساحلية المغربية – منها وهران – بعد مطاردة المسلمين من شبه الجزيرة ونقل الحرب منها على أرض المغرب.

كما أن هذه المكتبة كانت تحفظ بها آلات و وسائل الحرب في نفس المكان الذي تحفظ به الكتب، وهذا إن دل عن شيء، فإنما يدل على أهمية آلات الحرب في

هذه المدينة، التي ما إستودعت بالخزائن مجاورة للكتب إلا للدفاع عنها، بل نجدها في مدينة وهران من خلال النص مصاحبة وجاورة بالكتب لا الأفراد، هذا ما يسمح بتهريبها وقت الأخطار والغارات وتخليصها من التخريب والحرق ...

من هنا فالمخطوط في هذا الباب مصدر رئيس أولي لم يسبق بغيره سجلت فيه مثل هذه المكتبة لزاوية إبراهيم التازي، وما رافقها بجوارها مباشرة من مستودع آلات الحرب.

كما أن لهذا النص قراءات شتى يخرج بها المختصون وتساعدهم على إماطة اللثام بالنسبة لقضايا فكرية، وروحية وعسكرية تتعلق بمدينة وهران – يومها – خاصة، والمدن المغربية عامة، وهذا بحكم العلاقات الموجودة بينها من جهة وخضوعها لمنظومة و بنية فكرية وثقافية واحدة.

سادسا : أسلوب المخطوط :

يتميز أسلوب ابن صعد في مخطوطه " النجم الثاقب " بالبساطة اللغوية إذ هو سهل القراءة والفهم، ويكاد يكون في متناول الجميع، حيث لا نجد صعوبة في إدراك معانيه، نظرا لاستعماله الأسلوب اللغوي المباشر، وقلة الصور البلاغية والبيانية وكل ما له علاقة بفنون البلاغة، قد يكون ذلك مبررا لمخاطبة عصره يومها كما له مبرر آخر وهو أن خطاب ابن صعد كان موجها لكل الفئات و المستويات.

زد على ذلك أن كثرة الاستطرادات، والتي قد تطول أحيانا وتبعد عن المناسبة، فمثلا حين يتكلم عن ترجمة أشتهر صاحبها بالصدق، فإنه مباشرة ينتقل إلى موضوع الصدق مبدئيا ويسرد فيه كل ما جاء حوله من آيات قرآنية وأحاديث نبوية فضلا عن الأبيات الشعرية، هذا ما يجعله يعقد صفحات طوال.

ونفس الشيء عند حديثه عن هذه الترجمة المطولة، يذكر مثلا احترامه وتقديره لأهل البيت، فيرد الأحاديث النبوية الشريفة التي تنطوي في هذا الباب فنجده مثلا يذكر حديث النبي – صلى الله عليه وسلم – (منا المنصور ومنا السفاح ومنا القائم)، فيعرج للحديث على الخليفة القائم بأمر الله، فيذكر خصاله ومناقبه، و قصته مع القائد البساسري.

من هنا جاء بمثل هذه البساطة، وبهذا الأسلوب المباشر، هذا من ناحية الأسلوب.

كما يلاحظ أنه سجلت على المخطوط بعض الأخطاء اللغوية و الإملائية مثل ساداة، يرا، الرضا، كسرة، ولا ندري أهي من عمل الناسخ أم المؤلف؟

ونستطيع أن نقول أن مثل هذا المنهج الذي تبعه، يخرجه من التأريخ للتراجم إلى كتابة المواعظ.

من هنا نخرج أن مخطوطه هذا جاء جامعا بين المواعظ و التراجم.

سـابـعـا : المـصـادر التـي نقـل مـنـهـا ابـن صعـد :

لقد استخدم ابن صعد في كتابه "النجم الثاقب" مصادر متنوعة من كتب للتصوف، والتراجم، والتاريخ، على كتابه هذا أنه في تعريفه بالأعلام المشرقية يرجع كلية إلى المصادر المشرقية، ككتاب صفة الصفوة الذي ينعته هو بالصفوة وقوت القلوب للمكي، والرسالة للإمام القشري، وفي التعريف بالأعلام المغربية استخدم المصادر المغربية، كترتيب المدارك للقاضي عياض، والتشوف للتادلي وحين ترجم للأندلسيين استخدم المصادر الأندلسية، ككتاب الصلة لأبي القاسم والتكملة لابن عبد الملك، وأعلام مالاقة لابن عسكر، والإحاطة لابن الخطيب.

و هذه بعض المصادر التي إقتبس منها :

1- كتاب قوت القلوب لصاحبه الحارثي[1]، وهو محمد بن علي المكي من الرجال الصلحاء والمجتهدين في العبادة، صاحب مصنفات كثيرة خاصة منها في التوحيد، و الكتاب يقع في جزئين، حيث يطيل المؤلف فيه في التعريف بالمتصوفة الذين ترجم لهم، فيذكر مآثرهم ومناقبهم، استخدمه في التعريف بإبراهيم بن أدهم في صفحة 71.

2- الرسالة القشيرية لصاحبها عبد الكريم القشيري[2]، يقع في جزئين جمع فيها صاحبها تراجم الصوفية من مآثر ومناقب، كما ذكر فيها أحوالهم وأخبارهم استعملها في التعريف بأحمد بن حنبل في صفحة 152- 153.

3- أنس الفقير لابن قنفذ [3] وجمع هذا الأخير في الكتابة بين مواضيع ومواضيع تراجم المتصوفة، وإن ركز على الجانب الأول، لهذا أدمجناه في كتب التصوف، كما يعتبر الكتاب من كتب الرحلات الزيارية التي قام بها ابن قنفذ، في زيارة الأولياء والمتعبدين، و هو يدرس الفترة الزمنية لأواخر القرن الثامن الهجري،/

---

[1] إبن الحارث، محمد بن علي – قوت القلوب في معاملة المحبوب و وصف طريق المريد إلى مقام التوحيد – شركة و مطبعة مصطفى البابلي الحلبي و أولاده بمصر – 1381هـ / 1961م.

[2] عبد الكريم بن هوزان – الرسالة القشيرية – تحقيق : معروف رزيق و علي عبد الحميد أبو الخير– دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع – الطبعة الثانية – 1415 هـ / 1995 م.

[3] إبن قنفذ، أحمد بن الخطيب – أنس الفقير و عز الحقير– تحقيق: محمد الفاسي وأودولف فور– منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي – الرباط – 1965 م.

الرابع عشر الميلادي و القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي فبذلك يعتبر صورة كاملة لمميزات ذلك العصر، أخذ عنه ابن صعد حين التعريف بأحمد بن عاشر في صفحتي 206، 207.

4- صفة الصفوة لصاحبه ابن الجوزي[1]، عبد الرحمن بن علي، أبو الفرج والذي يسميه هو بالصفوة، ولا شك أنهما كتاب واحد بدليل نجد نفس الحالات بتفاصيلها في الصفة، والتي ينعتها هو بالصفوة، ومؤلف الصف مشهور، مفسر وفقيه وصاحب مصنفات عديدة في التفسير وأصول الدين، والفقه والحديث والتاريخ كما أن الكتاب جمع فيه تراجم الصحابة والتابعين والعابدين، استخدمه في التعريف بإبراهيم الخواص في صفحتي 77،78، وفي التعريف بأحمد السبتي في صفحتي 151، 153.

5- ترتيب المدارك للقاضي عياض، [2] وإن كان ترتيب المدارك هو ترتيب للفقهاء المالكية أكثر منه تراجم للمتصوفة، ومؤلفه من العلماء المشهورين بالمغرب في علوم شتى من تفسير وفقه وحديث، بارع في اللغة والنحو، والكتاب يقع في جزأين، أخذ منه في التعريف بابراهيم الجبنياني فيصفحتي 81، 82.

6 – التشوف إلى رجال التصوف لابن الزيات التادلي[3]، ترجم فيه لمأتين وثمانية وثلاثين شخصية من متصوفة المغرب الأقصى، جمع فيه مناقبهم ومآثرهم كما اقتبس منه كثيرا لأبي العباس السبتي مقارنة بغيره، لأن الكتاب كما هو ظاهر من عنوانه، خاص بذكر مناقب و سجايا أبي العباس السبتي، استعمله اب صعد في التعريف بهذا الأخير عدة مرات في صفحات 183، 184، 187، 188، 192.

---

[1] إبن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- الطبعة الثالثة 1419هـ/1998م.

[2] القاضي عياض – ترتيب المدارك وتقريب المسالك لعلماء مذهب مالك – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى – 1418هـ / 1998 م.

[3] إبن الزيات، يوسف بن يحيى، أبو يعقوب – التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي عباس السبتي – تحقيق: أحمد توفيق – الطبعة الثانية – 1997 م.

7- الذيل والتكملة للقاضي ابن عبد الملك [1]، وإن كان الذيل والتكملة تراجم خاصة لمتصوفة وغيرهم من لغوين ومؤرخين مالكية في الغالب وفقهاء إلخ ... فضلا عن كونهم مغاربة وأندلسيين، استعمله في التعريف بإبراهيم البلفيقي في صفحة 88.

8 - الصلة لابن بشكوال [2]، وإن كان نفس الكلام السابق ينطبق على هذا الكتاب، استخدمه في التعريف بأحمد بن عطاء الصنهاجي في صفحة 176.

9- الإحاطة في أخبار غرناطة لصاحبه لسان الدين ابن الخطيب[3]، يقع في أربعة أجزاء هو عبارة عن موسوعة تاريخية وأدبية وجغرافية، كما يعتبر من أهم المصادر الأندلسية في التراجم، وصاحبه محمد بن عبد الله الغرناطي مؤلف مشهور، و صاحب تآليف مشهورة كذلك، منها " اللمحة البدرية في الدولة النصرية " " الإحاطة في أخبار غرناطة "، استخدمه في التعريف بإبراهيم التنوخي في صفحة 93.

10- نفاضة الجراب في غلالة الاغتراب للسان الدين ابن الخطيب[4] يقع في أربعة أجزاء، طبع منه جزء واحد، وهو عبارة عن مذكرات ابن خطيب الشخصية عن المدة التي قضاها في المغرب الأقصى مع السلطان الغني بالله في منفاهما، استعمله في التعريف بأحمد بن عاشر في صفحتي 205، 206، كما استخدمه في التعريف بأحمد أبو العباس السبتي، ولكن لم نعثر عليه في هذا الجزء المنشور، ولا في مؤلفاته المطبوعة الأخرى السالفة الذكر، وعليه نرجح أن يكون في أجزاء نفاضة الجراب المفقودة.

---

1 إبن عبد الملك، محمد بن محمد، المراكشي – الذيل و التكملة – تحقيق : محمد بن شريفة – دار الثقافة – بيروت – لبنان – القسم الأول.

2 خلف بن عبد الملك، أبو القاسم – الصلة – الدار المصرية – 1966 م – الجزء الأول.

3 إبن الخطيب، محمد بن عبد الله، أبو عبد الله – الإحاطة في أخبار غرناطة – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى– 1424 هـ / 2003 م.

4 إبن الخطيب – نقاضة الجراب في غلالة الإغتراب – دار النشر المغربية – الدار البيضاء – بدوت تاريخ الطبع.

11- وفيات الأعيان لشمس الدين بن خلكان [1]، فهو تراجم عامة لشخصيات علمية وأدبية، وفقهية متنوعة المذاهب والنحل بالنسبة العالم الإسلامي مشرقا ومغربا والكتاب مؤلف ضخم يقع في ثمانية مجلدات، استعمله في التعريف بإبراهيم الشيرازي في صفحة 84.

كما أن هناك مصادر أخرى إقتبس منها، لكننا برجوعنا للفهارس المختصة لم نعثر عليها في كتب المنشورات ولا المطبوعات، بل هي في عداد الثرات المفقود حسب معرفتنا المتواضعة، كما دلت عليه الفهارس المذكورة، ومن نماذج هـذه الكتب:

كتاب "المجالس المكية" لأبي حفص عمر الميانشي، وكتاب " الأمثال الحديثية " لأبي محمد بن الحسن بن خلاد ...

إضافة إلى المصادر المختلفة التي إستخدمها ابن صعد في كتابه "النجم الثاقب " كما ذكرنا فإنه رجع كثيرا إلى الروايات الشفوية في سياقات مختلفة كقوله " حدثني من أثق به " ومرة " حدث من عني بتقييد أخباره " وأحيانا أخرى" حدث بعض الصالحين " كما أنه ذكر أسماء الرواة مرات عديدة.

وفي التعريف ببعض الأعلام المغاربة، إعتمد ابن صعد على الرواية الشفوية المباشرة التي سمعها من شيوخه أو من بعض من يثق بهم كما ذكر، ومنها نذكر ما جاء في التعريف بإبراهيم المصمودي بقوله : " حدثنا به عنه شيخنا الإمام خاتمة العلماء بتلمسان سيدي محمد بن العباس، قال فيه : " وممن هو في عداد أشياخي وحصل لي النفع بمجالسته ... "

وفي نص آخر في الحديث عن إبراهيم التازي بقوله:" حدثنا بفوائده وعلومه ومنشوره ومنظومه شيخاي الفاضلان أبو عبد الله التنسي والسنوسي بحق قراءتهما عليه وإجازته إياهما بجميع روايته و مقولاته". وفي عبارة أخرى " حدثني ثقة من السادات من أصحابه من أثق بهم ".

---

[1] إبن خلكان، أحمد بن محمد، أبو العباس – وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان – تحقيق : إحسان عباس – دار صادر– بيروت – بدون تاريخ الطبع.

أما في روايات أخرى، لم يحدد أصحابها، بأعيانهم ولكن بصغة الجزم واليقين كقوله في الحديث عن إبراهيم الحربي وعن بعض الصالحين: "مرض إبراهيم الحربي مرضا أشرف منه على الموت، وضاقت المعيشة مع أهله و ولده، وشكته ابنته لرجل من أصحابه ..." وفي لفظ آخر في الحديث عن إبراهيم التنوخي الأندلسي بقوله حدث بعض الثقاة : " لما ولي الناظر في أحباس المسجد، وقال له نفسي تحدثني الخشب الذي تعلقت به قد اختل، فاجتمع الناظر بالبنائين، وكشفوا عنها فعظم حادثها في الناس ".

بينما في بعض الترجمات،عزا روايات لأناس لم يحددهم بأعيانهم،لكن بصغة تمريضية، كما جاء في ترجمة أحمد بن يوسف بن سليم المعارفي الغرناطي: "حدثوا عنه أنه لم يتخذ قط لنفسه سكن يأوي إليه، وإنما كان منفردا في مسجده المعروف به لتلاوة كتاب الله – عز و جل – ليلا ونهارا يتلوه في كل الأوقات التي يصلي فيها ... هذا حاله إلى أن فارق الدنيا".

وهكذا تدور رواياته الشفوية بين طرق محصورة معروفة، كانت متداولة في التراث الإسلامي، بدءا من تدوينه حتى عهد المؤلف لدى المحدثين أصالة و غيرهم من لغوين و المتصوفة تبعا.

ثـــامنـــا : الـــمـــصـــادر الـــتي نـــــقلت عـــــن ابـــــن صـــعـــد :

ومن المصادر التي نقلت عنه :

1- " البستان " لابن مريم، الذي يعتبر بدوره مصدر توثيق مهم لا غنى عنه في التعريف بالمتصوفة و الأولياء.

و من المتصوفة الذين عرف بهم صاحب البستان، و نقل عن النجم الثاقب ما جاء في ترجمة إبراهيم التازي بقوله: "قال الشيخ ابن صعد: " وأخذ بمكة عن علامة علمائها كبير محدثيها قاضي القضاة المالكية سيدي الشريف تقي الدين الحسني الفاسي، قرأ عليه كثير الحديث و الرقائق و أجازه، و أخذ بمكة عن جماعة منهم أبو بكر القرشي وغيره، وبتونس عبد الله العبدوسي، وبتلمسان عن علامة وقته وخاتمة علماء عصره محمد بن مرزوق، ثم قصد وهران لزيارة شيخ المشايخ لسان الحق وحكيم أهل زمانه الهواري " [1].

كما نقل عنه نص آخر في التعريف بإبراهيم المصمودي، بقولـــه قال ابن صعد: " كان هذا الولي أحد من أوتي الولاية صبيا، ورحل من رئاسة العلم والزهد مكانا عليا، أخذ بالغاية القصوى في الورع والزهد والإيثار مثابرا على البر ..."[2].

2- " نيل الابتهاج "، للتنبكتي، ومن هؤلاء المترجم عندهم لهم نقلا عن النجم الثاقب ابن عاشر الأندلسي بقوله: قال ابن صعد في النجم الثاقب:" كان أحد الأولياء الأبدال معدودا في كبار العلماء، مشهورا بإجابة الدعاء، معروفا بالكرامات، مقدما في صدور الزهاد، منقطعا عن الدنيا وأهلها، ولو كانوا من صالحي العباد، ملازما للقبور في الخلاء المتصل ببحر مدينة سلا، منفردا عن الخلق، لا يفكر في أمر الرزق، له أخبار جليلة وأخبار مشهورة ... " [3].

---

1 إبن مريم، محمد بن أحمد أبو عبد الله – البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – 1986 م – ص : (58-63).

2 المصدر نفسه – ص : (64-66).

3 التنبكتي، أحمد بابا – نيل الإبتهاج بتطريز الدباج – منشورات الدعوة الإسلامية – طرابلس – الطبعة الأولى- 1989 م – ص : 96-97.

كما نقل نصوص أخرى في التعريف بكل من إبراهيم المصمودي نزيل تلمسان وأحمد بن محمد بن عطاء الصنهاجي.

3- كما اقتبس منه ابن القاضي في كتابه "جذوة الاقتباس"، في التعريف بكل من محمد الصباغ، و محمد اليصوتي ومحمد بن إبراهيم المهديوي، وللإشارة فإن هذا الاقتباس ليس من جزئنا المحقق الأول، لكن في الجزء الرابع الذي يبتدئ فيه لمن يحمل حرف الميم [1].

4- " نفح الطيب " لصاحبه المقري، بقوله:" وقال بلديونا أبو عبد الله بن صعد التلمساني في كتابه النجم الثاقب في حديثه عن الولي أبي العباس بن عاشر: " كان ابن عاشر أحد الأولياء الأبدال، معدودا في كبار العلماء، مشهورا بإجابة الدعاء، معروفا بالكرامات، مقدما في صدور الزهاد، منقطعا عن الدنيا وأهله، قصده أمير المؤمنين أبو عنان، وارتحل إليه سنة سبع وخمسين وسبعمائة، فوقف ببابه طويلا، فلم يأذن له وانصرف، فكتب له كتابا يستعطفه لزيارته، فأجابه بما قطع رجاءه منه و أيأسه من لقائه، فاشتد حزنه وقال هذا ولي أولياء الله تعالى حجبه عنا " [2].

5- " الإستقصا" للناصري، في التعريف بابن عاشر، حيث قال، قال ابن صعد: " له أخبار جليلة و كرامات عجيبة مشهور، ممن جمع الله له العلم والعمل شديد الهيبة، عظيم الوقار، كثير الخشية ... "[3].

وإن كانت هذه المصنفات باختلاف أنواعها، كما هو ملحوظ قد أخذت عنه بطريق مباشر في التوثيق ببعض التراجم، وأحداث ليست بالقليلة هذا ما يضفي

---

1 إبن القاضي – جذوة الإقتباس في كل من حل مدينة فاس – دار منصور للطباعة – الرباط – القسم الأول – ص : 273–274.

2 المقري، أحمد بن محمد– نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب– دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى 1415 هـ/ 1995 م – الجزء التاسع – ص : 207.

3 الناصري، أحمد بن خالد أبو العباس – الإستقصا في دول المغرب الأقصى – تحقيق : جعفر الناصري و محمد الناصري – دار الكتب – دار البيضاء – 1954– الجزء الرابع – ص : 82.

أهمية للكتاب، ويزيد تأكيدا صحة نسبة النجم لصاحبه ابن صعد، بصورة يقينية لا يعتريها شك ولا ريب.

6- " تعريف الخلف برجال السلف، " لأبي القاسم الحفناوي، حين ترجم لكل من إبراهيم التازي، وإبراهيم المصمودي أورد نصوصا عنهما نقلا عن إبن صعد في النجم[1] .

---

[1] الحفناوي، محمد بن إبراهيم، الدسي – تعريف الخلف برجال السلف – مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الثانية – ص : (16-18).

تـــاســـعـــا : وصــــف الـــنــــسـخ

1. وصف النسخة ك : سعيا لتسهيل البحث، وعملا بالمقاييس التي جرت عليها الدراسات العلمية الأكاديمية استعملنا نسختين : نسخة رمزنا لها بـــ " ك " واعتبرناها الأصلية لأنها قديمة، و هي لصاحبها الأصلي الكتاني، موجودة في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1292 ك في ثمانية أجزاء، مشكلة من مائة وثمانية وعشرون ورقة (تقع كل ورقة في وجهين) أي في مائتين وستة وخمسين صفحة، مرفقة في النهاية بأوراق بها فراغات، كما أن خطها غير واضح، وبالجهة اليمنى واليسرى لهذه الأوراق توجد مجموعة من الأذكار والأدعية، مع الملاحظ أن تاريخ النسخ بها مكتوب في الأخير.

أما نسخة الجزء الأول الذي قمنا بتحقيقه فهي تتكون من سبعة وأربعين ورقة على وجهين، و تشمل كل ورقة على ثلاثة وعشرين سطرا من الحجم المتوسط (21 سم X 15) سم، وأن خطها يعتبر خطا مغربيا مقروءا، ما عدا بعض الأوراق التي تصعب قراءة أطرافها العلوية بسبب آثار الحبر والماء.

أما تاريخ الإنتهاء من نسخ المخطوط فإننا نجده مسجلا فـــي نهايـــة الجـــزء الأول من كتاب النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب بالعبارات الحرفيـــة الآتية : " وكان الفراغ من نسخه يوم الجمعة قبل صلاة الظهر الخامس والعشـــرين من جمادى الأولى عام تسعين وتسعمائة، على يد العبد المعترف بالعصيان، الراجي رحمة الرحمن، المتوسل بأوليائه وأصفيائه وأحبابه، أهل الفضل والامتنان عبـــد الله بن عمر بن عثمان بن عبد الواحد بن عمر بن داود الترغي وطنا، نفس الله كربتـــه وغفر حوبته، ووالديه والمسلمين أجمعين، والحمد لله رب العالمين ".

2. وصف النسخة د : أما النسخة الثانية فرمزنا لها بـــ " د "، وهي مخطوطة موجودة في المكتبة العامة بالرباط تحت رقم 1110 د، و تعتبر من الحجم المتوسط بقياس (21 سم X 15سم).

تشمل النسخة د على سبعة وستين ورقة، تحتوي كل واحدة على وجهين ضمن وجه واحد فقط (إذ الوجه المقابل فارغ تماما من الكتابة)، وتشمل كل ورقة على سبعة عشرة سطرا، مكتوبة بخط مغربي كبير وواضح، خالية تقريبا من آثار الحبر والبياض، ليس بها تاريخ النسخ.

كما لا يفوتنا أن نشير إلى نسختين أخريتين للمخطوط متوفرة لدى المكتبة الملكية بالرباط، وهما اللتان أشار لهما الباحث أبو القاسم سعد الله [1]، واحدة منها تحمل رقم 2491، استعملها في التعريف بابن صعد و كتابه، في ورقتين، وأخرى ذكر أنه لم يستغلها، و لم يطلع عليها، وتحمل رقم 2721.

كما ننوه بوجود نسخة لهذا الجزء تحت رقم ب: 01 بالمكتبة الوطنية بالجزائر دخلت حديثا ومؤخرا ضمن ما اشترته من المكتبة الخاصة لرابح بونار بعد وفاته، وهي ضمن المخطوطات المستنسخة على الورق تحتوي على ثمانية وأربعين ورقة بوجهين، وهي من الحجم الصغير، مكتوبة بيد نفس ناسخ نسخة ك 1292 .

عـــاشـــرا : طـــريـــقـــة الــــتـــحـــقـــيـــق :

بهدف الحفاظ على كل محتويات المخطوط، كما تركها المؤلف، وكما يكون سجلها النساخ الأوائل، سلكنا المراحل الآتية في عملنا هذا المتمثل في تحقيق المخطوط :

- جعلنا نص النسخة " ك " أصلا، أي أننا لم نمس النص المنقول منها إلا نادرا، وذلك عندما لاحظنا فيها نقصا، وأشرنا في الهامش إلى ما أضفناه.

- أشرنا دائما إلى النقص متى وجد، ومهما كانت النسخة المعتمدة التي سقط منها الكلام، سواء كان هذا السقط ألفاظا، أو عبارات، أو أبياتا شعرية.

- أثناء تحقيق الألفاظ أشرنا إلى الأخطاء النحوية والإملائية، وذلك بتصحيحها والإشارة في الهامش إلى الخطأ الموجود في أي نسخة كانت، وفي بعض الأحيان

---

[1] سعد الله – المصدر السابق– مج 2 – ص : 75.

أشرنا إلى عبارة (ما أثبتناه هو الصحيح)، مثل المواساة بدل المواسات، كسرة بدلت كسرت يرا بدل يرى.

– لقد كتب الناسخان بعض الكلمات بطريقة ذلك العصر، كمثل بيننا بدل بينما وهاذا بدل هذا، إرتئينا تركها كما هي، وذلك لكثرتها فلو أشرنا لها لأكثرنا الهامش بمثل هذه الملاحظات.

– قمنا بكتابة اسم كل علم ترجم له في النص بحروف بارزة، وبمداد حامق في وسط الورقة، بدل ما كان مكتوبا في الأصل على يمين الورقة.

– اتبعنا ذلك بوضع نوعين من الأرقام، داخل النص فالأولى تحيل على التعليق وهي متسلسلة، تسهيلا للإحالة من تعليق إلى تعليق آخر، والثانية إلى رقم الورقة في النسخة الأصلية مع وضع الرقم بين خطين مائلين (/ /) بمعنى ورقة جديدة قد بدأت في النسخة الأصلية رقم ك.

– كما أحلنا أغلب المصادر والمراجع التي ترجمت لكل شخصية في الهامش، هذا تسهيلا على للباحثين.

– ومن بعض الإضافات التي قمنا بها على هذه النسخة، وضعنا بعض العناوين في ترجمة إبراهيم التازي، نظرا لطولها، فكتبنا بخط واضح وكبير هذا فيما يخص إثبات النص.

أما بخصوص التعاليق فإننا انتهجنا المنهجية الآتية :

– نظرا لغموض بعض الألفاظ الصعبة، قمنا بشرحها ليسهل فهمها عند القارئ، ولم يحدث هذا إلا نادرا.

– الزيادة والنقصان وضعناها بين معقوفتين

– الآيات القرآنية أشرنا لها بوضعها بين قوسين منمنقين، مع ذكر الآية ورقم الصورة.

– الأحاديث النبوية أشرنا لها بوضعها بين قوسين عاديين ثم خرجناها وذكرنا مصادرها الحديثة ، مع تحقيقها بذكر درجة الحديث من حيث القبول أو الرد في آخر المطاف، وهذا بعد أن رجعنا إلى أهل الاختصاص في هذا الباب، كما

أشرنا إلى عدم وصولنا إلى تخريج بعض الأحاديث النبوية رغم بحثنا عنها في أمهات كتب الحديث، ومشورة أهل الاختصاص، ولحسن الحظ أنها وردت يسيرة جدا.

- بالنسبة للأبيات الشعرية قطعنا بحورها .

- وتيسيرا وعملا بمنهج المؤرخين أثرنا على أسماء الأشخاص ونظرا لكثرتها لم نقم بتعريف كلها، لأن مثل هذا سيثقل الهامش بالأعلام، واستغنينا عن المعروف منها، وحاولنا التعريف بمن ليس معروف، كما نشير إلى أننا لم نتوصل إلى معرفة بعض الأعلام، وهي قليلة جدا، رغم بحثنا عنها في أمهات كتب التراجم منبهين إلى ذلك بالهامش، نفس الشيء سلكناه مع المدن والقبائل.

- وتيسيرا كذلك لاستعمال الكتاب وتقييم محتواه، قمنا بمقابلته بالمصادر التي تناولت الأعلام التي ترجم لها، وذلك لملاحظة أوجه التشابه والاختلاف بينها ومن هذه المصادر نذكر :

- تاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطي.
- وفيات الأعيان لابن خلكان.
- صفة الصفوة لابن الجوزي.
- روضة النسرين لابن صعد.
- نيل الابتهاج للتنبكتي ... إلخ.

-أخيرا حاولنا التعريف ببعض الكتب، بذكر أجزائها، وتاريخ طبعها، كما أشرنا إلى عدم التوصل إلى بعض منها، رغم المحاولات العديدة لذلك في رفوف المكتبات العامة والخاصة، كرحلة ابن رشيد، وجزء من الذيل والتكملة لابن عبد الملك والتي هي على ما يبدو في حكم المفقود كما أشرنا إلى ذلك من قبل.

مــقــدمــة المــؤلــف :

/1/ الجزء الأول من كتاب النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب مما ألفه بإشارة مولانا الملك السلطان الإمام الماجد، الحافل الهمام، الرفيع القدر والهمة، خليفة الله في الأمة، أمير المسلمين، مولانا أبو عبد الله، نصره الله، عبد نعمتهم، الداعي إلى الله بانفساح مدتهم عبيد الله، وخديم أوليائه، محمد بن أحمد بن أبى الفضل بن صعد، لطف الله به، ورزقه رضاهم بمنه وفضله.

ذكر ما اشتمل عليه هذا الجزء المبارك من أولياء الله، نفعا الله ببركة الجميع بمنه، فيه الحروف الألف، فممن اسمه إبراهيم.

إبراهيم بن أدهم، إبراهيم بن أحمد الخواص، إبراهيم بن إسحاق الحربي إبراهيم بن أحمد القيرواني، إبراهيم بن علي الشيرازي، إبراهيم بن سعد الحسني إبراهيم بن محمد البلفيقي، إبراهيم بن أحمد السبائي[1]، إبراهيم بن موسى الدكالي إبراهيم بن محمد التنوخي، سيدي إبراهيم المصمودي، سيدي إبراهيم التازي.

وممن اسمه أحمد: أحمد بن هارون الرشيد، أحمد بن محمد بن حنبل، أحمد بن أبي الحواري أحمد بن نصر الخزاعي، أحمد بن محمد النوري، أحمد بن هارون بن مسروق الطوسي، أحمد بن عطاء، أحمد بن نصر الداودي، أحمد بن عبد الله أبو نعيم، أحمد بن أبي الربيع المالقي، أحمد بن العريف، أحمد الرفاعي، أحمد بن عبد العزيز السلاجي، أحمد أبو العباس السبتي، أحمد بن إبراهيم الفنجاري، أحمد بن عبد المجيد المالقي، أحمد بن الحسن أبو جعفر الزيات، أحمد بن عاشر، نفعنا الله ببركتهم، ومنّ[2] علينا بقربهم[3]. **/2/**

---

[1] في ك ود السباءي، والصحيح ما أثبتناه.
[2] في ك و د هنا و الصحيح ما أثبتناه.
[3] ساقطة في د

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

الحمد لله الذي شرح بالعلم لأوليائه صدورا، وجعل أولي التقوى من المؤمنين شموسا وبدورا، تفضل على أوليائه فحرك خواطرهم إلى معرفته، وملأها بأنوار هيبته ومحبته، ورفع بعضهم فوق بعض درجات في سابق قسمته، أضاءت بهم العوالم نورا، وتراءت لهم الملائكة بهجة وسرورا.

وصلى الله وسلم على من لا مطمع لأحد في نيل رتبته، وكفاه فخرا صلاة المولى عليه مع صلاة ملائكته، سيدنا ومولانا محمد خاتم الأنبياء وفاتح سبل الخيرات لصفوة أوليائه، وزمرة أحبائه، المبعوث داعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا وعلى آله البررة الكرام، وأصحابه الجلة الأعلام، وأتباعه الذين أقاموا منار ملته ونصبوا أعلام محجته، وأقروا بالعجز عن بلوغ كنه حقيقته، فاستوجبوا من جميل الذكر، وعظيم الفخر درجات عالية وأجورا.

أما بعد:

فهذا الكتاب النجم الثاقب، فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب، يضم أعلامهم وينشر مآثرهم وأيامهم، أشار بجمعه وانتقائه من دواوين هذا الفن وأجزائه، من جعل الله طاعته من اللوازم، وأيام دولته كالأعياد و المواسم، باسط العدل والأمان المستولي على أمد الإحسان، المنتشرة مفاخر عدله ومآثر فضله في سائر الأقطار والبلدان، علامة أمراء المؤمنين المخصوص بعناية رب العالمين، أمير المسلمين المتوكل على رب العالمين، مولاي أبو عبد الله محمد بن مولانا المتوكل على الله أمير المسلمين، تاج الملوك والسلاطين، محب أهل العلم والدين، وعميد أولياء الله المتقين، مولانا أبو عبد الله محمد ابن [مواليناً][1] الخلفاء الراشدين، أئمة الهدى والدين، أيده الله بالنصر المبين، وأبقاه عزا /3/ [للمسلمين][2] عناية منه، أيده الله بهاذه الطائفة التي جعلها الله صفوة أوليائه، ومحبة فيما خصهم الله به من الفضل على

[1] الزيادة من د.
[2] الزيادة من د.

كافة عباده بعد رسله وأنبيائه، وأعظم بها منفعة خصهم الله بها، وأرشده إليها فيما أهله لمحبة أوليائه الصالحين إلا وقد جعله منهم، ولا اصطفاه لمطالعة أخبارهم إلا وقد كتبه معهم، فقابلت كريم تلك الإشارة بقبول البدار ولسان البشارة، وجعلت على حروف المعجم ترتيب أسمائهم بذكر ما أمكن من وفياتهم وأنبائهم، والله أسأل أن ينفعه بجميل قصده، وأن يعينه على ما قلده ببركة أوليائه حزبه وجنده، كما أسأله عز وجل التسديد والهداية في البداية والنهاية.

إبراهيم بن أدهم، التميمي، البلخي، أبو إسحاق[1]:

إمام الزهاد وعالم العباد، كان رحمه الله أحد أركان علماء هذا الشأن، وسيدا من سادة أهل العرفان، بصيرا بأحكام هذه الطريقة، مدونا لأصولها وآدابها على الشريعة والحقيقة، تخرج به جماعة من أولى الأيدي والأبصار، وحصل النفع به في جميع الأمصار، قال الشيخ أبو طالب في القوت : " كان إبراهيم بن أدهم من أولياء الله المخبتين، وكان أبوه من ملوك خراسان[2] وأشراف أهل بلخ[3] وأرباب الأموال فخرج إبراهيم يوما يتصيد ومعه الخدم والبزات، فبينما هو يركض فرسه إثر أرنب أو ثعلب إذ سمع صوتا من فوقه أومن قربوس[4] سرجه: يا إبراهيم ما لهذا خلقت، يا

---

[1] أنظر ترجمته عند: المبرد، محمد بن يزيد، أبو العباس- الكاملفي الادب والفقه - دار الفكر- الطبعة الأولى 1419ه/1998م- الجزء الأول- ص: 215. الرازي، فخر الدين بن عبد الرحمن، أبو محمد - الجرح والتعديل- الطبعة الأولى- بدون تاريخ- ص:87. البستي، محمد بن حيان - مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار- تحقيق : مرزوق علي إبراهيم - دار الوفاء - الطبعة الأولى - 1411ه/1998م - ص : 390. الأصبهاني، أحمد بن عبد الله، أبو نعيم - حلية الأولياء وبلغة الأصفياء - دار الكتاب العربي بالقاهرة- ودار الريان بيروت- لبنان- 1407ه/1987م- الجزء السابع- ص:(373-430). والجزء الثامن - ص: (5-35). ابن الجوزي- المصدر السابق - مج: 4 - ص: (102-107). ابن خلكان، - ج: 1 - ص : 31-32. الذهبي، محمد بن أحمد - العبر في خبر من غبر- دار الفكر- بيروت- لبنان- الطبعة الأولى - 1418 ه /1997م - الجزء الأول - ص : 123. الذهبي - سير أعلام النبلاء - مكتبة الصفا - الطبعة الأولى - 1432 ه /2003م - الجزء الخامس - ص : (446-550). الكتبي- المصدر السابق- ج: 1 - ص : 59. الصفدي ، خليل إبن أبيك - الوافي بالوفيات - دار النشر- طبعة 1401ه/1981م - الجزء الخامس - ص: 318. إبن الملقن عمر بن الملقن، أبو الحفص - طبقات الأولياء - تحقيق: نور الدين بن شريبة - مكتبة الخانجي - القاهرة - الطبعة الثانية - 1415ه/1994م - ص :(5-11). السبكي، عبد الوهاب بن علي - طبقات الشافعية الكبرى - تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطانجي- الطبعة الأولى - 1323ه/1964م - الجزء الثاني - ص: 68. التادلي، أحمد بن عبد الرحمن - كتاب المعزى في مناقب الشيخ أبي اليعزى - تحقيق علي الجاوي - مطبعة المعارف الجديدة - الرباط - 1996م - ص : (142-355). المناوي، محمد بن عبد الرؤوف - الكواكب الذرية في تراجم السادة الصوفية - تحقيق: محمد أديب الجاوي - الطبعة الأولى - 1999م - الجزء الأول - القسم الأول - ص :(195-200). ابن مخلوف - المصدر السابق - ج : 1 - ص :255. النبهاني، يوسف بن إسماعيل - جامع الكرامات الأولياء - المكتبة الثقافية - بيروت - لبنان - طبعة 1411ه/1991م - الجزء الأول - ص :(383-385).

[2] خراسان: بلاد شاسعة، أول حدودها ما يلي بلاد العراق، وآخرها ما يلي الهند، تضم عدة مدن، منها نيسابور ومرو. الحموي،- المصدر السابق- ج: 2 - ص :305.

[3] مدينة مشهورة بخراسان، فتحها الأخنف بن القيس أيام عثمان بن عفان - رضي الله عنه - الحموي - المصدر السابق - مج: 1- ص: 479./480.

[4] هو على شكل حلزون الذي يوضع على ظهر الخيل يلي السرج من الجهة الخلفية مباشرة. الفيروزابادي، محمد بن يعقوب، تحقيق: محمد نعيم القرقاسوسي-مؤسسة الرسالة- الطبعة السادسة-1419هـ/1948م - ص: 565

إبراهيم ما هذا العبث ؟ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ﴾[1] اتق الله وعليك بالزاد ليوم المعاد، فنزل إبراهيم عن دابته، ورفض الدنيا، وأخذ في عمل الآخرة[2] ".

وكان أحد أولياء الله المعروفين بإجابة الدعاء، أخذ نفسه بطلب الحلال والإيثار، فأصبح أوحد وقته في الزهد والجود والسخاء، عن شقيق البلخي[3] قال لي إبراهيم: يا شقيق لم ينبل عندنا من نبل بالحجات[4] ولا بالجهاد، إنما نبل عندنا ما كان يعقل ما يدخل جوفه من الحلال/**4**/.

وعن أبى إسحاق الهواري قال: كان إبراهيم يؤجر نفسه في حصد الزرع وحراسة البساتين، فإذا جاء شهر رمضان حصد بالنهار وصلى بالليل، فيمر عليه شهر رمضان ولا ينام فيه ليلا ولا نهارا.

وعن إبراهيم بن بشار[5] قال: سمعت ابن أدهم يقول: ما كنت في مؤونتي قط على أصحابي ولا على غيرهم إلا في شيء واحد، ما كنت أحسن أن أكري نفسي في الحصادين، فكان أصحابي يتولون ذلك ويأخذون الأجرة فهذه كانت مؤونتي عليهم.

وعن عطاء[6] بن سلم قال: ضاعت نفقة إبراهيم بن أدهم بمكة، فمكث خمسة وعشرين يوما يستف الرمل، وعن علي بن بكار قال: كنا: جلوسا بالمصيصة[7] مع

---

[1] سورة المؤمنون – آية 115.

[2] الحارثي، محمد بن علي، أبو طالب – المصدر السابق-. والنص لم نعثر عليه في هذا المصدر بل عثرنا عليه عند القشيري – المصدر السابق- ص : 391-392. وعليه يكون قد نسبه المؤلف خطأ لصاحب قوت القلوب.

[3] هو شقيق بن إبراهيم: صاحب إبراهيم بن أدهم، وأخذ العلم عن شقيق بن عباد بن كثير، كان أستاذ حاتم الأصم، توفي سنة 194ه/810م. ابن الجوزي – المصدر السابق – مج 2 – ص : 106-107- القشيري – المصدر السابق – ص :397.

[4] في ك و د حجج، و الصحيح ما أثبتناه.

[5] أحد زهاد زمانه، صاحب سفيان بين عيينة، توفي سنة 227هـ/841 م. الذهبي – العبر – ج : 1- ص :198. الحارثي – المصدر السابق – ص : 105.

[6] أبو عثمان نزل بيت المقدس كثير الإرسال عن الصحابة، من أهل العلم والصلاح والزهد أخد عن عمر بن العباس و أنس وأبي هريرة، توفي سنة 135هـ/1321 م. ابن الجوزي- المصدر السابق- مج:1- ص:(100-102).

[7] مدينة بأرض الروم على ساحل جيحان من ثغور الإسلام. القزويني، محمد بن محمود- آثار البلاد وإخبار العباد- دار بيروت للطباعة- بيروت- لبنان- 1404هـ/1984م- ص: 111.

إبراهيم بن أدهم، فقدم رجل من خراسان فقال: يا إبراهيم إن أخواتك بعثوني إليك أنا مملوكك ومعي فرس وبغلة وعشر آلاف درهم، بعث بها إليك إخوانك، فقال له: أنت حر وما معك، فلا تخبر أحدا.

وحكى أبو طالب في " القوت " عن إبراهيم بن أدهم أنه قال: "قلت يوما: يا رب إن كنت أعطيت أحدا من خلقك المحبين إلى ما تسكن به قلوبهم قبل لقائك فأعطني ذالك: قال [فرأيت][1] رب العزة في النوم أنه أوقفني بين يديه، وقال لي: يا إبراهيم أما استحييت مني إذ طلبت أن أعطيك ما يسكن قلبك قبل لقائي، فقلت: يا رب اغفر لي، وعلمني كيف أقول، قال : قل اللهم رضني بقضائك، وصبرني على بلائك وأوزعني شكر نعمائك[2]".

وعن أحمد بن أبي الحواري[3] قال: ما فاق إبراهيم بن أدهم أصحابه بكثرة صلاة ولا صيام، وإنما فاقهم بالصدق مع الله، والإحسان لعباد الله، وعن بعض الصالحين قال: مر إبراهيم بن أدهم برجل يحدث بكلام، فوقف عليه وقال له: كلامك هذا كلام ترجوا فيه الثواب؟ فقال: لا، قال: أفتأمن فيه العقاب؟ قال: لا، قال: فما تصنع بكلام لا ترجوا فيه ثوابا، ولا تأمن فيه عقابا، عليك بذكر الله.

وعن خلف بن تميم قال: كنا مع إبراهيم بن أدهم في سفر، فآتاه الناس فقالوا له: إن الأسد قد وقف على طريقنا، قال: فأتاه فقال يا أبا الحارث إن كنت أمرت فينا بشيء فامضي لما أمرت /5/ به، وإلا فتنح عن طريقنا، قال: فمضى الأسد وهو يهمهم، فقال لنا إبراهيم: وما على أحدكم إذا أصبح وإذا أمسى أن يقول: اللهم أحرسنا بعينك التي لا تنام، وأكنفنا بكنفك الذي لا يرام، وارحمنا بقدرتك علينا ولا تهلك[3] وأنت الرجاء قال إبراهيم: إني لأقولها على ثيابي ونفقتي فما فقدت شيئا قال: خلف فأنا أسافر منذ نيف وخمسين سنة وأقولها فما رأيت قط إلا خيرا.

---

[1] الزيادة من د.

[2] الحارثي – المصدر السابق – ص : 121.

[3] يكنى أبا الحسن، زاهد ورع، قيل فيه ريحانة الشام، أسند عن حفص بن غياث، وأبي معاوية، وغيرهم... توفي سنة 230هـ/844 م. ابن الجوزي- المصدر السابق- مج: 2- ص:165- 166.

[4] في ك نهلك.

وعن خلف بن تميم أيضا قال: ركب ابن أدهم البحر غازيا فمال عليهم البحر وأشرفوا على العطب، فكلم أهل السفينة إبراهيم فقال: اللهم قد أريتنا[1] قدرتك، فأرنا عفوك، قال: فسكن البحر وصار كالدهن.

حدث ابن أدهم عن جماعة من التابعين، وأكثر حديثه عن أبي إسحاق، عن عمرو بن عبد الله السبيعي[2]، وروى عنه خلق كثير من أعلام العلماء، كأبي إسحاق العزاري[3]، وغيره، توفي سنة اثنين وستين ومائة، نفعنا الله به وبأمثاله.

---

[1] رأيتنا في د.

[2] ولد لسنتين من خلافة عثمان بن عفان، من العلماء العاملين، محدث مشهور بالثقة، روى عن زيد بن أرقم وعبد الله بن عمر... ويروى عنه الأعمش، وشعبة، وسفيان الثوري، توفي سنة 128هـ/745م. الذهبي – سير – ج : 2– ص : (565– 570). الذهبي – تذكرة الحفاظ – دار الكتب العلمية – بيروت– لبنان– الطبعة الأولى– 1419ھ/1998م – مج 1– ص :87. ابن سعد، محمد بن سعد – الطبقات الكبرى – دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – الطبعة الثانية – 1418ھ/1997م – المجلد السادس – ص :311–312. ابن حجر أحمد بن علي، العسقلاني– تقريب التهذيب – تحقيق محمد عوامة – دار الرشيد – سوريا– الطبعة الرابعة 1418ھ/1997م – ص : 423.

[3] إبراهيم بن محمد، من الفضلاء الخيرين، عرف عنه الخطأ الكثير في حديثه، توفي سنة 188هـ/803 م، له كتاب " السير والأخبار". ابن النديم، محمد ابن إسحاق – الفهرست – تحقيق مصطفى الشويمي – الدار التونسية للنشر– تونس – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر 1415– ھ/1985م– ص : 422.

إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل الخواص أبو إسحاق البغدادي[1]:

كان أحد أولياء الله الزهاد، ومن أهل التجرد والانفراد، غلبت عليه السياحة في الفيافي والقفار، حتى قيل عنه أنه سلك طريق البادية إلى مكة سبعة عشر طريقا ما أعد لها زادا، ولا أقره قرار.

وعن أبي عبد الرحمن السلمي[2]، عن شيوخه، عن عمر بن سنان، قال: قلنا لإبراهيم الخواص حدثنا بأعجب ما رأيته، فقال: لقيني الخضر فسألني الصحبة فخشيت أن تركن نفسي إليه وإلى مقامه، فيفسد حالي مع الله في عقد التوكل ففارقته.

وعن الشيخ الولي حامد الأسود، قال: كنت مع إبراهيم الخواص في سفر فدخلنا إلى بعض الفيافي، فلما أدركنا الليل إذا بالسباع قد أحاطت بنا، فجزعت لرؤيتها وصعدت إلى شجرة، ثم نظرت إلى إبراهيم وقد استلقى على قفاه، فأقبلت عليه السباع، وجعلت تلحسه من قرنه إلى قدمه وهو/**6**/ لا يتحرك لها، ثم أصبحنا وخرجنا إلى منزل آخر، وبتنا في مسجد فرأيت بقة وقفت على وجه إبراهيم فلسعته فتحرك لها فقلت: يا أبا إسحاق وكيف تتحرك من البقة؟ أين حالك البارحة مع السباع؟ فقال: يا حامد ذلك حال كنت فيه بالله، وهذا حال أنا فيه بنفسي.

وفي كتاب الصفوة[3] قال إبراهيم الخواص: " دواء القلب خمسة أشياء، قراءة القرءان بالتدبر، وخلاء البصر، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة

---

[1] ينظر عند : أبو نعيم – المصدر السابق – ص: (327–329). إبن الجوزي – المصدر السابق – ج: 5 – ص :(64–70). الذهبي – المصدر السابق – ج: 1 – ص:(385– 392). الصفدي – المصدر السابق – ج: 5 – ص:304. إبن الملقن – المصدر السابق – ص: 16–17. المناوي – المصدر السابق – ج: 1 – ص: (498–503). النبهاني – المصدر السابق– ج: 1– ص: 388. خير الدين الزركلي – الأعلام لتراجم أشهر الرجال و النساء من العرب المستعربين المستشرقين – دار العلم للملايين – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية – 1409هـ/1988م – الجزء الأول– ص: 28.

[2] عبد الله بن حبيب أبو عبد الرحمن: من أصحاب الرسول– صلى الله عليه وسلم– روى عنه، أسند عن عمر وعثمان، توفي سنة 105هـ/723م. ابن سعد – المصدر السابق – مج: 6 – ص :54. ابن الجوزي– المصدر السابق – مج: 3 – ص: 28.

[3] الكتاب: هو صفة الصفوة، لأبي عبد الرحمن بن علي، أبو الفرج الجوزي– دار الفكر للطباعة والنشر– الطبعة الثالثة– بيروت– لبنان– في جزءين – ص: 69.

الصالحين، وقال: على قدر إعزاز المؤمن لأمر الله يلبسه الله من عزه، ويقيم له العز في قلوب المؤمنين [1].

وحدث صاحبه الملازم له الشيخ الولي الزاهد خير النساج[2] قال: سألت إبراهيم عما أصابه في بعض أسفاره. فقال لي: عطشت مرة عطشا شديدا، حتى سقطت من شدة العطش، فإذا أنا بماء قد رش به على وجهي، فلما حسست ببرده فتحت عيني، فإذا أنا برجل حسن الوجه، عليه ثياب خضر، وتحته فرس أشهب فسقاني حتى رويت ثم قال: ارتدف خلفي، ففعلت، وكان بيننا وبين المدينة أيام عديدة، ثم سرنا، فلما كان بعد ساعة، قال لي: أي شيء تراه؟ قلت المدينة، قال لي: أنزل وبلغ رسول الله – صلى الله عليه وسلم– مني السلام، وقل له أخوك الخضر يسلم عليك، فنزلت ودخلت المدينة، وأتيت الروضة المشرفة، وأديت رسالة الخضر عليه السلام للنبي – صلى الله عليه وسلم–. ومن شعر أبي الخواص رضي الله عنه قوله:

صبرت على بعض الأذى[3] دون بعضه ... ودافعــت عن نفسي لنفسي فقــرت
وجرعتها المكروه حتى تدربـــــــت ... ولـــو لم أجرعهـــا إذا لأشمــــأزت
ألا رب عز ساق للنفس ذلـــــــــة ... ويـــا رب نفس بالتذلـــل عـــزت
إذ ما مددت الكف ألتمس الغنـــــى ... إلى غير من قال اسألوني فشلــت[4]

---

[1] ابن الجوزي – المصدر السابق – مج: 4 – ص : 69.
[2] هو محمد بن إسماعيل، من سامراء، كان من أقران النوري، وصحب أبا حمزة البغدادي، ولقي سريا القسطي عمر طويلا. القشيري– المصدر السابق – ص :437. أنظر عنه ابن خلكان – المصدر السابق – مج: 2 – ص : 251– 252.
[3] في ك الأذا.
[4] من البحر الطويل.

إبراهيم ابو إسحاق الحربي، أبو إسحاق، أحد الأولياء المشهورين ببغداد[1]:

كان رحمه الله تعالى معدودا في الفقهاء والمحدثين، والعلماء المبرزين وعلما/7/ من أعلام أهل الورع والدين، وصدرا من صدور الزهاد المنقطعين [حدثوا][2] أنه أقام ثلاثين سنة يتقوت برغيف في اليوم والليلة، إن جاءته امرأته به أكله وإلا بقي طاويا إلى الليلة الأخرى، وحدثوا عنه أنه قال لي: عشرون سنة أبصر بعين واحدة ما أخبرت قط أهلي بذهاب عيني الأخرى، وعن أبي إسحاق الرازي[3] قال: جاء رجل من أصحاب أمير المؤمنين المعتضد بالله[4] أحمد العباسي إلى إبراهيم الحربي بعشرة آلاف درهم وقال له يقول لك [5] أمير المؤمنين: فرق هذا المال على

---

[1] ينظر عند: الحموي – المصدر السابق – ج : 2 – ص : 237. الحموي، معجم الأدباء– إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب – تحقيق : إحسان عباس – دار الغرب الاسلامي– بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – الجزء الأول– ص : 41–42. الشيرازي– المصدر السابق – ص : 171. ابن الجوزي – المصدر السابق – ج : 2 – ص : 244–245. الكتبي – المصدر السابق – ج : 1 – ص : (56–64). الصفدي – المصدر السابق – ج : 5 – ص : 320. الذهبي – سير – ج : 8 – ص : (531–540). الذهبي – العبر– ج : 1 – ص : 255. الذهبي – تذكرة الحفاظ – ج : 7 – ص : 15–16. الحسيني ابوبكر بن هداية الله– طبقات الشافعية – تحقيق : عادل نويهض – دار الآفاق الجديدة – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – ص : 36. الداودي، محمد بن علي – طبقات المفسرين – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – بدون تاريخ – الجزء الأول – ص : 7. الفراء، محمد بن محمد، أبو الحسين – طبقات الحنابلة – دار المعرفة – بيروت – لبنان – بدون تاريخ – الجزء الأول – ص : (86–91). السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر– طبقات الحفاظ – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – 1403ه/1983م – ص : 263. السيوطي – بغية الوعاة في طبقات اللغوين والنحاة – تحقيق: محي الدين ابراهيم– دار الفكر– 1399هـ/1979م– الطبعة الثانية – الجزء الثاني– ص : 408. إسماعيل باشا البغدادي – هدية العارفين في أسماء المؤلفين وأثار المصنفين من كشف الظنون – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الجزء الأول – ص : 4. الزركلي – المصدر السابق – مج:1– ص : 32. عادل نويهض – معجم المفسرين – مؤسسة نويهض الثقافية– 1409هـ/1988م– الطبعة الثالثة– الجزء الأول – ص: 10.

[2] الزيادة من د.

[3] محمد بن عبد الله، أبو الحسن : محدث مشهور بالثقة، سمع بخراسان، والعراق، والشام، من شيوخه: محمد بن أيوب بن الضريس، صاحب مصنفات كثيرة، توفي سنة 147هـ/767م. النووي، محي الدين بن يحي، أبو زكرياء – مختصر طبقات الفقهاء – تحقيق : عادل عبد الموجودي و علي معوض– مؤسسة الكتب الثقافية – الطبعة الأولى 1416ه/1995م – ص : 218. الذهبي – المصدر السابق– ج : 1 – ص :339.

[4] سادس عشر خلفاء الدولة العباسية، حكم من سنة (277هـ/890 م– الى 286هـ/899 م): عرف بالشجاعة والمهابة، سكتت الفتنة في أيامه، فتحت في عهده مكورية في بلاد الروم. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر– تاريخ الخلفاء – تحقيق : محي الدين عبد الحميد – المكتبة العصرية – بيروت 1409ه/1989م – ص :(216–219).

[5] ناقصة في ك و د، و الصحيح ما أثبتناه لاستقامة المعنى.

من يستحقه، فرده إبراهيم وأبى[1] من قبول ذالك، ثم عاد إليه وقال له: إن أمير المؤمنين يسألك أن تفرقه في جيرانك ومعارفك فقال ، قل له: عفاك الله، هذا مال لم نشغل أنفسنا بجمعه فلا تشغلنا بتفريقه، وقل لأمير المؤمنين : مالك ولنا أتركنا وإلا تحولنا من جوارك.

وعن بعض الصالحين قال: مرض إبراهيم الحربي مرضا أشرف منه على الموت، وضاقت المعيشة على أهله وولده، وشكته ابنته لرجل من أصحابه وقالت في شكواها للرجل: نحن مع والدنا في أمر عظيم: يمر علينا الشهر والدهر ومالنا عيش إلا كسر يابسة، وملح وربما عدمنا الملح، وبالأمس وجه إليه أمير المؤمنين مع خادمه بدر ألف دينار، فلم يأخذها، ووجه إليه فلان وفلان كذا وكذا فلم يقبل فسمع أبو إسحاق كلام ابنته للرجل فتبسم، وقال: يا بنيتي إذا خفت الفقر، فانظري إلى تلك الزاوية لمكان في البيت، فإذا فيها كتب، فقال: هناك إثني عشرة ألف جزء من الحديث، ولغة القرآن، وغريب الحديث، كتبته بخطي، فإذا مت فوجهي كل يوم بجزء فبيعيه بدرهم، فمن كان عنده إثني عشر ألف درهم فليس بفقير.

وعن محمد بن خلف بن وكيع[2] قال: كان لإبراهيم الحربي ولد من أحد عشر سنة حفظ القرآن، ولقنه من الفقه شيئا، كثيرا قال: فمات الولد، فجئت أعزيه. فقال لي: قد كنت أشتهي موت هذا الولد، فقلت: يا أبا إسحاق تقول هذا وأنت/**8**/ عالم الدنيا، قال: نعم رأيت في النوم وكأن القيامة قد قامت، وإذا بصبيان في أيديهم الماء يستقبلون به الناس فيسقونهم وكان اليوم شديد الحر، قال: فقلت لأحدهم: اسقني من هذا الماء قال : فنظر إلي وقال: لست أنت أبي. فقلت: فبأي شيء؟ قال، فقال: نحن الصبيان الذين متنا في دار الدنيا، وخلفنا آباءنا نستقبلهم الماء، فلهذا تمنيت موته. توفي أبو إسحاق ببغداد سنة خمس وثمانين ومائتين، وقبره هنالك يتبرك به رحمه الله تعالى ونفعنا ببركته.

---

[1] في ك ود أبا، والصحيح ما أثبتناه.

[2] فقيه من أهل القرآن، ومن الفضلاء المشهورين بالفصاحة والنحو، عالم في أيام وسير وأخبار الناس، صاحب مصنفات كثيرة منها كتاب " المكاييل والموازين " وكتاب" الرمي والنفاد " توفي سنة 603هـ/1206م ببغداد. ابن خلكان – المصدر السابق– مج: 4 – ص : 106-107.

إبراهيم بن أحمد بن علي بن أسلم البكري القيرواني أبو إسحاق الجبنياني[1]:

قال عياض: "كان أبو إسحاق أحد أئمة المسلمين، و أبدال أولياء الله الصالحين ولسلفه بالقيروان[2] الخطط الرفيعة، والمناصب النبيهة، والأموال العديدة، ولهم مسجد يعرف بمسجد بني أسلم، وكان أبوه أحمد قد أخذ له معلمين أحدهما للقرآن، والآخر للعربية، فكان يقرأ عليهما في رفاهية من العيش، ويذهب إلى الولي ابن عاصم بجبنيانة، فكان يقيم عنده، ويتبرك به ويتعلم منه، وكان ابن عاصم هذا مشهورا بالعبادة وإجابة الدعاء، وكانوا يتبركون بدعائه، قد نفع الله به خلقا كثيرا إلى أن بلغ أبو إسحاق الحلم، فدخل قلبه من الخير، ومما سمع من ابن عاصم ما أزعجه عما كان فيه، فانخلع من الدنيا، ولبس عباءة وهرب، فطلب فلم يوجد، فكان يستأجر نفسه فيما يتقوت به، ووفق مع زهده لطلب العلم. فأخذ عن ابن اللباد[3]، وعن غيره من الأعلام وكتب بيده الكثير، وإجتهد في العبادة والزهد، ومتابعة السلف الصالح، فكان

---

[1] ينظر عند القاضي عياض – ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – (1418ه/1998م) – المجلد الثاني – ص : (145-157). الداودي – المصدر السابق – ج : 1 – ص : 3-4. المناوي – ج : 2 – ص : 11. إبن فرحون، إبراهيم بن نور الدين – الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب – تحقيق : مأمون بن محي الدين الجنان – دار الكتب العربية – بيروت – 1966م – الطبعة الأولى – ص : (124-142). ابن مخلوف – المصدر السابق– مج 1 – ص : 142.

[2] القيروان : قاعدة إفريقية، أختطها عقبة بن نافع سنة 60ه/639 م، يحدها من الجوف بحر تونس، ومن الشرق بحر سوسة والمهدية، ومن القبلة: بحر سفاقس وقابس، هي كلمة معربة نقلت من "كاروان" الفارسية حيث تكلم بها العرب قديما. اليعقوبي– المصدر السابق– ص : 104-105. ابن خرذادبه، عبيد الله بن عبد الله، أبو القاسم – المسالك والممالك– طبعة ذي غويجي، بريل 1889م – ص :65. البغدادي، قدامة بن جعفر، أبو الفرج– نبذ من كتاب الخراج وصفة الكتابة – طبعة ذي غويجي– بريل– 1889م– ص :265. المقدسي، محمد بن أحمد أبو عبد الله – أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم – مكتبة خياط – بيروت – لبنان– بدون تاريخ – ص : 212. إبن سعيد، علي بن موسى، أبو الحسن – كتاب الجغرافيا – تحقيق : إسماعيل العربي– ديوان المطبوعات الجامعية– الجزائر– الطبعة الثانية– 1982م– ص :144. الحميري– المصدر السابق– ص : 486-487. الحموي– معجم البلدان – مج: 4 – ص : 420.

[3] محمد بن محمد، أبو بكر: حافظ كبير، وفقيه مشهور بالورع والزهد، أخذ العلم عن ابن طالب وابن خميس وعن شيوخ وقته كأبي بكر بن عبد العزيز الأندلسي، ومن الذين أخذوا عنه: محمد ابن أبي زيد وابن الحارث... له مؤلفات منها كتاب "الطهارة"، "عصمة النبيين" توفي سنة 303هـ/915 م. عياض – المصدر السابق – مج: 2 – ص: (21-24). المالكي، عبد الله بن محمد، أبو بكر– رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقيا وزهادهم ونساكهم وسير أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم– تحقيق : بشير بكوش – دار الغرب الإسلامي – الطبعة الثانية– 1414ه/1994م – الجزء الثاني – ص : (283-292).

أبو الحسن القابسي[1] يقول: الجبنياني إمام يقتدى به. وكان أبو محمد بن أبي زيد [2] يعظم من شأنه ويقول: طريق أبي إسحاق خالية لا يسلكها أحد في هذا الوقت: وكان يقول: الجبنياني أويس[3] ، هذه الأمة " [4].

قال عياض : " وكان أبو إسحاق كثير الصمت، قليل الكلام فإذا نطق نطق بالحكمة، ومن كلامه خمسة تعاونوا على هلاك ابن آدم المسكين: مؤمن يحسده وكافر يرصده، وشيطان مارد/**9**/، ودنيا حاضرة، ونفس أمارة بالسوء، فكيف بالخلاص؟

وتوفي يوم الأحد السابع من محرم سنة تسع وستين وثلاثمائة، ودفن يوم الإثنين بعده بشرقي جبنيانة وسنه تسعون سنة، واجتمع بجنازته خلق كثير خرجوا به غدوة الإثنين، فما وصلوا لمحل دفنه إلا بعد الزوال، وما وجدوا له من الدنيا قليل ولا كثير سوى من شعير في قلة مكسورة، رحمه الله تعالى، و نفعنا به " [5].

---

[1] علي بن محمد، أبو الحسن: قيرواني الأصل، من العلماء الذين جمعوا بين العلم والزهد والورع، حفظ القرآن الكريم بمعانيه وأحكامه، والفقه والحديث، له مؤلفات عديدة منها " الملخص المنبه للفظ " توفي سنة 304هـ/916 م. الدباغ، عبد الرحمن بن محمد، أبو زيد – معالم الإيمان– تحقيق : إبراهيم شبوح– مطبعة السنة المحمدية– مصر– الطبعة الثانية 1388هـ/1968م – ص : (21–26).

[2] عبد الله بن أبي زيد، أبو محمد : إمام المالكية في وقته وقدوته اشتهر بالحفظ وسعة العلم والرواية، عرف بالمكانة والقدر عند الفقهاء والعلماء الكبار، لخص مذهب مالك وشرح أقواله، من شيوخه أبي بكر اللباد، وأبي الفضل المعسي، وأخذ عنه محمد بن مسرور العسال وسعدون الخولاني. عياض – المصدر السابق – ج : 2 – ص: 141–142.

[3] القرني، سيد التابعين، شهد صفين مع علي، روي عن رجل أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أويس خير التابعين بإحسان "، وقيل روى عن عمر وعن علي، كما روى عنه شهاب وهشام بن عروة وغيرهما استشهد يوم صفين. الذهبي – المصدر السابق – ج : 2 – ص : (224– 226).

[4] عياض – المصدر السابق – مج: 2 – ص : (145–155).

[5] عياض – المصدر نفسه – مج: 2 – ص : 155.

إبراهيم بن علي أبو إسحاق الشيرازي[1]:

كان رحمه الله من أولياء الله الذين جمعوا العلم والعمل وضرب بولايتهم المثل، جدد مذهب الشافعية وأنار مناره، وصنف في علم الشريعة والحقيقة ما أوجب إجلاله وإكباره، واعتمده في سلوك الطريق جماعة من أولياء الله المشهورين[2] بالعرفان والتحقيق ونفع الله بتواليفه الواضحة الأنوار، واستعملها أهل المذاهب الأربعة[3] في جميع الأمصار، قال ابن خلكان: " وكان غاية في الورع والتشديد في الدين " [4]. وذكر أبو الفرج[5] أنه رأى النبي – صلى الله عليه وسلم– وكان أبو إسحاق يفخر بذلك ويفرح به، ويقول: سماني رسول الله صلى الله عليه وسلم شيخا[6].

قالوا: ومن خصائصه التي تميز بها عن غيره من أولياء الله وخاصته: أنه كان لا يفعل شيئا من الطاعات إلا مع إحضار النية، وإخلاص العمل لله، فكان لا يتكلم عن مسألة إلا بعد تقديم الاستعانة بالله، وإخلاص النية في نصرة الحق، دون التزين والتصنع للخلق، ولا صنف مسألة إلا بتقديم ركعات للصلاة.

وحدث أبو الوفاء بن عقيل، قال: شاهدت شيخنا أبا إسحاق لا يفعل شيئا، ولا يتصدق على فقير، ولا يخرج من يده شيئا إلا بعد إخلاص النية، قالوا: ومشى[7] يوما معه بعض أصحابه في الطريق، فعرض لهم في الطريق كلب، فزجره بعض

---

[1] ينظر عند الشيرازي – المصدر السابق – ص :16. ابن الجوزي – المصدر السابق – مج: 4 – ص : 43. ابن خلكان – المصدر السابق – ج : 1 – ص : 29–30. الذهبي – العبر– ج : 2 – ص : 8. الذهبي – سير – ج : 11– ص : (231– 236). السبكي– المصدر السابق – ص : 170–171. المناوي – المصدر السابق – ج : 2 – ص : (172–175). النبهاني – المصدر السابق – ج : 1 – ص : 392. ابن مخلوف – المصدر السابق – ص : . الزركلي– المصدر السابق – ج : 1– ص : 51.

[2] ناقصة في ك و د، و الصحيح ما أثبتناه لاستقامة المعنى.

[3] في ك و د الأربع، و الصحيح ما أثبتناه

[4] ابن خلكان – المصدر السابق – مج 1 – ص : 30.

[5] ولد سنة 580ھ/1160م ببغداد، من العلماء الحفاظ الكبار، في الحديث في وقته– صاحب مصنفات عديدة في التفسير والحديث والفقه، والزهد والوعظ، والأخبار والتاريخ، زادت مصنفاته عن ثلاثمائة وأربعين، توفي سنة 597هـ/1200م. ابن خلكان – المصدر السابق – مج: 3 – ص : 141–142. إبن عماد، عبد الحي الحنبلي– شذرات الذهب في أخبار من ذهب– دار إحياء التراث العربي– بيروت – لبنان– مج: 4 – ص :(329–331).

[6] ابن الجوزي – المصدر السابق – مج: 4 – ص : 42–43.

[7] في ك و د مشا، و الصحيح ما أثبتناه.

أصحابه، فنهاه أبو إسحاق، وقال له: لم طردته عن الطريق؟ أما علمت أن الطريق بيننا وبينه مشترك، ومحاسنه وفضائله أكبر من أن تحصى.

وتوفي رحمه الله سنة ستة وسبعين وأربعمائة، وهو ابن ثلاث وثمانين سنة ودفن ببغداد بقرب المدينة المعروفة بتاج الملك، رحمه الله. قالوا /**10**/: ورئي في المنام[1] بعد وفاته وعليه ثياب بيض، وعلى رأسه تاج. فقيل له: ما هذا البياض؟ فقال: شرف الطاعة، قيل: وهذا التاج؟ قال: عز العلم.

وجاد بعض الشعراء[2] في تأبينه فقال:

أجرى المدامع بالدم المـــهراق[3]　　　خطب أقام قـــيامة الإمـــاق

ما لليالي لا تؤلف شـــملـــها　　　بغد ابن بجـــدتها أبي إســحاق

إن قيل مات فلم يمت من ذكره　　　حي على مر الليالــي بـــاق[4]

وقال القاضي عياض: وخلفه في التدريس ببغداد فخر الإسلام أبو بكر الشاشي[5] فكان يدرس بمدرسة تاج الملك الكائنة قرب قبر الإمام أبي إسحاق، فكان الشيخ أبو بكر لا يدخل المدرسة حتى يدخل إلى القبر، فيدعوا عنده كثيرا، ثم يدخل المدرسة للتدريب فإذا خرج صنع مثل ذالك، وكان يفعل ذالك طرفي النهار التماسا لبركة أبي إسحاق، ووفاء ببعض ماله من الحقوق[6]. رحمهم الله ورضى عنهم.

---

1 في ك و د النوم، و الصحيح ما أثبتناه.

2 و الشاعر هو عبد الله بن محمد، أبو القاسم، أديب شاعر لغوي، صاحب المصنفات، توفي سنة 485 هـ/1092م ببغداد. ابن خلكان – المصدر السابق – مج: 3 – ص : 98-99.

3 بفتح الهاء كهرق الماء، يهرقه أي صبّه. ابن منظور محمد ابن مكرم، دار صادر بيروت– الطبعة الأولى– 1997م – المجلد السادس– ص : 328.

4 من البحر الكامل.

5 محمد بن أحمد، فارسي الأصل، ولد سنة 529 هـ/1134م ببغداد، أحد فقهاء الشافعية، تفقه على يد محمد بن بيان الكازروين، وابن الصباغ، ولي تدريس النظامية، توفي سنة خمس وسبعمائة ببغداد. ابن خلكان– المصدر السابق – مج: 4– ص :220. الذهبي– العبر– ج: 2 – ص : 442.

6 رجعنا إلى القاضي عياض في كتابه ترتيب المدارك، و لم نعثر على هذا النص.

إبراهيم بن سعد أبو إسحاق العلوي بن الحسني البغدادي[1]:

السيد الشريف الزاهد، المعروف بإجابة الدعوة للغائب والشاهد، حدث أبو الحارث الأولاشي عنه قال: كنت معه في البحر فبسط كساءه على الماء وصلى عليه، قال: وكان من مفاخر الزهاد، أهل التجرد والانفراد، وكان يواصل ثلاث أيام فإذا كانت الليلة الرابعة إستف شيئا من الدقيق. قال أبو الحارث: كنت يوما مع السيد الشريف أبي إسحاق، وإذا بامرأة تستغيث به وتقول: يا سيدي، الجندي قد رفع حماري، فكلم أبو إسحاق الجندي فأبى[2] أن يرد الحمار فدعا عليه، فمات الجندي لوقته وذهبت المرأة بالحمار.

قال أبو الحارث: كنت يوما مع السيد الشريف أبي إسحاق، فقلت له: يا أبا إسحاق ولا أصحبك فإنك مستجاب الدعوة، وأخشى أن يبدو مني سوء أدب، فتدعوا علي. فقال لي: أو لست تأمن؟ قلت: لا؛ قال: فأقلل من الدنيا إذا ما استطعت.

قالوا: ولما حضرته الوفاة، كتب هذه الرسالة لأبي الحارث الأولاشي يقول: يا أخي إذا نزل بك أمر من- الله عز وجل - فقابله بالرضى، فإنه - تعالى- مطلع عليك عالم بما في ضميرك، ولك في الرضى بالقضاء الثواب الجزيل، فإن لم تجد/**11**/ للرضى سبيلا فعليك بالصبر، فإنه رأس الإيمان، فإن لم تجد فعليك [بالتجمل][3]، فإن قل صبرك فالجأ إلى[4] الله بهمك، وأحذر أن تستبطئه أو تسيء به

---

[1] ينظر عند ابن النديم – المصدر السابق – ص : 121. الرازي – المصدر السابق – ج : 2 – ص : 101. البستي– المصدر السابق – ص : 225. الأصبهاني – المصدر السابق – ص : 155 وما بعدها. ابن خلكان – المصدر السابق – ج :2 – ص : 469. الذهبي – العبر – ج :1 – ص : 145–146. الذهبي – سير – ج : 6 – ص : (196– 198). ابن سعد – المصدر السابق – مج: 5 – ص : 475. الصفدي – المصدر السابق – ج : 5 – ص: 352– 353. الذهبي – تذكرة – ج :1– ص : 252. ابن الملقن – المصدر السابق – ص : 24. ابن حجر– تهذيب – ج : 2 – ص : 272– 273. المناوي – المصدر السابق – ج : 1 – ص : 504– 505.

[2] في ك و د أبا، و الصحيح ما أثبتناه.

[3] الزيادة من د.

[4] ناقص في ك و د، و الصحيح ما أثبتناه لاستقامة المعنى.

ظنا، فإن كل شيء بسبب، ولكل سبب أجل، ولكل أجل كتاب، ولكل هم من الله تعالى فرج، ومن علم أنه بعين الله عز وجل إستحياه أن يرجوا سواه، ومن أيقن بنظر الله إليه، أسقط إختيار نفسه، ومن علم أن الله تعالى الضار النافع، أسقط مخاوف المخلوقين، فراقب الله تعالى على كل حال واطلب الأمور من معادنها واحذر أن تعتمد على مخلوق، أو تفشي إليه سرا وتشكوا إليه شيئا، فان غنيهم فقير في غناه، وفقيرهم دليل في فقره، وعالمهم جاهل في علمه، وجاهلهم فاجر في فعله إلا القليل ممن عصم الله، فاتقوا الفاجر من العلماء، والجاهل من العباد فإنهم فتنة لكل مفتون.

إبراهيم بن محمد بن إبراهيم، السلمي، أبو إسحاق البلفيقي[1]:

من أفاضل أولياء الله بالأندلس، قال القاضي ابن عبد الملك : كان أبو إسحاق من كبار العلماء العاملين، وجملة الزهاد المخبتين، مثابرا على الاجتهاد في العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، لا يتحرك إلا بقلب حاضر، ولسان ذاكر، فكانت حركاته وسكناته على أقسام الشريعة. قال: ومما يؤثر من كراماته أن صبيا كان يشكوا ألم الحصا، فجئ به إلى طبيب لينظر في علاجه، وكان ذالك الطبيب ممن لا يثبت كرامات الأولياء ويستهزئ بهم، فأتى بالصبي لمقام الشيخ أبى إسحاق، وحمله معه إليه، وقال له على جهة السخرية به والازدراء بشأنه : يا شيخ هذا الصبي تداويه؟ فتفرس الشيخ أبو إسحاق لما أضمره، وتغير وجهه لما قدره، فاستدعى الشيخ الصبي وجر إحدى يديه على صدره، والأخرى على قلبه، وحرك شفتيه، ورفع ثياب الصبي ونفخ تحته ثلاثا، وقبض بعنف وقوة على قبل الصبي، فتقبض الصبي وتجمع وقذف خمس حصيات في حجم الحمص مخصوبة بالدم، وسكن الألم عنه في الحال، ثم عطف الشيخ أبو إسحاق على الطبيب وصاحبه الذي جاء معه، وقال لهما ما الذي جعلكما على إنكار مثل هذا ؟ فتوبا إلى الله تعالى، فتنصلا من فعلهما، وخرجا من عنده على أسوء **/12/** حال، والحمد لله[2].

ولما صار لأبى إسحاق ببلدة ألمرية[3] من عظيم الذكر، ورفعة القدر ما صار معه انضم إلى ذلك من إقبال العامة والخاصة عليه، سعى به بعض الحسدة من المتفقهة، وكتبوا لصاحب مراكش بأن أبا إسحاق انضم إليه جمع كبير من المريدين

---

[1] الحموي – معجم البلدان – ج : 4 – ص : 177. التنبكتي – نيل الابتهاج – ص : 37– 38. ابن الآبار، محمد ابن عبد الله، أبو عبد الله – التكملة لكتاب الصلة – تحقيق : عبد السلام الهراس – دار الفكر– بيروت – لبنان – 1415ھ/1995م – الجزء الأول– ص : 150.

[2] إبن عبد الملك– المصدر السابق– ولم نعثر على هذا النص فيما هو منشور في أجزاء كتاب الذيل والتكملة، و لا نستبعد أن يكون في الجزء المفقود كما نبهنا على ذلك سابقا.

[3] هي بين القبلة والشرق من قرطبة، من أشرف الكور. مدينة حديثة، بناها الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر لدين الله سنة 340ھ/951 م. الحميري – المصدر السابق – ص : 537–538.

أنه يخاف منه، فكتب صاحب مراكش، وهو المستنصر[1] لعامل ألمرية أن ابعث[2] إلي أبا[3] إسحاق البلفيقي مكرما، فتقدم إليه عامل ألمرية، وقال: إن الخليفة وجد عنك فقام جماعة من أصحاب الشيخ، وجمع عظيم من أهل ألمرية وقالو له: أجلس ولا عليك من أحد، فقال لهم أبو إسحاق: لا تجوز مخالفة أمير المؤمنين، وأني أرجوا الله أن أموت غريبا، فركب البحر، ونزل العدوة، فلما دخل على المستنصر بمراكش هابه المستنصر هيبة عظيمة، وأوقع الله في نفسه إجلاله، وأشرب قلبه تعظيمه وإكباره وندم على ما كان منه إليه، وسأله الدعاء، وانصرف عنه على غاية المبرة والإكرام ثم أن أبا إسحاق مرض إثر ذلك.

وتوفي سنة ست عشرة وست مائة وهو ابن ثلاث وستين سنة، واحتفل أهل مراكش بجنازته احتفالا عظيما، يعد العهد بمثله، حضرها الأمراء الكبراء رجالا مشاة منتعلين وحفاة، وكسرت[4] العامة نعشه، وقسموه تبركا به، ثم إن الله تعالى أنصف من كل من سعى عليه، وماتوا كلهم على أسوأ حال من الذلة والهوان، ومنهم من قتل، ومنهم من صلب على ما جرت به عادة الله، فيمن تنقص أولياءه، وأهان أحباءه، نفعنا الله بأوليائه.

---

[1] بالله، يوسف بن محمد، أبو يعقوب، أحد خلفاء الموحدين، حكم (610هـ/1213م) – (620هـ/1223م). علي حجي – التاريخ الأندلسي – دار العلم – دمشق – الطبعة الخامسة – (1418هـ/1997م) – ص : 464-465 .

[2] في ك و د بعث، و الصحيح ما أثبتناه.

[3] في ك و د أبى، والصحيح ما أثبتناه.

[4] في ك و د كسرة، و الصحيح ما أثبتناه.

إبراهيم بن أحمد القيرواني[1] أبو إسحاق السبائي[2]:

العالم الزاهد الفقيه العابد، قال عياض: " كان رحمه الله من أولياء الله المعدودين الذين ينزل بدعائهم القطر، وتظهر عليهم البراهين، مشهورا بالعبادة والاجتهاد وقافا عند الشبهات، رقيق القلب، عزيز الدمعة، مجاب الدعوى، حسن الأخلاق ،شديد الغلظة على أهل البدع، قليل المدارات لهم، وكان قد بلغ من العلم بالله وبأوامره منزلة لم ينته إليها أحد من أهل وقته[3] ".

أخذ عن جماعة من[4] العلماء علما كثيرا، وصحب طائفة من المتعبدين وحصل له من العلم والمعرفة بالله ما أساء به أهل زمانه، حتى لقد كان في[5] القيروان من أعيان/**13**/ العلماء وأكابر الأولياء يحضرون مجلسه، ويتذاكرون مسائل العلم عنده وهم الشيخ أبو محمد بن أبي زيد، والزاهد أبو قاسم بن شبلون[6]، والفقيه أبو الحسن القابسي، وغيرهم، فإذا تنازعوا، فصل ما بينهم بأمر يرجعون إليه فيه كلهم ويستشيرونه في جميع أمورهم، وكان موفقا في كل ما يشير عليهم فيه.

وكان أبو محمد بن أبي زيد يقول: ما هذا الذي نحن فيه إلا من بركته ودعائه. وقال أبو الحسن القابسي: ما انتفعت إلا بدعائه، فإنه قال لي: أعلى[7] الله قدرك في الدنيا والآخرة.

---

[1] ينظر عند عياض – المصدر السابق – ج : 2 – ص : (67–75). ابن فرحون – المصدر السابق – ص : 141. الدباغ – المصدر السابق – ج : 3– ص : (63–73). ابن مخلوف – المصدر السابق – مج 1 – ص: 140.

[2] في ك و د السباءي، والصحيح ما أثبتناه.

[3] عياض – المصدر السابق – ج : 2 – ص : (66–71).

[4] ناقص في ك و د، و الصحيح ما أثبتناه لاستقامة المعنى.

[5] في ك و د من، و الصحيح ما أثبتناه لاستقامة المعنى.

[6] كان يفزع إليه في الفتوى بالقيروان، عرف بمفتي الحاضرة والبادية، وله نوازل في مسائل كثيرة، أخذ عن أبي سعيد بن أبي هشام، من مؤلفاته كتاب " المقصد "، توفي سنة 391هـ/1000م. الشيرازي – المصدر السابق – ص: 160–161. عياض– المصدر السابق – ص : 166. الدباغ– المصدر السابق – ص : 123–124.

[7] في ك و د أعلا، والصحيح ما أثبتناه.

كان أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي[1] يقول: لا تعارضوا أبا إسحاق فإنه لو وزن إيمانه بإيمان أهل المغرب لرجحه. وقيل لابن أبي زيد: هل تعلم أحد في أقطار الأرض يشبه أبا إسحاق؟ قال: أما في إيمانه فما علمته وقتنا هذا، وكان إذا دخل في صلاته لم يكن قلبه إلا فيها، فربما دخل عليه أحد، فلا يعلم أبو إسحاق بدخوله لشغله بصلاته، وكان خبزه السميد، فقيل له في ذلك، فقال: والله لو قدرت على الجوهر وعلمت أنه يزيد في عقلي لسحقته وأكلته، فإني لا أجد نفسي تصلح إلا إذا أكلت طيبا.

وقال أبو محمد بن أبي زيد: كان مستجاب الدعوة، رأينا استجابة دعائه في كل شيء، وكانت رقيته بالفاتحة، وقل هو الله أحد، والمعوذتين، كل ذالك سبعا.

وقال بعضهم: كنا إذا دخلنا عليه جددنا التوبة مخافة أن ينطقه الله فينا بشيء وله فضائل كثيرة، توفي سنة ست وخمسين وثلاثمائة وهو ابن ست وثمانين سنة رحمه الله، ونفعنا به.

[1] ستلي ترجمته بالمخطوط.

إبراهيم بن موسى بن أبي عبد الله المعروف بأصاصاي بن إسحاق الدكالي[1]:

كان من أكابر عباد المغرب، وأفاضل أوليائه، عرف بإجابة الدعوة فقصد لإخماد طريق الظلم وإطفائه، كان وقع له من الفقيه عيسى بن داوود[2] أمور عظيمة أنكرها عليه الفقيه عيسى وأداه ذلك إلى إنكار كرامات الأولياء، فدعا عليه إبراهيم وسأل الله في اختلال عقله الذي تظاهر به على إنكار كرامات الأولياء، فحقق الله إجابة دعائه بحمق الفقيه عيسى واختبال عقله، ونعوذ بالله من شر بلائه.

وحدث عنه أنه كان ببعض جهات المغرب عامل جائر/**14**/ شكاه الناس إليه فأقبل بهمته عليه، وجمع خلقا كثيرا على الساحل، وقرأ باسم الله الرحمن الرحيم ألف مرة، وحمد الله ألف مرة، وتشهد ألف مرة، وصلى على محمد – صلى الله عليه وسلم– ألف مرة، ثم دعا على العامل بألف دعوة، فلما فرغ، قال لهم: إبعثوا من يأتيكم بخبر هذا العامل، وأما أنا فلا أشك أن الله قد أجاب فيه الدعاء، فذهب جماعة يتعرفون خبره، فوجدوا السلطان قد نكبه في ذالك اليوم ومحا أثره، وتوفي بدكالة[3] عام خمسة عشر وستمائة، رحمه الله تعالى، ونفعنا به.

---

[1] ينظر عند: التادلي– المصدر السابق– ص : 420-.421

[2] معروف بالمرابطة والجهاد، أحد الفضلاء علما وعملا، توفي سنة 605هـ/1208م. البادسي، إسماعيل عبد الحق – المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف– تحقيق : سعيد أعراب– المطبعة الملكية– الرباط 1415هـ/1993م – الطبعة الثانية – ص : (60-62).

[3] من تنفيست غربا، وتنتهي إلى شاطىء المحيط شمالا، وواد العبيد جنوبا، وأم الربيع غربا، ، وهي منطقة آهلة بالسكان، ولا يوجد غير عدد قليل من المدن الميسورة. الحسن الوازان، الحسن ابن محمد المشهور (بليون الإفريقي) – وصف إفريقيا – دار الغرب الإسلامي – الطبعة الثانية – الجزء الأول – ص :147.

إبراهيم بن محمد بن إبراهيم التنوخي الأندلسي أبو اسحاق[1]:

علامة أولياء الأندلس[2] في وقته، المجمع على زهده وفضله وعلو رتبته، قال ابن الخطيب : كان هذا الفاضل " إماما في قراءة القرآن، ومبرزا في تجويده، متكلما على التفسير، زاهدا في هذه الفانية، رحيما بالمساكين، جوادا حتى بقوته، صادعا بالحق، كثير البكاء والخشوع، ألقى الله عليه من القبول والتعظيم ومحبة الخلق ما لا عهد بمثله، بلغ في ذلك مبلغا عظيما حتى كان أحب إلى الناس من أنفسهم يتزاحمون عليه في طريقه ويستمسحون بثيابه، ويتزاحم مساكنهم على بابه، قد عودهم طلاقة الوجه، وحسن الأخلاق، والمواساة ولو بالقوت، يفرقه عليهم متى وجده، وربما أعجلوه عن إستواء طبخ خبزه، فيفرقه عليهم عجينا، له في ذلك أخبار عجيبة وحكايات غريبة[3] ".

حدث بعض الثقات ممن عني بأخباره وتقييد أثاره، أنه لما ولى الخطابة والإمامة بجامع غرناطة عام ستة عشر وسبعمائة، دعا يوما الناظر في أحباس المسجد وقال له: أنظر هذه الثريا التي في القبلة من المسجد واختبرها بأن نفسي تحدثني أن الخشب الذي تعلقت به قد اختل، فاجتمع الناظر بالبناءين، وكشفوا عنها فوجدوا الخشبة التي كانت معلقة بها قد اندقت، فلولا أن تدوركت بالصلاح لسقطت وعظم حادثها في الناس.

وكان إذا أثنى عليه أحد بمحضره يقول: اللهم اجعلني خيرا مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون، ولد في حدود سبعة

---

[1] ينظر عند ابن الخطيب – المصدر السابق – ج: 1 – ص: (197– 200). إبن فرحون – المصدر السابق – ص: 39– 40. السيوطي– بغية الوعاة – المجلد الأول – ص : 424–425. إبن العافية، المكناسي، محمد بن أحمد، المكناسي– ذرة الرجال في غرة أسماء الرجال – تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – 1423هـ/2002م – ص: 93–94. التنبكتي – المصدر السابق – ج: 1 – ص: 39–40.

[2] هي كلمة عجمية لم تستعملها العرب في القديم، وإنما عرفتها في الإسلام، وهي بلد مثلث الشكل يحيط بها البحر من جميع جهاتها الثلاث، وطول الأندلس من كنيسة العرب التي على البحر المظلم إلى الجبل المسمى هيكل الزهرة، وهي بقعة طيبة، كثيرة الفواكه والنحاس والزئبق، فتحها المسلمونعلى يد طارق ابن زياد في عهد الخليفة عثمان ابن عفان. الحموي– المصدر السابق – مج: 1– ص :262. الحميري – المصدر السابق – ص: (32–35).

[3] ابن الخطيب – المصدر السابق– ج: 1– ص :198.

و[ستمائة][1] و[سبعين][2] وتوفي عام سبعة وعشرين وسبعمائة، وظهرت[3] يوم وفاته كرامة، وذلك أنه كان قبل موته الشتاء المطبق منذ شهر لا يتغير ساعة، ويوم دفنه تغير[4] الجو حتى أصبح[5] كأنه من أيام الصيف، ثم عاد[6] **/15/** الشتاء بعد موته وقبره بباب ألبيرة[7] يستسقى الناس به ويقصدونه في الحاجات، رحمه الله ونفعنا به.

---

[1] الزيادة من د.
[2] الزيادة من د.
[3] في د ظرت.
[4] ناقص في ك و د، و الصحيح ما أثبتناه لاستقامة المعنى.
[5] ناقص في ك و د، و الصحيحي ما أثبتناه لاستقامة المعنى.
[6] بهذه الكلمة تنتهي ترجمته في د.
[7] من كورة الأندلس، بينها وبين غرناطة ستة أميال، وهي بين القبلة والشرق من قرطبة، أرضها كثيرة الأنهار والأشجار، تتكون من عدة مدن كقسطيلية وغرناطة... ينسب لها كثير من أهل العلم، كمحمد بن سحنون، و عبد الملك بن حبيب. الحموي – المصدر السابق – مج: 1 – ص :244. الحميري – المصدر السابق – ص :28.

إبراهيم بن موسى المصمودي[1] نزيل بلدة تلمسان وكبير أولياء الله ذوي المقامات والعرفان:

كان هذا الولي أحد مـــن أوتي الولاية صبيا، وحل من رياسة العلـــماء ومكانة الزهاد الأتقياء مكانا عليا، وقد كتب جـــزء فـــى التعريف بـــه شيخ شيوخنا بركة الإسلام، وحجة الله على العلماء الأعلام، سيـــدي محمد بن أحمد بن محمد بـــن مرزوق، حدثـــنا بـــه عنه شيخنا الإمـــام خاتمة العلماء بتلمسان سيدي محمد بـــن العباس[2]، قال فيه: وممـــن هـــو فـــي عداد أشياخي وحصل لـــي النفع بمجالسته وكلامه الشيخ الإمام العالم العلامة المحقق المدرس رئيس الصالحين والزاهدين فـــي وقته ومكانه، صاحب الكرامات المأثورة، وأثار الديانة المشهورة، الولي بإجماع أهـــل زمانه المجاب الدعوة، أبو إسحاق بـــن موسى المصمودي، أصله من صنهاجة[3] المغرب – قرب مكنـــاسة الزيتـــون[4] – وهنالك ولـــد ونشأ، فلما كبر وفق لطـــلب العـــلم، فقرأ بفاس علـــى جماعة من الأكابر، كالشيخ الإمـــام حامل راية الفقهاء في وقته أبي عمران موسى بن العبـــدوسي[5]، والشيخ الإمام الشهير أبي عبد الله محمد الآبلي قال: وقرأ سيدي

---

[1] ينظر عند ابن مريم– المصدر السابق – ص : (64– 66). ابن مخلوف – ج : 1 – ص : 358–359. الحفناوي – المصدر السابق – ص : 16–17.

[2] من أكابر علماء تلمسان، وأحد أوعية العلم، ومفتي ومحقق، أخذ عنه العلم جماعة من كبار العلماء، كالشيخ الحافظ التنسي، وبن مرزوق الكفيف، والسنوسي، وبن صعد، صاحب مؤلفات منها " شرح لامية الأفعال " والعروة الوثقى في تنزيه الأنبياء " وله عدة فتاوي، توفي بالطاعون سنة 871هـ/1466م. ابن مريم– المصدر السابق– ص: 223–.224

[3] من أكبر قبائل البربر، وهم أبناء صنهاج، وأهل المغرب لا يخلو بطن من بطونهم، وأعظم قبائل صنهاجة تلكانة، ومواطنهم ما بين المغرب الأوسط وإفريقية. ابن خلدون – العبر– مج 6 – ص : (309–311).

[4] نسبة إلى مكناس البربري، لما نزلها مع بنيه، عند حلولهم بالمغرب، وهي من بلاد المغرب أنظارها واسعة وقراها عامرة. الإدريسي– المصدر السابق– ص : 96–97. الحميري – المصدر السابق – ص: 544.

[5] فقيه حافظ، عالم محدث، له معرفة بالرجال، أصله من فاس إستوطن القيروان، تفقه على أبي الحسن القابسي وبقرطبة عن أحمد بن قاسم، رحل إلى مشرق ودخل العراق سمع أبي الفوارس، ودرس الأصول على يد أبي بكر الباقلاني، له كتاب التعليق على المدونة كتاب جليل، توفي بالقيروان سنة 430هـ/1018م. عياض– المصدر السابق– ج : 2– ص : (280–283). راجع عنه كذلك ابن مخلوف– المصدر السابق– ص : 106. ابن فرحون– المصدر السابق– ص : 344. ابن الفرضي– المصدر السابق– القسم الأول– ص : 344–345.

إبراهيم قراءة كثيـــرة[1] على الشيخ الإمام شريف العلماء سيدي أبي عبد الله الشريف[2] ، وبعد وفاته انتقل سيدي إبراهيم لسكنى المدرسة التاشفينية للقراءة بـــها علـــى الشيخ العلامـــة خاتمـــة قضـــاة العـــدل بتلمســـان ســيـــدي العقباني، ثم انتقل بعد ذلك لبويته المعروف به، ومازال سيدي إبراهيم مقبلا على العلم والعبادة والاجتهاد في سلوك طريق أرباب المجاهدات.

أخذ بالغاية القصوى في باب الورع والزهد والإيثار، مثابرا على أعمال البر متبعا طريق السلف الصالح قال: وكان – رحمه الله– أحب الناس في مذاكرة العلم، لا يسمع بكبير في علم أو منفرد بفن إلا اجتمع به وذاكره، قال: وكان أعلم أهل زمانه بالسير، وأخبار الصحابة والسلف الصالح وأخبار **/16/** الصالحين، والعلماء من المتقدمين والمتأخرين.

قال: وكفاه الله وأهمه كما ضمن تعالى للمنقطعين بخدمة ذلك، ولسيدي إبراهيم كرامات شهيرة خرقت حجاب العادة، قال: حدثني كبير أصحابه الشيخ الصالح أبو عبد الله محمد بن أبي جميل[3] أنه عرض لي فعل أمر مشهور في[4] مذهب مالك منعه وإضطررت إلى فعله، فـــجعـــلت أبحث هل قيل بجوازه؟

فوجدته لابن حبيب[5] وأصبغ[6] فقلدتهما وفعلته. قال: فمضيت يوما في طير ثقيل

---

[1] من بداية ترجمته حتى هذه الكلمة، ناقصة في د.

[2] أبو عبد الله : يعرف بالعلوي، نسبة إلى قرية من أعمال تلمسان تسمى العلويين، فقيه تولى إمامة مسجد الخراطين، له عدة مؤلفات منها "إختصاره لشرح التسهيل لأبي حيان" من تلامذته القلصادي، قرأ عليه تسهيل بن ملك، ومفتاح الأصول لشريف التلمساني، ومن شيوخه أبي زيد، وأبي موسى، توفى سنة 847هـ/1445م. القلصادي– المصدر السابق– ص : 99–100. راجع عنه كذلك يحي بن خلدون– المصدر السابق– ص: 98.

[3] لم نعثر على هذه الشخصية في كتب التراجم.

[4] ناقص في ك و د، و الصحيح ما أثبتناه لاستقامة المعنى.

[5] فقيه الأندلس الذي ضرب به المثل، كانت له مكانة عالية عند السلطان عبد الرحمن المرواني، فلم يقدم أحد من أصحابه عليه، ولا يعدل بمشورته عنه، بضاعته في الحديث قليلة. ابن سعيد، علي بن موسى – المغرب في حلي المغرب – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى 1417هـ/1997م – الجزء الثاني – ص :79. ابن حيان، حيان بن خلف، أبو مروان – المقتبس من أبناء أهل الأندلس – تحقيق : محمود علي مكي– دار الكتب العلمية – بيروت 1393هـ/1973م – ص : 46. ابن عذاري المراكشي – البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب – تحقيق : ج. س. كولان – دار الثقافة – بيروت – لبنان – الطبعة الثالثة 1400هـ/1980م – الجزء الثاني – ص : 110–111.

[6] أبو القاسم ولد 193هـ/808 م، كان حافظا للرأي على مذهب مالك وأصحابه، لم يكن له علما بالحديث وطرقه. عرف بتقصيه الشديد لأصحاب مالك، خصوصا بن القاسم، توفي 273هـ/886م. ابن الفرضي عبد الله =

إلى زيارة أمي، فثقلت القبقاب من رجلي، وسقطت على حجر فتألم ذراعي منه تألما شديدا، ثم زرت الشيخ يوما في حال تألمي وكنت اعتقدت أن ما أصابني عفوية لمخالفة المشهور وتقليد غيره، وما أطلعت أحدا من خلق الله على قصتي، فقال لي الشيخ : مالك يا فلان؟ فقلت له: يا سيدي ذنوبي، فقال على الفور: أما من يقلد أصبغ وابن حبيب فلا ذنوب عليه.

هذا الكشف كما ترى من أكبر الكرامات، قال: وحدثني بعض الصالحين الفضلاء من أصحابه، قال: كنت جالسا مع الشيخ يوما في بيته وليس معنا أحد وهو يقرأ القرآن، ويشير بقضيب في يده إلى محل الوقف ضاربا على عادة أشياخ التجويد، فقلت في نفسي: لم يفعل هذا، أتراه يقرأ عليه أحد من أولاد الجن؟ فما أتممت ذلك الخاطر حتى قال لي: يا محمد كان بعض الشيوخ يجود عليه الجن القرآن. قال: وحدثت عن غير واحد ممن كان يهدي له طعاما لبنا أو غيره ويقبله منه أنه يرد ذلك عليهم في بعض الأحيان؟ فيتفقدون أنفسهم فيجدون ما يوجب الرد إما من ضجر من أهل البيت، أو تعد من الزوجة، أو نحو ذلك من الشبهات.

قال: وحدثني غير واحد أنه يكون خارج المدينة في وقت لا يشك أنه لا يدرك باب البلد عادة إلا وقد غلقت، ثم يرونه في البلد. وكثر المحدثون بهذه القضية جدا، وحدثني جدي أبو الفضل –رحمه الله– عن صفته ولباسه أنه كان أبيض اللون طويل القامة ولا يلبس سوى الكساء الجيدة، ولا يجعل على رأسه شيئا في أكثر الأوقات.

حدثتني جماعة من الفضلاء أن سيدي إبراهيم كان في ملازمته لجبل البصيلة إذا[1] وجد به موضعا فيه نوار الربيع، وأمعن النظر في اختلاف أنواعه وألوانه وأحكام صنعته الدال على عظيم قدرة، الواحد الصانع، لا إله إلا هو، غلبه الوجد

= بن محمد أبو الوليد – تاريخ علماء الأندلس– تحقيق : روحية عبد الله السويفي– دار الكتب العلمية– بيروت – لبنان– 1417هـ /1997م – ص : 70–71.

[1] في ك و د إذ، و الصحيح ما أثبتناه لاستقامة المعنى.

وأخذه الحال وتبختر في كسائه، و يقول في الحال /**17**/ تبختره[1] [وشطحه][2]، ﴿هَذَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الذِّينَ مِن دُونِهِ...﴾[3].

ولم يذكر سيدي محمد بن مزروق وفاته، فسألت الوالد فقال لي عن والده الجد أبي الفضل أنه توفي في اليوم الذي دخل أمير المؤمنين الواثق بالله[4] مولى محمد بحضرته العلية تلمسان، وولى ملكها، وذلك عام خمسة وثمانمائة فحضر جنازة سيدي إبراهيم ماشيا على قدمه، رحمه الله، ونفعنا به.

---

[1] في ك و د تبخره، و الصحيح ما أثبتناه لاستقامة المعنى.
[2] الزيادة من د.
[3] سورة لقمان – آية 11.
[4] محمد أبو عبد الله محمد الثالث، الشهير بابن خولة، ابن السلطان أبو حمو موسى الثاني، تولى على عرش الخلافة سنة 804هـ/1401م، إلى سنة 813هـ/1411م. التنسي – المصدر السابق – ص : (230– 233).

إبراهيم بن محمد بن علي التازي[1] أبو إسحاق نزيل مدينة وهران[2]:

وسلطان أولياء ذلك الزمان، وبدر هالتهم، العظيم الشأن، الشهير الذكر في حياته، الباقية أقواله وأفعاله بعد مماته.

كان سيدي إبراهيم – رحمه الله – من الأولياء الزاهدين وعباده الناصحين المخلصين، إماما في علوم القرآن، مقدما في علم اللسان، حافظا للحديث، بصيرا بالفقه وأصوله من أهل المعرفة التامة بأصول الدين، إماما من أئمة المسلمين وقفت على كثير من تقاييده في الفقه و الأصول، وعلوم الحديث بخطه الرائق/**18**/.

وكان من أهل الحفظ العظيم، معروفا بجودة النظر، والفهم الثاقب، جامعا لمحاسن العلماء، متمتعا بآداب الأولياء، لا نظير له في كمال العقل، ومثانة الحلم والتمكن في المعارف، وبلوغ الدرجة العليا في محاسن الأخلاق، وجميل العشرة والمعرفة بأقدار الناس مع القيام بحقوقهم في صحبتهم وملاقاتهم، وما عسى أن أذكر من جميل أوصافه فهو أجل قدرا، وأشهر ذكرا، وحسبك من جلالته وسعادته، أن المثل ضرب بعقله وحلمه، واشتهر في الأفاق ذكر فضله وعلمه، حتى أن المحدث من أهل زماننا ٍالآن إذا بالغ في وصف رجل، قال: كأنه سيدي إبراهيم التازي، وإذا امتلأ أحدهم غيظا، قال: لو كنت في منزلة سيدي إبراهيم التازي ما صبرت، هذا مع ما كان يتحمله من إذاية الخلق، والصبر على المكاره، واصطناع المعروف للكبير والصغير، ومداراته للجليل والحقير، ومما شأنه لكافة الناس على أقدار أخلاقهم.

وكان سيدي إبراهيم أحد من أظهره الله هاديا لخليقته، وأقامه داعيا لبسط كرامته، مجللا برداء المحبة والمهابة، مؤزرا بنشر القبول في قلوب الخاصة

---

[1] ينظر عند ابن صعد – روضة النسرين – ص: (214–259). إبن مريم – المصدر السابق – ص: (59–62). التنبكتي – المصدر السابق – ص : 61–62. الحفناوي – المصدر السابق – القسم الأول – ص: 12–13. القلصادي – المصدر السابق – ص: 111. إبن مخلوف – المصدر السابق – ج: 1 – ص: 380.

[2] مدينة بالمغرب الأوسط على ساحل البحر الرومي، أسست سنة 290هـ/902م، من قبل الأندلسيين بحريين بسبب مرساها، هي تقابل مدينة ألمرية في ساحل الأندلس. ابن الآبار– المصدر السابق– ج: 1– ص: 111. عادل نويهض – معجم أعلام الجزائر من مصدر الإسلام حتى العصر الحاضر– مؤسسة نويهض الثقافية – بيروت – لبنان – الطبعة الثالثة – 1403هـ/1983م – ص : 347.

والعامة، فدعا الخلق إلى الله بالبصيرة الواضحة الأنوار، وأرشدهم/**19**/ لعبوديته بعقائد التوحيد، ووظائف الأذكار، وكان من أحسن الناس صوتا وأنداهم قراءة، آية من آيات الله في فصاحة اللسان، وتجويد تلاوة القرآن، يقف سامعه لطيب نغمته وتحن القلوب لجودة قراءته.

حدث عنه أنه كان إذا قرأ كتاب البخاري، أو غيره من كتب الحديث أيام مجاورته بالحرم الشريف، إنحشر الناس إليه، وتوفر جمعهم عليه لحسن قراءته وجودة إتقانه، وقدمه مشيخة الحرم الشريف لصلاة الأشفاع في رمضان، واتفقوا على أنه أحسن القراء[1] تلاوة وأزينهم طلاوة وحلاوة.

أصل الشيخ إبراهيم التازي:

أصل سيدي إبراهيم من بني لنت[2]، قبيلة من قبائل البربر الكائنين بوطن تازا[3] وشهر بالتازي لولادته ونشأته[4] بها، وقراءته القرآن على أستاذها الشيخ الصالح المقرئ الزاهد، الولي العارف، أبي زكرياء يحي الوازعي[5]، وكان هذا الشيخ سيدي يحي يظهر الإعتناء بسيدي إبراهيم على صغر سنه، و يشيد بذكره ويقول للأولاد في المسجد: هذا سيدكم و صالحكم.

رحلة إبراهيم التازي العلمية إلى مصر[6] والحجاز[7]:

ومازال سيدي إبراهيم على الحالة الحسنة، والنشأة الصالحة، والهدي القويم إلى أن إرتحل من البلاد المغربية قاصدا أداء فريضة الحج، فنشر الله له القبول التام

[1] القراءة في د.

[2] هم بطن من بطون البربر والبتر، وأكثر بطونهم مزاتة وبطونهم كثيرة كذلك، منها يلاين، والقرنة ومجيجة دكمة، وحمرو، ومدونة، ومنهم أمة عظيمة لهذا العهد مع من به من قبائل هوارة وكتامة. ابن خلدون- العبر- مج 7- ص : 234-235.

[3] أول بلاد تازا حد ما بين المغرب الأوسط وبلاد المغرب، في الطول، وقد بني فيها في العهد القريب مدينة الرباط، وهي مدينة كبيرة، وأرضها خصبة بناها الأفارقة تبعد عن فاس بنحو خمسين ميلا. الحميري- المصدر السابق -ص : 128. الوزان – المصدر السابق – ص : 354.

[4] في ك ود نشئته، والصحيح ما أثبتناه.

[5] شخصية مغمورة لم نتوصل إلى ترجمتها.

[6] نسبة لابن عصرايم بن حام ابن نوح -عليه السلام- فتحها عمر ابن العاص في خلافة عمر ابن الخطاب – رضي الله عنه-. الحموي- المصدر السابق- ج: 5- ص:137. الإدريسي – المصدر السابق- ص: 147.

[7] قيل هو جبل فصل بين تهامة ونجد، فمكة تهامية ونجد والطائف حجازية، وقيل أيضا الحجاز: من تخوم صنعاء إلى تخوم الشام. الحموي- المصدر السابق- مج: 2- ص: 218 – 219.

في قلوب الخاص والعام، وقام له أولياء المشرق وعلماؤه على ساق، وعرفت صدقيته في البلاد المصرية والحجازية.

اشتهر ذكره في جميع الآفاق، ورافقه في وجهته هذه للبلاد المشرقية نظيره في العلم والدين، الولي الزاهد الناصح العابد، سيدي أحمد الماجري[1]، وشاركه في كثير مما من الله عليه هنالك من القراءة والمعارف ، والأسرار واللطائف.

حدثني ثقة من سادات[2] أصحابه عنه أنه قال: لما وصلنا مصر وجدنا ركب الحجاز قد فاتنا بالطلوع وأسفنا لذلك، ثم قصدنا مزارة القرافة للتوسل بأوليائها أن يسهل الله أمرنا في تكييف سفرنا، فوجدنا شابا دون لحية، نحيف الجسم، وأثار الولاية عليه ظاهرة، فسلمنا عليه، فكان من رده علينا بطريق المكاشفة الوقتية قوله: وعليكم السلام ورحمة الله، عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا، وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ﴿قُلْ لاَ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الغَيْبَ إلاّ اللهُ﴾[3] **/20/** تسافرون في البحر إن شاء الله، ثم سكت عنا، قال سيدي إبراهيم: [ففتحته][4] الكلام وسألته الدعاء، فسكت عنا ولم يرد باله إلينا، قال: ففرحنا بقوله تسافرون، وانصرفنا عنه، قال: فبعد أيام قليلة وصل موكب لمرسى مصر المسمى ببولاق فسافرنا فيه فوصلنا جدة في أسرع وقت، وعلى أفضل حال ببركة ذلك الولي، لله الحمد والمنة.

قال المؤلف ثم شدّ سيدي إبراهيم للحرمين الشريفين الرحال، وهنالك لقي أعلام الرجال، فأخذ بمكة المشرفة على علامة علمائها، وكبير محدثيها، قاضي[5] القضاة المالكية، السيد الشريف تقي الدين أبي الطيب محمد بن أحمد بن علي الحسني[6] الفاسي الأصل، المكي الدار، قرأ عليه سيد إبراهيم كثيرا من كتب الحديث

---

[1] أحمد الماجري، شخصية مغمورة، ذكره ابن مريم في البستان، لم نعثر عليه في كتب التراجم.

[2] في ك ساداة.

[3] سورة النمل – آية 65 .

[4] الزيادة من د.

[5] في ك و د قاض، و الصحيح ما أثبتناه لاستقامة المعنى.

[6] ولد سنة 775هـ/1371م بمكة، محدث مشهور، يتسم بسعة الحفظ، عالم بسير الحديث، أخذ عن جماعة من العلماء بمكة والمدينة، من شيوخه ابن الملقن، أخذ الحديث عنه في العراق، والفقه عن عبد الرحمن بن أبي = = الخير، وأخذ عنه ابن موسى، له عدة مؤلفات منها " ذيل على أعلام النبلاء"، و" الأربعين المتباينات " و إختصر كتاب الحيوان للدميري، توفي سنة 842هـ/1438م. السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع

والرقائق وإعتنى به هذا السيد الشريف، وكتب له في إجازته ما نصه.

الشيخ تقي الدين الفاسي يشيد بابراهيم التازي:

الحمد لله الذي جعلنا من سكان الحرم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث لجميع الأمم، ورضي الله عن أصحابه أولي الفضل والكرم، وبعد: فإن ممن أنست بمجالسته وإنتفعت بمذاكرته، وأرغب صالح أدعيته، الفقيه الأكمل الأفضل الخير المبارك، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن علي، اللنتي التازي المغربي المالكي أمده الله بحياته، ومتع بحياته لما جاور بمكة المشرفة سنة ثلاثين وثمانمائة، وقد قرأ على أبو إسحاق بلفظه جميع كتاب الشفا للقاضي أبي الفضل عياض، وجميع الألفية لجمال الدين أبي عبد الله بن مالك وغير ذلك قراءة حسنة. زاده الله من فضله، كما سمع علي بقراءة غيره كثيرا من كتب الحديث كموطأ مالك بن أنس إمام دار الهجرة، وجميع السنن لأبي عبد الرحمان أحمد بن شعيب النسائي، وجميع رسالة القشيري.

وكان الفراغ من قراءته للشفا[1] في الموفى ثلاثين لذي قعدة الحرام من سنة ثلاثين وثمان مائة بالمسجد الحرام، وقد أجزت للفقيه أبي إسحاق إبراهيم جميع مروياتي ومؤلفاتي، وأرغب في دعائه، فليتنعم به مثابا متفضلا، قال ذلك محمد بن أحمد الحسني، حمد الله أحواله وبلغه آماله محمد سيد المرسلين وآله الصفوة الأكرمين.

سفره إلى المدينة المنورة :

ثم لما حل سيدي إبراهيم بالمدينة المشرفة، على ساكنيها/**21**/ الصلاة والسلام، أخذ بها عن جماعة من العلماء الأعلام، منهم إمام الأئمة، وجمال علماء

لأهل القرن التاسع – منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت – لبنان - بدون تاريخ - الجزء السابع – ص: 18-19. راجع عنه نيل الابتهاج – ص : 518. ابن مخلوف – المصدر السابق – ص: 365.

[1] هو كتاب الشفا بتعريف بحقوق المصطفى، لليحصبي الأندلسي القاضي أبي الفضل عياض بن موسى، مكتبة ومطبعة المشهد الحسني– القاهرة – بدون تاريخ – الطبع في جزئين.

الأمة ، سيدي أبو الفتح محمد بن أبي، بكر القرشي، الشافعي[1] ، قرأ عليه سيدي إبراهيم علوما كثيرة ولازمه مدة طويلة، وكتب له سيدي أبو الفتح بخطه عدة إجازات، وقد حدثني بذلك كله عنه شيخي الشامخان جمال الحفاظ سيدي محمد بن عبد الله، التنسي، والبركة الزاهد، سيدي محمد بن يوسف، السنوسي، ولنذكر بعض هذه المكاتبات[2] تبركا من إشتملت عليه من أولياء الله الصالحين، منها:

حديث الضيافة :

حدثنا شيخنا أبو عبد الله السنوسي فيما كتب لي بخطه، قال: حدثني شيخنا العالم الرباني أبو إسحاق التازي، أضافني تمرا وماء، قال حدثنا شيخنا العامل أبو الفتح، وأضافني تمرا وماء، وكتب لي ما صورته. قلت، ومن خط سيدي أبي الفتح نقلت: الحمد لله وحده، أضفت سيدي الفقيه أبا إسحاق إبراهيم بن محمد اللنتي وسيدي أحمد بن محمد الماجري بالمدينة المشرفة تمرا وماء، في يوم الخميس ثاني شهر الله المحرم سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة، وقرأت عليهما: أخبرنا الحافظ نفيس الدين سليمان بن إبراهيم العلوي اليمني بقراءتي عليه جميع حديث الضيافة، بسنده المعروف عن شيوخه إلى السيد جعفر بن محمد الصادق[3] ، قال: أضافني أبو محمد بن علي الباقر[4] على الأسودين التمر والماء قال: أضافنا أبى علي بن الحسين بن

---

[1] أبو الفتح: قال عنه الدار قاطوني ما كان في ذلك الوقت أحد أوثق منه، أخذ عن موسى بن سهل الوشاء ومحمد بن الجهم السمري، صاحب تصانيف– توفي سنة 353هـ/963 م– الذهبي– تذكرة– ج :3– ص: 65.

[2] في ك و د المكاتب، و الصحيح ما أثبتناه لاستقامة المعنى.

[3] هو أبو عبد الله، جعفر الصادق، بن محمد الباقر، بن علي زين العابدين، بن الحسين، بن علي، بن أبي طالب(رضي الله عنهم) أمه فروة ابنة القاسم بن محمد بن أبي بكر، فهو إذن علوي الأب، بكري الأم ولد سنة 83هـ/702م على الراجح، روى عن أبيه وجده القاسم وطبقتهما، كان سيد بني هاشم في زمانه، لقب بالصادق لصدقه في مقالته، أعتبر أحد الأئمة الإثني عشرية في مذهب الإمامية، توفي سنة 148هـ/765م ودفن بالبقيع. النعمان بن محمد، أبو الحنفية – كتاب إفتتاح الدعوة – تحقيق : فرحات الدشراوي – الشركة التونسية للتوزيع– تونس– ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر– طبعة ثانية 1986 – ص : (3–20–26). المقريزي، أحمد بن علي – إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا – تحقيق : جمال الدين السيال – دار الفكر العربي– القاهرة طبعة 1367هـ/1948م– ص: (7–13–14–15). الأصبهاني– المصدر السابق– مج: 3– ص:(192–206). ابن الجوزي– المصدر السابق– ج : 2– ص: (98–102). ابن خلكان– المصدر السابق – مج: 1 – ص: 327–328. الذهبي– العبر– ج : 1– ص: 106.

[4] أبو جعفر، محمد بن علي زين العابدين: الملقب بالباقر، أحد الأئمة الإثني عشر في إعتقاد الإمامية، كان عالما كبيرا، وقيل له الباقر، لأنه تبقر العلم أي توسع فيه، أمه أم عبد الله بنت الحسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ولد بالمدينة يوم الثلاثاء صفر سنة 57هـ/676 م– وقتل سنة 113هـ/722م وقيل 117هـ/726م. المقريزي – المصدر السابق– ص: 14. ابن خلكان– المصدر السابق– ج : 2– ص: 221.

علي بن أبي طالب على الأسودين التمر و الماء، قال: أضافنا أبي علي أمير المؤمنين على الأسودين التمر والماء، قال: أضافنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم– علي الأسودين التمر والماء ثم قال– صلى الله عليه و سلم – : (من أضاف مؤمنا فكأنما أضاف آدم، ومن أضاف مؤمنين فكأنما أضاف آدم وحواء، ومن أضاف ثلاثة فكأنما أضاف جبريل وميكائيل وإسرافيل، ومن أضاف أربعة فكأنما أضاف التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ومن أضاف خمسة كأنما صلى[1] الصلوات الخمس في الجماعة من أول يوم خلق الله الخلق إلى يوم القيامة، ومن أضاف ستة فكأنما أعتق ستين رقبة من ولد إسماعيل، ومن أضاف/**22**/ سبعة أغلقت عليه سبعة أبواب جهنم، ومن أضاف ثمانية فتحت له ثمانية أبواب الجنة، ومن أضاف تسعة كتب الله له حسنات بعدد من عصاه من أول يوم خلق الله الخلق إلى يوم القيامة، ومن أضاف عشرة كتب الله له أجر من صلى[2] وصام وحج وإعتمر إلى يوم القيامة)[3].

قاله وكتبه أبو الفتح بن أبي بكر، وفقه الله تعالى.

ومن أناشيد سيدي إبراهيم في ذكر الضيف عن شيوخه بالسند المتصل للحافظ أبي الحسن علي بن أبي المكارم المقدمي:

إذا قـــدم الضيف إغتنمت قدومه ولم أك يوما عنه بالغافل الـــلاهي
وذالك أن الله يرزقـــنا معـــــا وأن دعاء الضيـــف من نعم الله[4]

وحدث ابن رشيد[5] في رحلته عن الشيخ أبي البركات شعبان الصوفي بسنده الأصمع: " خرجت حاجا إلى بيت الله الحرام فسمعت أعرابيا متعلقا على أستار الكعبة، يقول: اللهم أنك مضيف لمن ورد عليك، وأنا ضيفك اللهم وإني راجع إلى

[1] في ك صلا.
[2] في ك صلا.
[3] بحثنا في أمهات كتب الحديث ولم نتوصل إلى تخريجه.
[4] البحر الطويل.
[5] محمد بن عمر، الفهاري، من المحدثين الواسعين في علم الرواية والأدب، له مصنفات كثيرة منها ملأ العيبة توفي سنة 721هـ/1331م. ابن الخطيب– المصدر السابق– المجلد الثالث– ص: 102– 103.

أهلي، وهم سائلون بماذا أضفتني، اللهم وإني مخبرهم أنك قد أقريتني الجنة وأجرتني من النار وأفعل أنت بعد ذا ما تشاء "[1].

عودته إلى مصر وتونس[2]:

ولما قفل سيدي إبراهيم من وجهته الحجازية ونزل مصر وغيرها من البلاد تذكر مفارقته للحرمين الشريفين، وتشوق لما كان عليه من الخير والعبادة بتلك[3] المعاهد المعظمة والمشاهد المكرمة، نظم قصيدته الكمالية التي لاح فيها برهان صدقه وشهدت بتقدمه في درجة المعارف وسبقه، مطلعها :

ما حال من فارق ذاك الجمال وذاق طعم[4] الجمر بعد الوصال[5]

وكلام سيدي إبراهيم في الطريقة التصوفية، والمقامات العرفانية، والأمداح النبوية لا يقوم بمعناه إلا من تمكنت معرفته، وقويت في علوم اللسان عارضته وعلت في درجة الولاية رتبته، وذاق من طعم الحب والشوق من توفرت به مادته.

قلت: وكان سيدي إبراهيم وقف على أبيات الخطيب الزاهد أبي عبد الله بن بوطلة المرسي[6] ، وقد ضمن أوائلها اسمه أحمد – صلى الله عليه وسلم- أنشدها له أبو عبد الله بن رشيد في رحلته ومن خطه نقلت:

أرى العمر يفنى والرجاء طويل وليس إلى قرب الحبيب [سبيلا][7] /23/

حباه الله الخلق أحـسن سيـره فـما الصبر عن ذاك الجمال جميل

متى يشتفي قلبي بلـثم ترابـه ويسمـح دهـر لا يزال بخيـــل

---

[1] تصفحنا القطعة الخامسة من رحلته، و لم نعثر على هذا النص، و قد يكون في القطع الأخرى التي لم نتوصل إليها.

[2] مدينة كبيرة محدثة على ساحل بحر الروم، سميت قديما ترشيش، افتتحت أيام الحسن ابن النعمان. الحموي- المصدر السابق- مج: 2- ص: 60-61.

[3] في د تلك.

[4] في ك ود طعمهم، والصحيح ما في روضة النسرين- ص: 149.

[5] لا يوجد بحر لهذه الأبيات.

[6] أبو عبد الله: مفتي الحديث ورواياته، برع في اللغة العربية وآدابها، تولى الصلاة الفريضة، والخطابة بجامع مرسية، أخذ العلم عن أبي علي بن غريب، وبقرطبة عن أبي القاسم بن بشكوال، توفي سنة 599هـ/1209م. ابن الآبار- المصدر السابق- ج: 3- ص: 41.

[7] الزيادة من د.

دللت عليه في أوائل أســطري فذاك نبـــي مصطــفـــى ورســـول[1]

ولما وصل سيدي إبراهيم في قفوله مدينة تونس، أخذ عن أكابر علمائها وأفاضل أوليائها، وكتبوا خطوطهم للشهادة وخططوه على صغر سنه بأوصاف الزيادة، فكان من جملة من كتب له شيخ الإسلام، الحافظ العلامة الشهير عبد الله العبدوسي[2] قرأت بخطه في فهرسه سيدي إبراهيم ما نصه: الحمد لله وحده دائما يقول كاتبه عبد الله عبد الله بن محمد بن موسى العبدوسي، صافحت الفقيه الأخ في الله تعالى سيدي إبراهيم بن محمد التازي، أخذ الله تعالى بيده، وكان له بمنه وشددت يدي على يده ، وقلت له المراد بهذا الشدء الإشتداد في الله وتأكيد المحبة، وحدثته بها عن شيخنا الأستاذ أبي عبد الله محمد بن جابر الغساني[3]، عن الإمام الرباني أبي عبد الله محمد بن علي المصمودي المراكشي وشهرته بابن عليوات، عن أبي عبد الله الصوفي، عن الإمام العالم أحمد بن النبأ، عن ولي الله تعالى أبي عبد الله الهزميري[4] ، عن أبي العباس الخضر عن سيدنا ومولانا محمد – صلى الله عليه وسلم– وعلى آله وصحبه وكل من هو منه بنسب صحيح إلى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا وذالك في رمضان عام اثنين وثلاثين وثمانمائة.

السفر إلى وهران:

ثم قفل سيدي إبراهيم من تونس، فنزل تلمسان للقاء من بها من أكابر العلماء وصدور أهل العرفان، فأخذ بها عن علامة وقته وخاتمة العلماء سيدي محمد بن مرزوق، وكتب له إجازته في ربيع الثاني من عام إثنين وثلاثين وثمانمائة، ثم قصد

---

[1] من البحر الطويل.

[2] أبو محمد: عرف بالفاسي، عالم، مفتي، إشتهر بسيعة الحفظ للحديث، والصلاح، تولى إمامة جامع القروين بفاس، أخذ العلم عن والده وجده وأبي عمران، وأخذ عنه بن ملال والقوري والورياجلي، له رسائل وفتاوي كثيرة نقل منها في المعيار، توفي سنة 849ه/1468م. التنبكتي– المصدر السابق– ص: 231. ابن مخلوف – المصدر السابق– ص: 338.

[3] أبو عبد الله: إمام من العالماء البارعين، أخذ عن أحمد الغمار، وأخذ عنه القوري، صاحب مصنفات منها "نزهة الناظر" و"تصميط البردة" توفي سنة 827هـ/1424م. إبن مخلوف– المصدر السابق– ج: 2– ص:251.

[4] محمد، أبو عبد الله: من الفقهاء المتصدرين للإقراء والتدريس، من الزهاد الذين انقطعوا عن الدنيا، وبلغ أمله في مقامات الأولياء، له كرامات كثيرة أفردها مع أخيه أبي زيد سماه " أثمن العينين في مناقب الأخوين ". التنبكتي– المصدر السابق– ص: (380–384). راجع عنه كذلك ابن مخلوف– المصدر السابق– ج : 2– ص: 288 .

مدينة وهران لزيارة شيخ المشايخ لسان الحق جنيد أقرانه وحكيم زمانه سيدي محمد الهواري، ونيته أن يعاود الرجعة للحرمين الشريفين، برسم الإقامة هنالك والإستيطان مع مشيخته وأصحابه الذين أكرمهم الله بجواره وخصهم بمشاهدة أنواره، فقد روينا في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال:(من مات في أحد الحرمين غفر له)[1].

وأخرج الدارقطني في سننه عن حاطب قال: قال/**24**/ رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من مات بأحد الحرمين بعثه الله الأمنين يوم القيامة)[2] ، وروينا في " الموطأ " أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول: " اللهم ارزقني شهادة في سبيلك ووفاة ببلد نبيك "[3].

وعند اجتماعه بسيدي محمد الهواري، تفرس فيه سيدي محمد مخايل النجابة ورآه بالوراثة والعصابة، فأكرم نزله، ورفع مقامه وقال له في حكاية طويلة: يا إبراهيم أنت مقيما على البر و الكرامة.

حدثني شيخنا أبو عبد الله السنوسي أن سيدنا إبراهيم حصل له النفع العام بصحبته سيدي محمد، وظفر منه بذخائر من الحكم الربانية، ووصل بسببه إلى الرسوخ في المقامات العرفانية، والتمكن في رتبة الأولياء ودرجة أهل التصريف.
قال: فمن شاهده بفهم ذالك من لسان حاله وإستقامة أحواله، ومازال سيدي محمد ينوه به، ويرفع من شأنه ويشير لأصحابه بملازمته، ويخصهم على خدمته ويبصرهم بكمال عقله، وإتساع معرفته وعظيم فضل الله عليه. وإذا قدم عليه أحد

---

[1] رواه بلفظ آخر، البيهقي، أحمد ابن الحسين أبو بكر– شعب الإيمان– دار الكتاب العلمية– بيروت– 1421هـ/2000 م– المجلد الرابع– ص: 497. حديث رقم: 4181. أما تحقيقه فهو حديث لا يصح الإيمان ابن الجوزي وكتابه الموضوعات– شركة أبو ظبي للطباعة– ص: 348. نقلا عن ابن الجوزي وكتابه الموضوعات– تحقيق: عبد الرحمان محمد عثمان– المكتبة السلفية– المدينة المنورة– الطبعة الأولى– 1386هـ/1966م– الجزء الثاني– ص: 218. وقال العجلوني، إسماعيل محمد الجراحي، في كشف الخفا ومزيل الإلتباس عما أشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس– مؤسسة الرسالة– 1405هـ/1985م– الطبعة الرابعة– الجزء الثاني– ص: 368– رقم الحديث: 2619. بأنه موضوع.

[2] رواه البيهقي– المصدر السابق– ص : 488– حديث رقم :4151. أما تحقيقه فهو حديث لا يصح، المصدر السابق.

[3] ملك بن أنس– الموطأ– تحقيق : فؤاد عبد الباقي– دار الكتاب المصري– القاهرة– دار الكتاب اللبناني– بيروت– بدون تاريخ– الجزء الثاني– ص: 462.

من الواردين للزيارة يعرفه بمكانه ويقول له سلم على الشيخ سيدي إبراهيم فإذا قضى[1] الزائر غرضه[2] من الزيارة، وأتى لوداع الشيخ سيدي محمد نبهه أيضا على وداع سيدي إبراهيم، فأقام عنده على ذالك نحو العشرة أعوام معروف المكانة محفوفا بالتجلة والكرامة، وهو في أثناء ذالك ينسخ كلام سيدي محمد الهواري بخطه ويجمعه في دفاتر وقفت على كثير منها. وإلى فعله في ذلك أشار سيدي محمد الهواري في اليائية الطويلة بقوله:

ويرحم ربــــي من قد شقـــا ويـــعطيــه درجـــا عاليــــــا

ومن سلف يعطـــه ما ســــلف فــــي الأيــــام الخاليــــــا [3]

فبعد وفاة سيدي محمد، إنتقل سيدي إبراهيم عن زاوية سيدي محمد وأخذ في إظهار ما أقامه الله فيه، وأرشده إليه من دعوة الخلق، وهدايتهم لطريق الملك الحق لا إله إلا هو، فأقام سوق الأذكار بوهران، وأبان بها معالم الإسلام ورتب المواسم الشرعية، ونبه على الآداب الدينية والدنيوية، ونقل أهلها عما كانوا عليه من التبدي إلى الحضارة، فإتسعت فيها وعظمت العمارة، وإرتحل إليها كثيرا من أهل الجزيرة وإغتبطوا لبركته سكناها وإعترفوا بفضلها على من سواها، وصرف الزوار وأعنة الرفاق إلى مثواها، وقصده الواردون من جميع /**25**/ الآفاق، وحصل على فضله وولايته الإجماع والإصفاق، وإلى ذلك أشار سيدي محمد الهواري في مقدمة التنبيه فقال: **التنبيه إذا يقراه من هو يا صبي طبقا والناس ليه تحييه غربا وشرقا** [4]

وكان سيدي إبراهيم في أثناء ذالك كله يستفتح مجالس إقرائه[5] بقراءة كتب الشيخ سيدي محمد الهواري يقرأها بلفظه، فيفسر مجملها ويفتح مقفلها يشير في حال قراءته لمقامات الشيخ وعلومه، ويطيب أثناء الجميل عليه، ويطيل الدعاء له

---

[1] في ك ود قضا، والصحيح ما أثبتناه.

[2] في ك عرضه.

[3] بحر الرجز.

[4] في د غربه وشرقه.

[5] في ك أقرائه.

ويقول: ما علي إلا بركة الأشياخ وخصوصا سيدي محمد الهواري عملا بالأحاديث المرغبة في شكر من أسدى إليك يدا أو ساق إليك خيرا.

روينا عن سيدي إبراهيم عن سيدي أبـــي الفتـــح عن زين الدين العراقي في مجالسه بسنده عن النعمان ابن بشير قال، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلـــم- (من لم يشكر الناس لم يشكر الله، ومن لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، والتحدث بنعم الله شكر، وتركها كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب) [1].

قال: الزين العراقي ومما رويناه مسندا عن عائشة رضي الله عنها قالت قال لي رسول الله – صلى الله عليه وسلم- : (ياعائشة إذا حشر الله الخلائق يوم القيامة قال العبد من عباده كان إصطنع إليه عبد من عبيده معروفا هل شكرته؟ فيقول: أي رب علمت أن ذالك منك، فشكرتك عليه فيقول تعالى: لم تشكرين إذا لم تشكر من أجريت ذلك على يديه) [2].

وإستند الحافظ أبو نعيم عن كعب الأحبار[3] أنه قال: "ما أنعم الله على عبد من نعمة فشكرها لله وتواضع بها لله، إلا أعطاه الله نفعها في الدنيا ورفع له بها درجة في الآخرة، وما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فلم يشكرها ولم يتواضع بها لله، إلا منعه الله نفعها في الدنيا، وفتح له طبقا من النار في قبره يعذبه إن شاء أويتجاوز عنه"[4].

وباب الشكر لمن أنعم الله به عليه من الصفات الجميلة والمقامات الجليلة وهو من صفات أهل الجنة، قال تاج الدين أبو الفضل في كتابه " اللطائف " وعن بعض

---

[1] رواه أحمد ابن حنبل- مسند أحمد بن حنبل- بيت الأفكار الدولية- الرياض- السعودية- طبعة 1409هـ/1988م- مسند المكثرين- مسند أبي هريرة- ص : 565- رقم الحديث: 7496. أما تحقيقه فهو صحيح، محمد ناصر الدين الألباني- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها- مكتبة المعارف- الرياض- 1415هـ/1996م- المجلد الثاني- ص: 272- رقم الحديث: 667.

[2] رواه الطبراني، سليمان بن أيوب، أبو القسام- المعجم الصغير للطبراني- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- 1403هـ/1983م- الجزء الأول- ص: 163. أما تحقيقه فهو ضعيف، الهيثمي، نور الدين بن علي – بغية الرائد ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد- تحقيق: عبد الله محمد الدرونش- دار الفكر- بيروت- لبنان-1414هـ/1994م- الجزء الأول- كتاب الإيمان- باب الإيمان- باب من شهد لا إله إلا الله- ص: 159- رقم الحديث: 5.

[3] بن مانع، الحميري، من أوعية العلم، ومن كبار علماء أهل الكتاب، أسلم زمن أبي بكر أخذ عن الصحابة وغيرهم، توفي 34هـ/614م وقيل سنة 32هـ/612م. الذهبي- ذيل تذكرة الحفاظ- دار الكتب العلمية بيروت لبنان- 1419هـ/1998م- الجزء الخامس- ص: 42-43.

[4] أبو نعيم – المصدر السابق- مج: 6- ص: 43.

العارفين علم الشيطان، أن طريقا يوصل إلى الله أفضل من الشكر لوقف فيها ألا تراه قال: ﴿ثُمّ لأتِيَنَهُم مِن بَيْنِ أيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [1]، تأمل كيف لم يقل ولا تجد أكثرهم صابرين ولا خائفين ولا راجين.

قال ابن عطاء[2] الله : ولما إجتمعت/**26**/ بالسلطان الملك المنصور، رحمه الله قلت له: يجب عليكم الشكر لله، فإن الله سبحانه وتعالى قرن دولتكم بالرخاء فإنشرحت قلوب الرعايا بكم، والرخاء أمر لا يستطيع الملوك تكسبه ولا إستجلابه كما يكتسبون العدل والجود والعطاء. فقال لي: وما هو الشكر؟ فقلت له: الشكر على ثلاثة أقسام: شكر اللسان وشكر الجوارح الظاهرة، وشكر القلب، فأما شكر اللسان فهو التحدث بنعم الله تعالى...، قال الله تعالى:﴿وَأمَّا بِنِعْمَةِ رَبّكَ فَحَدِّثْ...﴾[3] ، وأما شكر الجوارح الظاهرة، فالعمل بطاعة الله.

قال الله سبحانه: ﴿...اعْمَلُوا آل دَاوودَ شُكْرًا﴾[4] وأما شكر القلب، فهو أن تعتقد وتعترف بأن كل نعمة بك أو بأحد من العباد هي من الله تعالى، قال جل جلاله: ﴿وَمَا بِكُم مِن نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ﴾[5] . فقال لي الملك: وما الذي يصير به العبد شاكرا فقلت له: أما الملوك فبإظهار العدل في الرعية، ودفع المضرة عنهم والأنكاد اللاحقة لهم، فإذا عدل الملك في رعيته ونظر لها بالأصلح فقد إتصف لها بالشكر وحصل له ثواب الشاكرين، وأما العلماء فبتبليغ العلم للناس، وإرشادهم لطاعة الله وأما التجار ذو الأموال، فبالصدقة والإيثار والنفع لعباد الله.

وروينا في رفائق ابن المبارك عن بعض السلف الصالح، قال: " إن حقوق الله عز وجل أعظم من أن يقوم بها العباد، وأن نعمة الله أكثر من أن تحصى ولاكن

---

[1] سورة الأعراف – آية 17.

[2] أحمد ابن محمد، إمام جمع بين عدة أنواع من العلوم، كالتفسير والحديث والنحو والفقه، أخذ عنه تقي الدين السبكي، صاحب مؤلفات منها "التنوير في إسقاط التدبير" توفي بالقاهرة سنة 709هـ/1318م. التنبكتي- كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الدباج- دار ابن حزم- الطبعة الأولى- 1422هـ/2002 م- ص: 83.

[3] سورة الضحى – آية 11.

[4] سورة سبأ – آية 13.

[5] سورة النحل – آية 53.

أصبحوا تائبين وأمسوا تائبين ".

ومن مرويات سيدي إبراهيم في كتاب "المجالس" للزين العراقي عن عبد الله بن عمرو بن العاصي قال: سمعت النبي – صلى الله عليه وسلم- يقول:(خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكرا صابرا، ومن لم تكونا فيه لم يكتبه الله شاكرا ولا صابرا: من نظر في دينه إلى من هو فوقه فاقتدى به، ومن نظر في دنياه إلى من هو دونه، فحمد الله عز وجل على ما فضله به عليه، كتبه الله شاكرا صابرا، ومن نظر في دينه إلى من هو دونه، ونظر في دنياه إلى من هو فوقه فأسف على ما فاته منه، لم يكتبه الله، عز وجل شاكرا ولا صابرا)[1] .

قال الزين: أنشدنا الإمام قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن محمد بن جماعة لمحمود الوراق رحمه الله:

إذا كان شكري نعمة الله نعمة   علي له في مثلها يجب الشكـــــر/27/
[فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله   وإن طالت الأيام واتصل العمـــر][2]
إذا مس بالسراء عم سرورها   وإن مس بالضراء أعقبه الأجـــر
وما منهما إلا له فيه نعمـــــة   تضيق بها الأوهام والبر والبحر[3]

المكانة الحضارية في عهد إبراهيم التازي:

ومن أعظم الدلائل على ولايته الباهرة وكراماته الظاهرة، وما أجراه الحق سبحانه على يده من بناء الزاوية البديعة المتعددة الأبواب، والمساجد الأنيقة العالية والمرافق المعدة للزوار وأبناء السبيل، فمسجد زاويته نهاية في الفخامة والإحتفال ومدارسها المشتملة المنضاة الأنيقة الدارة، والحمام الذي ما شوهد مثله في البلاد والخزائن المملوءة بالكتب العلمية، وآلات الجهاد، والسطح المظل بعريش من شجر

---

[1] رواه الترمذي- الجامع الصحيح- كتاب صفة القيامة والرقائق عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- باب ما جاء في صفة أواني الحوض- ص: 714- رقم الحديث: 2517. أما تحقيقه فهو ضعيف- الألباني ناصرالدين – ضعيف الجامع الصغير وزيادته- المكتب الإسلامي- بيروت- لبنان- الطبعة الثانية- 1408هـ/ 1988م- ص: 417- رقم الحديث: 2832.

[2] بيت ناقص في ك والزيادة من د.

[3] البحر الطويل.

الياسمين العنبري الرائحة لا نظير ولا مثال، ورحم الله سيدي محمد الهواري فقد صدقت فراسته فيه حيث قال في " التنبيه " مشيرا له على عادته:

عقلك ريته يســــــري **كانوا في البحور يغيـــــب**

نتعجب فيــك نجيـــب **وأديب مربي وأطبيـــــب**

وقد تشبــه البـــنـــا **وبنيانك علـــى ترتيـــب**[1]

إدخال الماء لوهران:

وأما الماء الذي أدخله لوهران، فهو من غرر الدهر وحسنات الزمان، وقد رآه من نزل وهران من الملوك، وأهل جباية الأموال، فلم يهتدوا وأعوزهم سبيله وأخر الله ذلك لزمانه، لتتقل به كفة ميزانه وصنعه مما يحار فيه أهل النظر والاعتبار، ويضيف عن غاية إبداعه ذو الأيدي والأبصار، فمن لم يشاهد ببصره سيدي إبراهيم- رحمه الله – وشاهد أثار حسناته في زاويته المعدة لأهل الله ومساجده المعمورة بطاعة الله وتصرفات تلك المياه المعينة على عبادته، وسماطه المعدة لأهل الوظيفة المنصورة، وصدقاته الجارية وكل ذلك باق كما رتبه، بل زائد على ما كان عليه في حياته، لم تتغير أشكاله بحال، ولا تبدلت أحواله إلى إختلال علما أن ذلك من أعظم كراماته وأقوى الدلائل على صدق ولايته.

حدثني المشيخة من أهل وهران، أن سيدي إبراهيم حيث أدخل الماء سر به أهل وهران سرورا ما أدركوه قط، لأنهم كانوا في مشقة كبيرة من قلة الماء، وقد روينا في ضائع المعروف الحديث الصحيح عن علي – رضي الله عنه- عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم- عن الروح الأمين – جبريل عليه السلام- عن الرب المالك الحق مولانا – عز وجل- /**28**/ قال: (يا محمد أكثر من صنائع المعروف فإنها تقي مصارع السوء، وما عمل العبد بعد أداء الفرائض عملا أحب إلى الله عز وجل من إدخال السرور على المؤمنين)[2].

---

[1] لايوجد بحر لهذه الأبيات.

[2] رواه الذهبي- ميزان الاعتدال في نقذ الرجال- دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة الأولى-1995- الجزء الثاني- ص: 320. وذكر هذا الحديث بلفظ آخر ولعل المؤلف جمع بين حديثين، الأول رواه الطبراني في الأوسط رقم: 943، ورقم 6086، ولفظه قال رسول الله – عليه الصلاة والسلام- : (صنائع المعروف تقي =

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة)[1].

وخرج الخطيب أبو بكر في ترجمته القاضي صالح بن بـــيـــان أحد أصحاب الإمام سفيان الثوري[2] قال : حدثنا سفيان بن علي بن أبي عبيد عن أنس قال قال رسول الله– صلى اله عليه وسلم– (من سقى الناس في موضع يقدر على الماء فيه، فله بكل شربة يشربها البر[3] ، أو الفاجر عشر حسنات تكتب له، وعشر درجات ترفع له، وعشر سيئات تحط عنه، ومن سقى الماء في موضع لا يقدر على الماء فيه فكأنما أحيا الناس جميعا، [قلت له: ومن أحيا الناس جميعا][4] قال: أليس إذا أحييت نفسا فثوابك الجنة، وكذا من أحيا الناس جميعا فثوابه الجنة)[5].

محبة الشيخ إبراهيم التازي للعلماء:

وكان سيدي إبراهيم يحب العلماء، ويكرمهم، ويوسع لهم في مجلسه، ويقدمهم وربما كان في[6] متفقهة الوقت من ينكر عليه أحواله، ويزهد الناس في الوصول إليه فإذا بلغ ذلك لسيدي إبراهيم تبسم وقال: أمرنا وأمره إلى الله، وكان يقول: الفقيه من يفقه عن الله ويرغب فيما عند الله، ويزهد فيما عند الناس، أما من يطلب العلم

= مصارع السوء، والصدقة خفيا تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم زيادة في العمر، وكل معروف صدقة وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة. و أول من يدخل الجنة أهل المعروف. ومن أحب الأعمال إلى الله بعد الفرائض، إدخال السرور على المسلم) رواه ابن المبارك، عبد الله ابن المبارك الماروزي أبو عبد الله، الزهد– دار الكتب العلمية– بيروت– بدون تاريخ– الجزء الأول– ص: 239. أما تحقيقه فهو ضعيف، الألباني– المصدر السابق– رقم الحديث: 3494.

[1] رواه أبو نعيم– المصدر السابق– مج: 9– ص: 319. أما تحقيقه فهو ضعيف، الألباني– المصدر نفسه– ص: 28– رقم الحديث: 177.

[2] بن سعيد، أبو عبد الله، من أهل الكوفة، كان إماما في علم الحديث، وغيره من العلوم، أجمع الناس على دينه وورعه، وزهده، وهو من الثقات الأئمة المجتهدين، ولد سنة 95ه/713م– وتوفي سنة 161ه/777م– ابن خلكان– المصدر السابق– مج: 2– (386–391). له ترجمة مطولة عند الذهبي– السير– ص: 336– 370. ابن سعد– ج : 5– ص: 350. الذهبي– العبر– ج: 1 – ص: 122.

[3] في ك البرا.

[4] ناقصة في د.

[5] إبن الخطيب، أحمد بن علي، البغدادي– تاريخ بغداد– دار الكتب العلمية– بيروت– لبنان– 1417هـ/1997م – المجلد التاسع– ص: 311– رقم الحديث: 4846. أما تحقيقه فهو موضوع الألباني– المصدر السابق– ص: 28– رقم الحديث: 177.

[6] ناقصة في د.

ليباهي به العلماء، أو ليصرف به وجوه الناس إليه، وليحظى بالمنزلة عند الأمراء فذلك ساقط عند الله، إذ ليس من أهل الخشية لجلال الله يجيب الناس بما فيه، ويرى الفضل له عليهم ويدعيه.

وفيما حدث به أبو الفرج الجوزي عن أبي عبيدة الناجي قال: سمعت الحسن البصري يقول: " يا ابن آدم لا تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك، وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب من نفسك، ومهما أصلحت عيب من نفسك وجدت عيبا أخر لم تصلحه، فعليك بعيوب نفسك فإنك لست على العباد برقيب "[1].

وأفادني شيخنا أبو عبد الله التنسي أبياتا حسنة لأبي داود سليمان بن معمر من رواة الأصمعي، أنشدها/**29**/ له الخطيب أبو بكر قال:

يا آمر[2] الناس بالمعروف مجتهدا — وإن رأى عاملا بالمنكر إنتهره
إبدأ بنفسك الناس كلهم — فأوصها وأتل ما في سورة البقرة
أتأمرون ببر تاركين له — ناسين ذالك فعل الخيب الخسرة
وإن أمرت ببر ثم كنت على — خلافه لم تكن إلا من الفجرة
من كان بالعرف أمارا وتاركه — فليس يسبق منه سيلة مطرة[3]

وفي كتاب " الرفائق " للحسن البصري في بعض المسائل: ما سمعنا أحدا من الفقهاء يقول هذا. فقال: وهل رأيت فقيها قطا؟ إنما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة المحب في العبادة: قال: وما رأيت فقيها قط يداري ولا يماري، إنما الفقيه [من][4] ينشر ما عنده من حكمة الله، فإن قبلت منه حمد الله – عز وجل– وإن ردت حمد الله عز وجل. وقال سيدي محمد الهواري رحمه الله تعالى:

من لا يعرف الله — لا تعرفوا[5] واحذر منوا
والتقا مع شيخ عارف — والعلم من أهل الدين يستقا

---

[1] رجعنا إلى أبو الفرج الجوزي ولم نجد ترجمة أبي عبيد الناجي، وإلى ترجمة أبو الحسن البصري في المصدر نفسه، مج: 4، ص: 9، ولم نعثر على هذا القول.
[2] يأمير في د.
[3] البحر الكامل.
[4] ناقصة في د.
[5] تعرفوا في ك.

وحدث ابن المبارك عن سفيان الثوري قال: تعوذوا بالله من فتنة العابد الجاهل وفتنة العالم الجائر فإن فتنتها فتنة لكل مفتون.

وأنشد أبو عبد الله ابن رشيد بسنده عن الحسن بن علي الدمغاني قال: سمعت الولي الزاهد يحي بن معاد[1] يقول مخاطبا لبعض العلماء الذين غلب[2] عليهم الرياء والتنافس وحب الفانية.

عانقت دنياك مسرورا بزينتها وقد منعت التقي والزاهد والورعا
فكيف ينفع منك جامـعـه ولا يراك بهـذا العلـم منتفـعـا[3]

الحالة الإجتماعية في وهران في وقت إبراهيم التازي:

وكان سيدي إبراهيم محبا في الفقراء والمساكين، موثرا لهم بإغاثة ملهوفهم والقيام بشؤونهم، دؤوبا على فعل الخيرات وأنواع الطاعات، حريصا على إيصال الخير لعباد الله، يحب لكافة الناس، ما يحب لنفسه، ونشر الله له القبول في قلوب عباده، فكانت الخاصة والعامة على غاية من حبه وإجلاله يقدمونه على أنفسهم وآبائهم، ويبتهجون بأقواله وأفعاله، وكانت الصدقات والنذور ترد عليه من الآفاق/**30**/، فلا يدخر شيئا منها بل يصرف ذلك في وجهه ويعود على المحاوج.

حدثني شيخنا أبو عبد الله التنسي قال: كان شيخنا أبو إسحاق مجبولا على الكرم والإيثار، لا يدخر شيئا ولا يلوي على سبب، قال مما أنشدناه في الجملة قول الزاهد العارف أبي العباس بن العريف[4]:

تعاتبني في الجود والجود شيمتي ومالي بـتبديل الطباع زعيـم
ولم أر مثل الجـود أما حـديثـه فحـلو وأمـا حبـه قـديـم
ولا خير فيمن لا يعاش بعيـشـه ولـو أنه فوق السماك مقيـم
ذريني فأن البخـل عـار بأهلـه وما ضر مـثلي أن يقال عديـم

---

[1] يكنى أبا زكريا، نزيل الري، ثم انتقل إلى نيسابور، عرف بالزهد والعبادة، محدث سمع من إسحاق ابن إبراهيم وعلي بن محمد الطنفاسي. توفي سنة 238 هـ/700م. إبن الجوزي- المصدر السابق- مج: 2- ص: (60-67).
[2] غلبت في د.
[3] من البحر البسيط.
[4] ستلي ترجمته بالمخطوط.

أرى كل طلق كل خلق حـــميمـــه وليس لمقـــبوض اليدين حميـــم

وكيف يخاف الفقر ويحرم الـــغنا كريم ورب العالمين كريـــــم[1]

وكان رحمه الله إذا شرع في بناء شيء من الأماكن المعدة لمنافع المسلمين ومرافقهم المعينة لهم على عبادة ربهم، إستدان ديونا كثيرة لذلك، فيتحير أرباب الأموال في كيفية خلاص ذالك الدين، ويتعجبون من قوة يقين الشيخ وكريم أحواله فما تمر عليهم أيام قليلة حتى يفتح الله في خلاصه، والمخرج منه من حيث لا يحتسب أحد.

وكان من عادته إذا كمل الموضع بالبناء عجل الشهادة عليه بأنه حبس على الزاوية، حتى أنه لم يترك لوارثه من الأرض شبرا، ولا ذخر فضة ولا تبرا. وكان رفيع الهمة عن ملك الوقت وولاة الامر مع رغبتهم في قضاء حوائجه وتطارحهم عليه بالكتب فيتغافل عنهم ولا يجيبهم عن كتبهم، لأنه كان قليل الكتب، لا يكتب إلا لآحاد الناس، ومع ذلك فكانوا له على الحالة المرضية من الإجلال والتعظيم، يقبلون شفاعته ويعظمون وسيلته، وكان يقول لأصحابه: إنما تكون السلامة في الدين بترك الطمع في المخلوقين :

هي القناعة لا تبغي بها بـــدلا فيها النعيم وفيها راحـــة البـــدن

أنظر لمن ملك الدنيا بأجماعها هل راح منها بغير القطن والكفن[2]

وروينا في أخبار الولي الزاهد بشر الحافي[3] أنه قال: " رأيت أمير المؤمنين علي أبي طالب رضي الله عنه في المنام، فقلت له: عظني يا أمير المؤمنين، فقال لي: أحسن عطف الأغنياء/**31**/ على الفقراء طالبا للثواب، ومن أحسن ذلك تيه الفقراء على الأغنياء ثقة بالله، قال المؤلف قوله: ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء عكسه ما أقبح تواضع الفقراء للأغنياء "[4].

---

[1] من البحر الطويل.

[2] من البحر البسيط.

[3] طلب العلم في مكة والكوفة، سمع من وكيع وعيسى ابن يونس، توفي سنة 227هـ/841 م. إبن الجوزي- المصدر السابق- مج: 2- ص: (197-203).

[4] لم نعثر على هذا القول في ترجمته عند ابن الجوزي- المصدر نفسه- ص: (197-203).

والأصل فيه قوله – صلى الله عليه وسلم– (من تواضع لأجل غناه ذهب ثلثا دينه)[1] قال: الأستاذ أبو قاسم سمع الشيخ أبا علي الدقاق يقول: قال عليه السلام: ذهب ثلثا دينه؛ ولم يقل ذهب دينه لأن للمرء[2] ثلاثة أشياء، قلبه ولسانه وبدنه، فإذا تواضع الفقير بلسانه وبدنه للغني من أجل غناه فقد ذهب ثلثا دينه. قال: فلو إعتقد الفقير التواضع بقبله للغني، كما ظهر ذالك على لسانه وبدنه فهذه، حالة تبعد من المؤمن، ونعوذ بالله ممن كانت هذه صفته. وقد أنشد بعض العارفين:

حرام على مـــن وحــد الله ربـــه وأفرده أن يجتدي أحدا رفـــــدا

ويا صاحبي قف لي مع الحق وقفة أموت بها وجدا وأحيا بها وجدا

وقل لملوك الأرض تجهد جهدهـــا فذا الملك ملك لا يباع ولا يهدى[3]

وفي شرح الأسماء الأستاذ أبي القاسم قال: روي أن بعض الأمراء قال لبعض الصالحين: سلني حاجة. قال: أولي تقول هذا وقد كان لي عبدان قهرتهما وملكتهما وهما الآن سيداك. قال: ومن هما؟ قال: الحرص والهوى فطال، ما غلبتهما وقد غلباك وملكتهما وقد ملكاك.

تقدير إبراهيم التازي لأهل البيت:

وكان سيدي إبراهيم على حالة عظيمة، ورتبة كريمة من إجلال الشرفاء المتسبين لأهل البيت، والتنويه بقدرهم، والتنبيه على رفعة مكانهم ويقول لأصحابه: تعظيم أهل بيت النبي – صلى الله عليه وسلم– من تعظيمه، لأن حرمته – صلى الله عليه وسلم– ميتا كحرمته حيا.

حدثني الفقيه الكاتب العلامة أبو عبد الله بن الشيخ الصالح سيدي عيسى بن عبد السلام فيما وجدته بخطه عنه في حكاية طويلة، أن مولانا المتوكل أمير المسلمين، طيب الله تراه، وجدد عليه رحماء، بعثه في أمر مهم يشاور فيه الشيخ

---

[1] رواه الشوكاني، محمد بن علي– فوائد مجموعة في الأحاديث الموضوعة– تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني– دار الكتب العلمية– بيروت– لبنان– بدوت تاريخ– ص: 238. أما تحقيقه فهو موضوع– المصدر نفسه– ص: 238.

[2] في ك المرأ.

[3] البحر الطويل، ولم نتوصل إلى معرفة قائل هذه الأبيات.

سيدي إبراهيم، فجرى بينهما من الكلام، إلى أن قال له سيدي إبراهيم : والله إني لأحب هذا الملك وأوثره لأنه جمع خصالا من الخير، الدالة على كمال العقل ومناقب من السؤدد ما توفرت في غيره، وكفاه فضلا وسؤددا، انتسابه [للجناب العلي أهل البيت][1] /32/الرسالة ومقر السيادة والجلالة – عليهم الصلاة والسلام–.

قال لي الفقيه أبو عبد الله: فلما سمعت هذا من سيدي إبراهيم إبتهجت به سرورا وإستردته تثبتا؟ فقال لي: لما قفلت من بلاد المشرق ونزلت تونس قصدت شيخنا إبراهيم الحافظ سيدي عبد الله العبدوسي[2] ، وذكرت له ما عزمت عليه من التوجه لتلمسان. قال: فقال لي سيدي عبد الله أن ملوكها من الشرفاء الحسينيين. انتهى المقصود من هذه الحكاية باختصار.

ولما بنا سيدي إبراهيم زاويته الكريمة، جعل مدرستها المعدة لطلب العلم غرفة مرتفعة، وعينها لولدين من أهل البيت الكريم، ورتب لهم ما يجب حق الضيافة، ومازال هذا الرسم لهم إلى الآن، والبيت يعرف الآن بيت الشرفاء، ودرج على ذلك أصحابه القائمون بحق زاويته، حضرت يوما بوهران، وقد قدم على الزاوية شاب من أولاد الشرفاء برسم التجارة، فتقدم إليه الشيخ المبارك الصادق اللهجة سيدي محمد بن موسى، لينزله بمنزله بمحل كرامتهم من المدرسة، فقال له: الشريف: أو مثلي ينزل في المدرسة مختلطا مع الناس؟ فقال له: يا سيدي الشريف هذا المنزل هو أفضل منزل في الزاوية، وفيه كان ينزلكم سيدي إبراهيم. فرد عليه الشريف بفحش من القول، وهجر من الكلام الذي لا يصدر عن سلالة الرسالة فتبسم سيدي محمد بن موسى، وقال له قولا لينا، وتمادى الشريف على سيد وسب الزاوية

---

[1] الزيادة من د.

[2] إبن محمد، أبو عبد الله: عرف بالفاسي من أشهر الفقهاء، كان له مجلس من أعظم المجالس بفاس يحضره الفقهاء والصلحاء والمدرسون، وحفاظ المدونة، أخذ العلم عن جماعة من العلماء منهم عبد العزيز القوري، وعبد الرحمن الجازولي، أخذ عنه أبو حفص الرجراجي، وبن الخطيب القسنطيني، وعيسى المصمودي، توفي سنة 706هـ/1330م، له تآليف منها تقييدات على المدونة وتقييد على الرسالة. التنبكتي– المصدر السابق– ص: 605. ابن قنفذ– المصدر السابق– ص: 25. ابن مخلوف– المصدر السابق– مج: 2– ص: 367. إبن الفرضي– المصدر السابق– القسم الأول– ص: 346 –347.

فقام سيدي محمد بن موسى عن المجلس وتركه، ورأينا ذالك منقبة له عددناها من كرامات الشيخ – رحمه الله–.

ومن الأحاديث المروية عنه – صلى الله عليه وسلم– في حب أهل البيت أسند أبو عبد الله بن رشيد فيما قرأته بخطي عن ابن عباس – رضي الله عنه– قال، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم–:(أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني بحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي)[1] .

وأخرج الثعلبي في تفسيره بسنده ورواه الزمخشري في كشافه عن جابر بن عبد الله قال، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: (من مات على حب آل محمد مات شهيدا، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفورا له، ألا ومن مات على حب آل محمد "بشره ملك الموت/**33**/ بالجنة ثم منكر ونكير، ألا ومن مات على حب [آل محمد][2] . فتح الله له في قبره بابين[3] إلى الجنة، ألا ومن مات على حب محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرا، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة)[4] .

وروينا في كتاب " المعجم " لأبي القاسم الطبراني لما نزل قوله تعالى: ﴿... قُلْ لاَ أَسْأَلُكُم عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى﴾[5] ، قيل: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت مودتهم؟ قال: علي وفاطمة وأبناؤهما. وحدث الخطيب بن ثابت في ترجمة عثمان بن محمد بن أبي شيبة[6] ، بسنده عن فاطمة بنت الحسين

---

[1] رواه الحاكم، أبو عبد الله، النيسابوري– المستدرك على الصحيحين– دار المعرفة– بيروت– لبنان– بدون تاريخ– ص: 150. أما تحقيقه، فهو ضعيف، الألباني– المصدر السابق– ص: 28– رقم الحديث: 177.

[2] (من بشره حتى...آل محمد) ناقصة في د.

[3] بابان في ك ود، والصحيح ما أثبتناه.

[4] الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، أبو القاسم– الكشاف– دار المعارف– بيروت– لبنان– بدون تاريخ الطبع– المجلد الثالث– ص: 402–403. قال فيه الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة– المكتب الإسلامي– الطبعة الخامسة–1405هـ/1985م– ج: 10– رقم الحديث: 4920، أنه باطل موضوع.

[5] سورة الشورى– آية 23.

[6] أسلم يوم الفتح، بعد أن أراد أن يقتل النبي– صلى الله عليه وسلم–، فوضع النبي(ص) يده في صدره، فثبت الإيمان في قلبه، روى عن النبي (ص) وعن أبي بكر وعمر، وروى عنه أبو وائل وابنه، تولى الحجابة بعد =

عن فاطمة الكبرى قالت: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم– **(كل بني آدم ينتمون إلى عصبتهم إلا ولد فاطمة فإني أنا أبوهم وأنا عصبتهم)**[1] .

والأحاديث في هذا الباب كثيرة سنذكر بعضها إن شاء الله في ترجمة شيخنا سيدي أحمد بن الحسين إن شاء الله، أنشدني شيخنا أبو عبد الله التنسي قال: أنشدني شيخنا أبو إسحاق لنفسه في فوائد حب أهل البيت والاستجارة به.

أنا عبـــد وعبـــد محبكـــم	**يا آل بيت المصطفـــى**
وبحبكــــــم وصـــل الألـــى	**منحوه من أهل الصفا**
هو والـــدي بـــرا الورى[2]	**كسير أرباب النـــهـــى**
وعليـــه حــض المهتدي	**بهداهــم والمقـــتـــدى**
وعســـى بحظـــي منه أن	**أحظى بنيل[3] المشتهى**
وأخـــص بالســـر الـــذي	**بلغ الرجال به المنـــى**
يا سادتي يا عترة الهادي	**الشـــفيـــع المجتـــبـــي**
رحـــمـــاكم لـــمـــتـــيـــم	**لعبت به أيـــدي الهوى**
فعساكـــم أن تـــتـــحفـــوه	**بدعوة تشفي الضـــنا[4]**
وتنيـــلـــه مـــن حـــبكـــم	**أقصى[5] منال يبتـــغى**
لا زال شامخ مـــجـــدكـــم	**فوق السماوات العلى[6]**

= عثمان بن عفان، رضي الله عنه، وأقام للناس الحج 39هـ/658م، وتوفي سنة 59هـ/678م. ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني– الإصابة في تمييز الصحابة– دار صادر– بيروت– الطبعة الأولى– الجزء الثاني– ص: 161.

[1] رواه ابن خطيب البغدادي– المصدر السابق– ج: 11– ص: 283–284. والعجلوني، إسماعيل بن محمد، الجراحي– كشف الخفا ومزيل الإلتباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس– الطبعة الرابعة 1985م– الجزء الثاني– ص: 157– رقم الحديث: 1968. أما تحقيقه فهو ضعيف الألباني– المصدر السابق– ص: 614 – رقم الحديث: 4223.

[2] في ك ود الورا، و الصحيح ما أثبتناه.

[3] في د بليل.

[4] في ك ود الضنى، والصحيح ما أثبتناه.

[5] في ك أقصا.

[6] من البحر البسيط.

وكان سيدي إبراهيم ممن شهر في زمانه بين أولياء الله بمقام المحبة، وصرح بذلك في كثير من قصائده التي أودعها طرفا من أسرار معرفته، ولطائف حبه ومناجاته فمن ذلك قوله:

وحـــب الله ممزوج بكلـــي بفضل الله وهاب الفضائل[1]

وقوله:

جمال الله أكمل كل حســـن فلله الكمال ولا ممــــارى
وحب الله أشرف كل أنس فلا تنس التخلق بالوقار
وذكر الله مرهم كل جــرح وأنفـــع من زلال لـــلأوار
ولا موجود إلا الله حــقـــا فدع عنك التعلق بالغشار[2] /34/

فتأمل رحمك الله هذا الكلام ووجازته مع حلاوة اللفظ وإشتماله على المعاني الكثيرة، والهيبة التي تجدها عند ذكرك لكلامه وأسماعه إياه، فقل ان تجد ذالك في كلام غيره من أهل الطريق، وعن ذي النور المصري، حقيقة المحبة أن تحب ما أحب الله سبحانه، وتبغض ما أبغضه، وأن لا تخاف في الله لومة لائم، وفي كتاب " المحبة " للإمام أبي المعالي شيد له قال: روي عن النبي – صلى الله عليه وسلم– أنه قال: (إنما بلغ إبراهيم منزلة الخلة، لأنه لم يحب أحدا مثل محبته لله[3] فمن أصبح وفي قلبه غير الله فليس من الله)[4] .

وفي بعض الأخبار أن الله سبحانه أوحى إلى داوود عليه السلام يا داوود إن كنت تزعم أنك تحبني فاخرج حب الدنيا مـــن قلبك فإن حبي وحبها لا يجتمعان في قلب واحد. وفي تاريخ " الخطيب " عن أبي شعيب صالح بن العباس الصوفي، قال: سمعت ذا النون المصري[5] يقول: من دلائل أهل المحبة لله أن لا يأنسوا بسوى الله،

---

[1] البحر البسيط.
[2] البحر البسيط.
[3] لله في د، وهو الصحيح بدليل لحاق الجملة.
[4] بحثنا في أمهات كتب الحديث فلم نعثر عليه.
[5] أصله من النوبة، نزل مصر من الشيوخ الكبار الذين تفوقو في علم الحديث، أسندعن مالك والليث بن سعد وسفيان بن عينة... توفي سنة 246هـ/848م. إبن الجوزي- المصدر السابق- مج: 2- ص: (222-227)

ولا يستوحشوا مع الله لأن حب الله إذا سكن القلب أنس بالله ولأن الله أجل في صدورهم من أن يحبوه لغيره[1].

كرامات إبراهيم التازي:

ولسيدي إبراهيم رحمه الله كثير من الكرامات المشهورة، وخوارق العادات المأثورة، فمنها ما حدثني به شيخنا أبو عبد الله السنوسي فيما كتب لي بخطه قال: كنا مرة عند سيدي إبراهيم مع جماعة من الفقراء الذين جرت عادتهم بزيارته في الموسم النبوي على مشرفه الصلاة والسلام، قال: وكان ذلك في زمن الشتاء وكثرة الأمطار، ولما قضينا الحق من الزيارة، وأردنا السفر لتلمسان، إستأذنه في ذلك بعض أصحابنا إغتناما لما ظهر في تلك الأيام من الصحو، فلم يؤذن لهم، وكرروا عليه طلب الإذن فلم يجبهم إليه فأقمنا منتظرين منه الإذن مفكرين في حال الطريق لأنها كانت مخوفة[2] . قال فبيننا نحن في يوم ثقل فيه السحاب، وأظلم الجو وهطلت الأمطار، بحيث[3] لا يتوهم السفر فيه، وإذا بالشيخ قد بعث لجماعة الفقراء أن أعزموا على السفر، قال: فأتيناه وقلوبنا غير طيبة بالسفر في ذلك اليوم، إلا أنه لا تسعنا[4] مخالفته لما جربناه من بركته ويمن نقيبته، فودعناه وخرجنا مكرهين في مطر وابل وغيم كثيف، فلم نجاوز الأجنة، إلا والمطر قد إرتفع وتلاه السحاب، **/35/** فانقشع وظهرت الشمس أحسن ظهور، ولا ريح فيها ولا شبهة[5] غيم، وكان [ذلك][6] اليوم من أيام الربيع، فإنشرحت القلوب، وإنزاحت عنا الكروب، وسرنا في أنعم الله تعالى حتى أخذنا المساء، فبيتنا في الخلاء، وما وجدنا ألم برد في تلك الليلة، ولا أصابنا روع، لله الفضل والمنة، وأصبحنا من الغد مسافرين على أفضل حال وأنعم حال كأنا في زمن ربيع أو صيف، بيننا نحن في أثناء الطريق، وإذا بجماعة من فرسان

---

[1] بحثنا في تاريخ بغداد لإبن الخطيب في ترجمة من إسمه شعيب– مج: 9– ص:(239–247). و لم نعثر على هذه الشخصية.
[2] مخفوفة في د.
[3] فحيث في د.
[4] بعدها كلمة تستعني في د.
[5] في د " شبيهة ".
[6] الزيادة من د.

العرب المعروفين بقطع الطريق، فما تعرضوا لنا، ولا التفتوا إلينا، ولما وصلنا تلمسان تغيمت الشتاء، وترادفت الأمطار، وكثر الثلج، وإشتد البرد ودام ذلك علينا مدة طويلة، فتذكرنا بركة الشيخ وعظيم كراماته، وما أجراه الحق من البركة على يده له الحمد والشكر.

ومن كراماته ما حدثني به والدي قال: أتيت سيدي إبراهيم في بعض قدماتي على وهران برسم وداعه وطلب الدعاء منه، فلما أردت الإنصراف أمر من أخرج شيئا من الدلاع وقال لي: يا أحمد أرفع هذا الدلاع للشيخ والدك. قال: فتعجبت من ذالك. وقلت في نفسي: وأي حاجة لوالدي بالدلاع. ثم رفعناه على بهيمة وأتينا تلمسان، فلما دخلت الدار سلمت على والدي وجلست بين يديه وإذا بفتى من فتيان الخليفة المعتصم مولاي أحمد رحمه الله قد دخل علينا فقال لوالدي يقول لك السلطان: أبحث لنا على شيء من الدلاع لمريض عندنا، وقد طال بحثنا عنه فما وجدناه، فقال له: وأين أجده وليس هذا وقته قال، فقلت لوالدي الحاجة هنا وقد بعث بها إليك سيدي إبراهيم نفعنا الله به، وقمت لمحلها، وأخرجت منه الدلاع ودفعناه للفتى وطال تعجبنا من مكاشفة الشيخ سيدي إبراهيم رحمه الله ورضي عنه، ثم لما وصل الفتى للخليفة وعرفه بالقصة، فرح بها كثيرا وإزداد في الشيخ يقينا نفعنا الله ببركته.

ومنها ما حدثني به جماعة من مشيخة زاويته أنه حين كان ساكنا بمصرية الحلفاويين[1] ،أتاه بعض الفقراء من معارفه التازيين، وأقام عنده مدة، ثم أتاه يوما لوداعه في وقت القائلة[2]، فقال له سيدي إبراهيم ولعلك تمكث عندنا أياما كي يفتح الله لك في رزق ترفعه لأولادك فقال له: يا سيدي إن مثل هذه الرفقة مأمونة، ونخشى أن تفوتني ويعز وجودها في هذا/**36**/ الوقت، فبينما هو مع الشيخ يتكلم والشيخ قد إهتم به، وإذا[3] بحاجب الخليفة في وهران، حينئذ السلطان المولى أبو يحي واقف

---

[1] الخلفاوين في د.

[2] قائلة في د.

[3] " إذ " في ك و د، والصحيح ما أثبتناه.

على الباب مع الخليفة أبي يحي يستأذن على الشيخ في وقت ليست من عادته الخروج عن قصره فيه، فدخل السلطان على الشيخ، ومعه قرطاس من ذهب بيد الحاجب، فقال له يا سيدي أنه قد تحرك في خاطري الوقوف عليك في هذا الوقت فأتيتك[1] بهذه النفقة لتستعين بها على ما أنت عليه من سبيل الخير وإصطناع المعروف، فتبسم سيدي إبراهيم وقال له : إدفعها لهذا الفقير فقبضها منه الفقير وودع الشيخ وإنصرف، كما أحب مع الرفقة التي تهيأ للخروج معها وذلك من بركة الشيخ ولله الحمد والمنة.

ومنها أنه وقع إجتماعي بوهران مع تلميذه شيخ الفقراء، وعميدهم، وصدرهم المقدم في ملازمة الأذكار وأثيرهم، سيدي الزعيم فسألته عن صحبته لسيدي إبراهيم وأحواله، فحدثني بكثير من ذلك.

ومما كتبه عنه قال: أتيته في بعض مواسم مولد النبي – صلى الله عليه وسلم– على عادتي، فبيننا [أنا][2] عنده، وإذا بأحد أصحابه يستأذن في الواردين عليه من أهل تلمسان لحضور الموسم النبوي، قال: فأذن لهم الشيخ ودخلوا فبعد فراغهم من التسليم. قال له أحدهم: يا سيدي جاء معنا من تلمسان رجل من الفقراء إسمه أبو القاسم محمد القسنطيني[3] بقصد زيارتك وهو واقف بباب الزاوية ينتظر الإذن الخاص منكم، قال فتبسم سيدي إبراهيم وقال أدخل على بركة الله، فوقعت كلمته في أذن الفقير، والغرض أن باب الزاوية بعيد من غرفة الشيخ التي كنا معه فيها، وإذا بالفقير أبي القاسم قد دخل علينا فبنفس ما وقع بصره على الشيخ جثا على ركبتيه وتغير لونه، وتقدم لبين يدي الشيخ كذلك، فسلم عليه سلام رجل متأدب عارف بمقامات الأشياخ وجلس معنا. فقال: يا سيدي نريد أن نسمع شيئا من كلامكم على لسان هذا القوال. قال: وأشار لمتولي ذلك بين يدي الشيخ وهو الشاب المرحوم أبو

---

[1] فأتيناك في د.

[2] الزيادة من د.

[3] أحمد بن الحسن: أخذ العلم عن جماعة من العلماء، كأحمد القباب، وعبد الرحمن اللجائي، وعبد الحق المسكوري، وغيرهم، إنتقل إلى فاس وأخذ عن مشايخها، صاحب التآليف العديدة منها " الدلالة في شرح الرسالة"، " أنس الفقير وعز الحقير". معرفة الرائض في مبادىء الفرائض، توفي سنة 810هـ/1407م. ابن القاضي– المصدر السابق– القسم الأول– ص: 154–155. ابن العافية– المصدر السابق– ص: 64.

عبد الله الرخامي، ولم تتقدم له رؤيته قبل ذلك الوقت قال: فأذن الشيخ للرخامي فانشد قول الشيخ في قصيدته الفلانية ذكرها سيدي الزعيم إلا أني نسيتها/**37**/، فقال له أذكر غيرها فذكر الرخامي القصيدة الواوية[1] وجودها فعند ذكره قوله:

أبت مهجتي إلا الولوع بمن تهوى فدع عنك لومي فالنفوس وما تقوى[2]

صاح الفقير القسنطيني وتواجد ثم أشار للقوال بأن قل، فقال:

هوان الهوى عــز وعذب أجاجه وعلقمه أحلى[3] مــن المن والسلوى[4]

قال: فغلب عليه الوجد وأدركنا والحاضرين بعض الوجد، ثم نزع برنوسه الذي كان عليه فأعطاه للقوال، فقال:

وتعذيبــه للصــب غــير نعيــمه وسعي اللواحي في السلو من العدوى

ومن لم يجد بالنفس في حب حبه فلوعــتــه إفــك وصبوتــه دعــوى [5]

قال: فنزع إحرامه وجبة كانت عليه من ملف أخضر ودفع ذلك للقوال وقد غلب عليه الشوق والطرب والتواجد، فقال الرخامي:

وليس بحــر مــن يعــبده الهــوى للهوى[6] الدنا فأختر لنفسك ما تهوى

فما الحب إلا حب ذى الطول والغنى وأملاكــه والأنبياء وأولــي التقوى [7]

قال: فغشي عليه وصار ملقى بين أيدينا وطال تعجبنا منه فبينما نحن كذلك ولم يخرج أحد من ذالك الجمع، وإذا برجل يدق الباب ففتح له، فدخــل علــى الشيخ أحد أعيان العدول بوهران ومعه جبة[8] خضراء، رفيعة القدر، وإحــرام وثوب [9] فقبل يد الشيخ وقال: يا سيدي هذه هدية لهذا الرجل الفقير الوارد عليكم.

---

[1] الوارية في د.
[2] من البحر الطويل.
[3] أحلا في د.
[4] من البحر الطويل.
[5] من البحر الطويل.
[6] في ك الهوا.
[7] من البحر الطويل.
[8] ثوب، مفرد جبب وجمع جباب، الفيروزبادي- المصدر السابق- ص: 65.
[9] الثواب في د.

فإشتد تعجبنا من ذالك كثيرا، كيف حركه الخاطر[1] والغرض أنه لم يخرج أحد من أهل المجلس، فتبسم سيدي إبراهيم وأذن للفقير في قبول الهدية.

قال ثم قال الشيخ أو بعض الحاضرين بقي البرنوس فما تم الكلام ورجل آخر من أعيان وهران قد دخل على الشيخ ومعه قصبة ونصف من الملف الأكحل الرفيع القدر فقبل يد الشيخ وقال له: يا سيدي تقبل مني هذه الكابة ؟ فقال له سيدي إبراهيم: أدفعها لهذا الفقير قال: سيدي الزعيم هذا مجلس واحد وقعت فيه جملة كرامات لسيدي إبراهيم فحدث عن البحر ولا حرج.

وكان رحمه الله يقبل الهدية، ويثيب عليها بالدعاء الصالح، فإذا أهدي له شيء قليل تلقاه بالبشاشة والقبول، وقد أبى هذا الباب كثيرون من الأولياء ممن ضيق عليهم الورع، لكن سيدي إبراهيم لما منّ الله عليه بإتساع باب المعرفة، كشف له بالبصائر المنيرة، ما غطي عن أهل الورع، فلا يمد يده لطعام إلا وقد علم حله وسلامته من الشبهة، عملا بما شاهدته بصيرته الوقادة، وجربه في ذالك واعتاده قرأت بخطه دعاء كان يدعوا به ويكثر استعماله: نصه:

" الحمد لله اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد، وهب لي من رزقك الحلال الطيب الواسع المبارك ما تصون به وجهي عن التعرض إلى أحد من خلقك وإجعل اللهم لي إليه طريقا سهلا من غير نصب ولا تعب ولا منة، وجنبنا اللهم الحرام حيث كان، وأين كان وعند من كان، وحُلْ[2] بيننا وبين أهله، وأقبض عنا أيديهم وأصرف عنا قلوبهم حتى لا نتقلب، إلا فيما يرضيك، ولا نستعين بنعمتك إلا على ما تحب يا أرحم الراحمين ".

قالوا: فالواقف على هذا الدعاء يتيقن، ولا يشك أن الله تعالى قد أجاب دعوته وأعطاه أمنيته وأن ما كان يرد على الشيخ من هدايا العمال وصلاتهم، إنما هو رزق ساقه الله من وجه حلال، وجعله بواسطة الأعمال ليكثر القول في الشيخ – رحمه

[1] الخاصر في د.
[2] جل في ك وفي د والصحيح ما أثبتناه لاستقامة المعنى.

الله- ويعظم ثوابه عند الله، ومن أسندت عليه مسالك الطرق والتأويل في هذا الباب فقد جعل لنفسه سبيلا إلى الطعن على أولياء الله، وخاصته من خلقه، فليدع الله أن يوفقه ويزيل عن[1] قلبه حجاب الغفلة وفقنا الله لذلك ويسرنا لسلوك أحسن المسالك.

المكانة العلمية لإبراهيم التازي:

وكان سيدي إبراهيم - رحمه الله- حافظا للحديث والأخبار، ذاكرا للآداب وحكايات أولياء الله الأخيار، حدثنا بفوائده وعلومه ومنثوره ومنظومه، شيخان الفاضلان أبو عبد الله التنسي والسنوسي بحق قراءتهما عليه وإجازته إياهما لجميع روايته، ومقولاته، فلنذكر شيئا من ذالك على جهة التبرك.

فمن حديثه عن شيوخه من طريق أبي الطاهر السلفي[2] عن شيوخه عن النبي- صلى الله عليه وسلم- أنه قال: لنا يوما: (أيها الناس إنما أنتم خلف ماضين وبقية متقدمين كانوا أكثر منكم بسطة، وأعظم سطوة، أن عجوا منها أسكن ما كانوا إليه،ا وغدرت بهم أوثق ما كانوا بها، فلم تغن عنهم قوة عشيرة ولا قبل منهم بدل فدية، فبادروا لأنفسكم بزاد مبلغ قبل أن تؤخذوا على فجأة، وقد غفلتم عن/**38**/ الإستعداد، ولا يعني الندم، وقد جف القلم)[3] .

ومن حديثه عن طريق البزاز عن أبي سعيد الخدري[4] قال، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-(ما من صباح إلا وملكان يناديان سبحان الملك القدوس" وملكان يناديان اللهم أعط منفقا خلفا، وأعط ممسكا تلفا، وملكان موكلان بالصور حتى يؤمران فينفخان، وملكان يناديان يا باغي[5] الخير هلم ويا باغي[6] الشر أقصر"

---

[1] في ك على.

[2] من أهل الحديث، أنشد لنفسه قائلا: " أنا من أهل الحديث وهم خير فئة "، عاش 114 سنة، توفي سنة 576هـ/1180م، تتلمذ الفقه على الخطيب أبي زكريا يحيى بن علي التبريزي، وروى عنه أبي محمد جعفر ابن السراج. ابن خلكان- المصدر السابق - مج: 1- ص: (105-107). راجع عنه ابن عماد- المصدر السابق- ص: 255.

[3] لم نعثر عليه في أمهات كتب الحديث.

[4] أبو سعيد: من أكبر فقهاء وعلماء وفضلاء الصحابة، رضوان الله عليهم، شهد معارك وغزوات عدة مع الرسول- صلى الله عليه وسلم- حدث عنه ابن عمرو وجابر بن عبد الله وعمر بن سعد. الذهبي- التذكرة- مج: 1- ص: 36.

[5] في ك يا باغ.

[6] في ك يا باغ.

وملكان يناديان ويل للرجال من النساء وويل للنساء من الرجال)[1] رواه البزار.

ومن حكاياته عن سيدي أبي الفتح عن شيوخه قال: " روى أن موسى – عليه السلام– سأل الحق سبحانه أن يريه السمك الذي عليه جميع العالم، فأوحى الله إليه أن يأتي شاطئ البحر، فأتاه فبينما هو كذلك، وإذا بسمك قد أخرج رأسه من البحر كالجبل العظيم، فأخذ يصعد في الجو نحو السماء، فلم يزل كذلك صاعدا نحو السماء رأسه في الجو وباقيه في البحر، وهو يصعد متصل الصعود مدة من ثلاثة أيام فلما رأى[2] موسى– عليه السلام– عظيم قدرة الله تعالى في إمتداد هذا الحوت، وأنه لم يستوف الصعود في هذه المدة قال: إلاهي أهو مثل هذا السمك؟ فأوحى الله إليه، يا موسى أن السمك الذي عليه العالم يأكل كل يوم ألف سمك أمثال هذا السمك فقال موسى: إلاهي جلت قدرتك لا إله إلا أنت ".

وقرأت بخط سيدي إبراهيم – رحمه الله– قال: حدثني سيدي أبو الفتح شرف الدين قال: حدثني والدي زين الدين قاضي القضاة أبو المناقب أبو بكر بسنده العالي عن رجاله عن أبي هريرة قال، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم–:(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت) [3].

ومن خطه قال: حدثني سيدي أبو الفتح عن والده عن رجاله عن الزاهد يوسف بن الحسين قال: قام رجل بين يدي ذي النون المصري – رضي الله عنه– فقال: أخبرني عن التوحيد ما هو؟ قال: هو أن تعلم أن قدرة الله في الأشياء بلا مزاج، وصنعه للأشياء بلا علاج، وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه، وليس في

---

[1] رواه الترميذي الشطر الأول منه حتى القدوس– الجامع الصحيح – كتاب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم– باب دعاء الوتر– ص: 986– رقم الحديث: 3587. أما تحقيقه فهو ضعيف، الألباني– المصدر السابق– ص: 749– رقم الحديث: 5190. والشطر الأخير منه، من " ملكان يناديان... ويل للنساء من الرجال" ابن ماجه، محمد بن يزيد، أبو عبد الله– السنن– دار إحياء الكتب العربية– بدون تاريخ– ج: 2– كتاب الفتن– باب فتنة النساء– ص : 1325– رقم الحديث: 3399. أما تحقيقه فهو ضعيف جدا، الألباني– المصدر السابق– ص: 449– رقم الحديث: 5186.

[2] في ك رءا.

[3] رواه البخاري، محمد بن إسماعيل، أبو عبد الله– صحيح البخاري– دار الكتب العلمية– بيروت– لبنان– الطبعة الثالثة– 1424هـ/2003م– كتاب الإستئذان– باب حفظ اللسان– ص: 1181– حديث رقم: 6476. والفقرة "ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره" غير واردة عند البخاري.

السماوات العلى، ولا في الأرضين السفلى مدبر غير الله - عز وجل-، [وكل ما تصور في وهمك فالله عز وجل][1] بخلاف/**39**/ ذلك.

ومن مروياته بالسند المتصل عن الخطيب ابن رشيد في[2] زهرات البساتين عن بريدة الأسلمي قال، قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: (سيد أدام الله الدنيا والآخرة اللحم وسيد ريحان أهل الجنة الفاغية) [3] قال ابن رشيد الفاغية هي الحناء.

حديث النرجس:

حديث النرجس، ومن مروياته كتاب المجالس المكية لأبي حفص عمر الميانشي فيه عن علي-رضي الله عنه- قال، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : (شموا النرجس ولو في اليوم مرة، ولو في الشهر مرة، ولو في السنة مرة، ولو في الدهر مرة، فإن في القلب حبة من الجنون والجذام والبرص لا يقطعها إلا النرجس) [4].

وفيه عن الزاهد منصور بن عمار - رضي الله عنه- عن بعض أشياخه قال: بينا مسلمة بن عبد الملك بن مروان في المسجد الحرام، إذا أوتي بحجر مكتوب بالخط القديم فقال لحاجبه: هل هنا ترجمان؟ فأوتي بوهب بن منبه[5] فقيل له: يا أبا عبد الله اقرأ ما على الحجر، فإذا فيه مكتوب، يا ابن آدم لو رأيت يسير ما بقي من أجلك لزهدت في طول ما ترجو من أملك، وقصرت في حرصك وحيلك وإبتغيت الزيادة في عملك[6] وإنما تلقى الندم لو قد زل بك القدم وأسلمك الأهل والحشم، وانصرف عنك الحبيب وأسلمك الغريب، فلا أنت إلى أهلك عابد ولا في عملك زائد، فأعمل ليوم القيامة يوم الحسرة والندامة.

---

[1] ومن " كل ... وجل " ناقصة في د.

[2] في ك و د عن، و الصحيح ما أثبتناه لاستقامة المعنى.

[3] قال فيه الألباني، ضعيف جدا- المصدر السابق- ص: 486- رقم الحديث: 3116.

[4] رواه الشوكاني- المصدر السابق - ص: 196. أما تحقيقه فهو موضوع وله طرق وألفاظ- المصدر نفسه- ص: 196.

[5] أبو عبد الله، صاحب القصص وأخبار الأنبياء، من مؤلفاته "ملوك حمير"، توفي بصنعاء سنة 116هـ/734م. إبن خليكان- المصدر السابق- مج: 6- ص:35-36.

[6] علمك في د.

ومن مروياته في المجالس المكية عن أنس بن ملك - رضي الله عنه- قال قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم-: (من شاب شيبة في سبيل الله كانت له نورا يوم القيامة، ومن رما بسهم في سبيل الله بلغ أو لم يبلغ فهو كعتق رقبة مؤمنة، ومن أعتق رقبة مؤمنة كانت فداءه من النار)[1] .

قال ابن حفص، فروينا من حديث مالك بن دينار[2] عن أنس - رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: (أخبرني جبريل عليه السلام عن الله عز وجل أنه قال: وعزتي وجلالي، ووحدانيتي، وكبريائي، وإرتفاع مكاني وإستوائي على عرشي، إني لأستحي من عبدي وأمتي يشيبان في الإسلام ثم أعذبهما قال: فرأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يبكي عند ذلك، فقلت: يا رسول الله ما يبكيك؟ قال: بكيت لمن يستحي الله - عز وجل- منه ولا يستحي هو من الله - عز وجل-)[3] ، وأنشد أبو حفص للزاهد أبي سعيد القريشي:

نزل المشيب فأين تذهب بعـده/40/ وقد أرعويت وحان منك رحيل

كان الشباب حفيضـــــه أيــامه والشيب محله عليك ثقيـــــل

ليس العطاء من الفضول سماحة حتى تجود وإذا لديك قليـــــل[4]

وحدث أبو حفص بسنده عن أحمد بن حواس المنجبي[5] ، وكان من خيار عباد الله، قال رأيت يحيى بن أكتم في النوم فقلت: يا يحي ما فعل الله بك قال: أوقفني بين

---

[1] رواه ابن حنبل، أحمد أبو عبد الله- مسند الشاميين- حديث عمر بن عبسة- ص: 1224- رقم الحديث: 17145. أما تحقيقه فهو حسن- السخاوي، محمد بن عبد الرحمان- المقاصد الحسنية في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة- تحقيق: محمد عثمان الغث- دار الكتاب العربي- الطبعة الأولى 1405هـ/1985م- ص: 651-652.

[2] أبو يحيى: من كتاب المصاحف، أخذ العلم عن أنس بن مالك، وسالم بن عبد الله، وعن جماعة من كبار التابعين، كإبن سيرين، والقاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله، توفي بالطاعون سنة 131هـ/748م. الجوزي- المصدر السابق- مج: 3- ص: (157-166).

[3] رواه الذهبي- الميزان- ج: 5- ص: 208. وابن عدي، عبد الله بن محمد أبو محمد- الكامل في ضعفاء الرجال- تحقيق: يحي مختار غزاوي- دار الفكر- بيروت- الطبعة الثالثة 1409هـ/1988م- الجزء الأول- ص: 357. ابن حبّان، محمد بن حبّان- المجروحين- دار الوعي- حلب- بدون تاريخ- الجزء الثاني- ص: 267. أبي شجاع الهمداني، شيراويه، الديلمي- الفردوس الكبير- تحقيق: سعيد بسيوني، زغلول- دار الكتب العلمية- الطبعة الأولى 1986- الجزء الثالث- ص: 424. أما تحقيقه فهو ضعيف- المصدر نفسه- ص: 424.

[4] من البحر الكامل.

[5] المنبجي في ك.

يديه – جل جلاله– فقال لي: يا شيخ السوء، لولا شيبتك لأحرقتك بالنار قال فسقطت بين يدي ربي عز وجل، ونزل بي ما ينزل بالعبد بين يدي مولاه ثم أفقت فقال لي: يا شيخ السوء لولا شيبتك لأحرقتك بالنار قال: فسقطت بين يدي ربي– عز وجل– ونزل بي ما ينزل بالعبد بين يدي مولاه ثم أفقت، فقال لي يا شيخ السوء لولا شيبتك لأحرقتك بالنار قال، فقلت يا سيدي ويا مولاي ما هكذا أخبرت عنك، فقال يا يحي بماذا أخبرت عني؟ فقال: حدثني عبد الرزاق بن همام[1] عن معمر عن الزهري[2] عن أنس بن مالك عن نبيك – صلى الله عليه وسلم– عن جبريل – صلوات الله عليه– عنك تباركت وتعاليت إنك قلت وقولك الحق ووعدك الصدق: (ولا يشيب لي عبد في الإسلام شيبة ثم أحرقه بالنار فقال –عز وجل–: صدق عبد الرزاق، وصدق معمر، وصدق الزهري، وصدق أنس، وصدق نبيي، وصدق جبريل انطلقوا به إلى الجنة)[3].

وعلى ذكر الشيب فقد أنشدني شيخنا أبو عبد الله التنسي قال: أنشدني شيخنا أبو إسحاق الولي، قال: أنشدني المشيخة للإمام الفاضل أبي بكر محمد بن عبد الملك بن زهر الطبيب:

إني نظــرت إلى المرآة إذ جليت	**فأنكرت مقلتاي كلما رأتـــــــــا**
رأيت فيها شيخـــا لســت أعرفه	**وكنت أعهده من قبل ذاك فتـــــا**
فقلت أين الذي بالأمس كان هنـــا	**متى ترحل عن هذا المكان متـــــى**
فإستضحكت ثم قالت وهي معجبة	**أتى الذي أنكرته مقــلتاك أتـــــا**
كانت سليمى تنادي يا أخـــي وقد	**صـــارت سليمى تنادي اليوم ياأبتا**[4]

[1] أبو بكر: ولد سنة 106هـ، من الحفاظ المشهورين، روى عن معمر، وبن جريح، رحل إليه أئمة كثيرون إلى اليمن، صاحب مصنفات، توفي سنة 221هـ/835م. ابن خلكان– المصدر السابق– مج: 3– ص: 216. أنظر ابن عماد– المصدر السابق– ص: 27.

[2] محمد بن مسلم، أبو بكر: من علماء الحجاز والشام الكبار، كان كثير العلم والرواية، عرف بالثقة، فقيه، من أحفظ زمانه للسنن، وأحسنهم لها، روى عن عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن جعفر اختلف في تاريخ وفاته 123هـ/742م، وقيل 125هـ/744م. ابن حجر، أحمد بن محمد الشافعي– تهذيب التهذيب– الطبعة الأولى– دار صادر– بيروت– 1325هـ/1905م– ص: (445–450). بن حبان– المصدر السابق– ص: 109.

[3] لم نعثر عليه في كتب الحديث.

[4] من البحر البسيط.

وينظر لهذه الأبيات ما أنشده الشيخ الإمام أبو عبد الله بن رشيد أمير المؤمنين المستنجد بالله العباسي[1] وقد أجاد فيما أراد:

عيرتني بالشيب وهو وقار ليتها عيبت بما هو عار/41/

إن أكن شابت الذوائب مني فالليالي تزينها الأقمـــــار[2]

وأنشد لبعض التيجانيين من أهل تونس – رحمه الله تعالى– ورضي عنه قالوا:

أتنكر وقع شيب أصبحـــــــت روضات رأسك منه ذات أزاهر

الصبح شيب اشترقت أنـــواره أين الظلام من الصباح الظاهر

قلت اخسئوا فالشيب يودن للفتى برحيله عن كـــل شـــيء ناظر

حسنتم قبح الشيـــب جهالـــــة أذكاء تخفى عـــن عيان الناظر

لو لم يكن في الشيب إلا أنـــه عذر الملـــول وحجـــة للغادر[3]

وأنشد شيخنا أبو عبد الله بن العباس الإمام أبي الفتح ابن دقيق العيد[4] :

تمنيت أن الشيب عاجل لحيتي وقرب مني فـــي صباي مزاره

لأخذ من عصر الشباب نشاطه وأخذ من عصر المشيب وقاره[5]

ومن رواياته كتاب " الأمثال الحديثية " لأبي محمد الحسن بن خلاد حدث أبو محمد بسنده عن عبد الله بن مسعود قال: دخلت على رسول الله – صلى الله عليه وسلم– وهو على حصير وقد أثر الجريد في جنبه، فقلت: لو نمت يا رسول الله على ما هو ألين من هذا ؟ فقال ما لي ولدنيا إنما مثلي، ومثل الدنيا كمثل راكب مرّ بأرض فلاة فرأى شجرة فإستظل تحتها ثم راح و[تركها][6] .

---

[1] يوسف بن المقتفي، الخليفة الثاني و الثلاثين لبني عباس، حكم من سنة (555ه/ 1159م) إلى(566ه/1170م) عرف بالعدل بين الرعية والرفق عليها، و الفهم الشافي. السيوطي– المصدر السابق– ص: 487–488.

[2] من البحر الرجز.

[3] من البحر الرجز، ولم نتوصل إلى معرفة قائل هذه الأبيات.

[4] أبو الفتح، غزير العلم في الحديث، و الأصول و اللغة، أخذ العلم من شيوخ، منهم ابن الحميري و ابن رواج له مؤلفات عديدة منها " كتاب الإيمان في أحاديث الأحكام "، و" الإقتراح في بيان الإصطلاح "، توفي سنة 702ه/1301م. ابن فرحون– المصدر السابق– ص: 411–412.

[5] من البحر الطويل.

[6] ناقصة في ك.

قال أبو محمد هذا مثل في سرعة إنقطاع الدنيا بصاحبه،ا وأن الكائن واقع وأنشد للعدوي:

يا أيها هذا الذي قد غره الأمل　　　ودون ما يأمل التنفيض[1] والأجل

ألا ترى[2] إنما الدنيا وزينتـــها　　　كمنزل الركب دارا تمت أرتحل

حقوقها رصـــد وكـــرها نكـــر　　　وعيشـــها كدر وملكـــها دول[3]

ومن مروياته عن سيدي أبي الفتح كتاب المجالس العراقية، عن مؤلفه خاتمة الحفاظ زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن العراقي، حدثني به في الجملة شيخنا أبو عبد الله التنسي، عن سيدي إبراهيم، عن سيدي أبي الفتح، ونرويه بأعلى من هذا السند، حدثني به شيخنا أبو عبد الله بن العباس، عن الإمام عبد الله بن مرزوق، عن مؤلفه " الزين العراقي" أخرج فيه بسند صحيح عن أبي هريرة أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– قال: (من أوسع على عياله وأهله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته)[4] .

قال سيدي إبراهيم أنشدني/**42**/ شيخنا أبو الفتح أنشدني شيخنا أبو الفضل العراقي بنفسه رحمه الله تعالى ونفع به:

إستفتح العام بالصيـــام　　　لله فـي شهـره الحـــرام

وعاشر الشهر صم يكفر　　　عنك ذنوبا مضت لعـــــــام

ووسع العيش فيه ممـــا　　　يحسن من طيب الطعـــــــام

وإغتنم العمر فهو ضيـف　　　لا تطمعن منه بالمقـــــــام

يمر عام من بعد عـــــام　　　وأنت في اللهو والتعــــامي

فأرجع إلى الله من قريـــب　　　فقد دنت صرعة الحمـــــام

---

[1] في ك ود التنفيص، والصحيح ما في روضة النسرين– ص: 178.

[2] في ك ترا.

[3] من البحر البسيط.

[4] رواه الشوكاني– المصدر السابق– ص: 98. أما تحقيقه فهو موضوع – المصدر نفسه– ص: 98. و قال فيه الزركشي نقلا عن الدراقطني إنما يروى من قول محمد بن المنتشر، و الحديث فيه محفوظ و لا يثبت. الزركشي اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة المعروف بـــ تذكرة في الأحاديث المشتهرة – تحقيق: مصطفى عبد القادر عاصا– دار الكتب العلمية– بيروت– لبنان– 1406هـ/1986م– ص: 188.

وخف بياتا على إغتـــــرار **واحذر صباحا لذي إنتقـــــام**

ولا تكــن يئســا[1] قنوطـــا **فالعفو من شمة الكــــــرام**

فأضرع إليه بصدق وقصد **فإنه غافر العظــــــــــام**

وأسأله غفـــرا لما تقضي **وأحفظ صور على الـــــدوام[2]**

قال: " رأيت رب العزة جل جلاله في المنام فقلت: يا رب قد وهبت حسناتي لأمة محمد- صلى الله عليه وسلم-، فعاقبني بسيئاتهم، فناداني الرب تعالى أنت الذي تتكرم على عبادي وأنا الكريم، فوعزتي وجلالي لأغفرن لمن قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله مخلصا من قلبه، ثم عطف علي برحمته وأدخلني الجنة، فرأيت فيها رجل، قد وكل الله به ملكين، ملكا يطعمه، وملكا يسقيه، ورأيت رجلا لا يأكل ولا يشرب شاخصا ببصره نحو العرش، ورأيت رجلا يكثر الدخول إلى العرش والخروج منه/**43**/، فتقدمت إلى رضوان، وقلت له: يا رضوان من الذي وكل الله

---

1 في د يئيسا.

2 لايوجد بحر هذه الأبيات.

به ملكين ملكا يطعمه وملكا يسقيه؟ فقال: ذالك معروف الكرخي[1] كان يطعم الجائع [ويكسي][2] العاري، خرج من الدنيا جائعا عطشانا، قلت: ومن الذي لا يأكل ولا يشرب شاخصا ببصره نحو العرش، قال: ذلك بشر الحافي[3] عبد الله تعالى حتى إنحنا لا شوقا إلى الجنة ولا خوفا من النار، ولكن شوقا إلى الله عز وجل، قد كشف الحجاب بينه وبين ربه عز وجل فهو ناظر إليه قلت: ومن الذي يكثر الدخول والخروج إلى العرش بغير تكلف ولا حجاب؟ قال: ذلك أحمد بن حنبل يدخل العرش ليشفع فيمن قال: القرآن كلام الله غير مخلوق قلت: قوله في صدر هذا الخبر لأغفرن لمن قال لا اله إلا الله.

يشهد له ما أخرجه الخطيب أبو بكر عن ابن عمر عن النبي- صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (ما من أمة إلا وبعضها في النار وبعضها في الجنة إلا أمتي فإنها كلها في الجنة)[4].

وفي كتاب السمعاني عن ذي النون المصري رحمه الله قال، يقول الله سبحانه لنبيه يعقوب عليه السلام: (يا يعقوب تملق، قال: وكيف أتملق يا رب؟ قال: قل يا

---

[1] أبو محفوظ: من الزهاد المشهورين، بالأحوال والكرامات، محدث، أسلم على يد موسى الرضى، وكان أبواه نصرانيين، فأسلما كذلك، توفي سنة 200هـ/815م. أسند عن " بكر بن خنيس، وعبد الله بن موسى وابن السماك".
ابن عماد- المصدر السابق- ج: 1- ص: 360. ابن الجوزي- المصدر السابق- مج: 2- ص: 196.

[2] الزيادة من د.

[3] أبو نصر: زاهد معروف، عني بالعلم، وأقبل على شأنه، كان على المذهب الثوري في الفقه، حدث بشيء يسير، له كرامات كثيرة، عاش خمسا وسبعين سنة، توفي ببغداد سنة 227هـ/841م. الذهبي- العبر- ج: 1- ص:197. ابن خلكان- المصدر السابق- ج: 1- ص: (274-276).

[4] رواه ابن خطيب، البغدادي- المصدر السابق- مج: 9 - ص: 383.

قديم الإحسان يا دائم المعروف، يا كثير الخير، فلما قالها أوحى الله إليه، يا يعقوب لو كان يوسف ميتا لأحييته لك)[1].

وحدث سيدي إبراهيم -رحمه الله- عن شيوخه في الكتاب التوكل لابن أبي الدنيا عن الأوزاعي قال: "من حكم لقمان أنه قال لابنه : يا بني، الدنيا بحر عميق قد غرق

فيها الناس كثير، فإن إستطعت أن تكون سفينتك فيها الإيمان بالله وحشوها العمل بطاعة الله، وشراعها التوكل على الله لعلك تنجو" [2] .

ومن حديثه عن شيوخه من طريق الخطيب بن ثابت عن أبي عمر عن النبي- صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (من تمنى الغلاء في الطعام على أمتي ليلة أحبط الله عمله أربعين سنة)[3] ، ومنه عن أبي حازم عن سهل بن سعد أن النبي- صلى الله عليه وسلم - قال: (عمل الأبرار من رجال أمتي الخياطة، وعمل الأبرار من النساء المغزل)[4] .

ومن حديثه عن شيوخه من طريق المحدث الحافظ أبى القاسم بن عساكر الدمشقي [محدث][5] شام، عن رجاله وكلهم من أهل دمشق، عن أبي إدريس الخولاني الدمشقي[6] /**44**/عن [أبي ذر الغفاري، وكان نزل دمشق عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- عن جبريل عليه السلام عن الله عز وجل أنه قال: (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا، يا عبادي إنكم الذين تخطئون الليل والنهار وأنا الذي أغفر الذنوب ولا أبالي فإستغفروني أغفر لكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فإستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من

[1] لم نعثر عليه في كتب الحديث.
[2] لابن أبي الدنيا- تحقيق: سالم بن أحمد بن عبد الهادي- مكتبة التراث الإسلامي- شركة الشهاب- الجزائر- ص: 58.
[3] رواه الشوكاني- المصدر السابق- ص: 143- رقم الحديث: 6. أما تحقيقه فهو ضعيف، الألباني- سلسلة الأحاديث الضعيفة- مج: 2- ص: 250.
[4] رواه الشوكاني- المصدر السابق- ص: 151. أما تحقيقه فهو موضوع- المصدر نفسه- ص: 151.
[5] الزيادة من د.
[6] عائذ الله، بن عبد الله، أبو إدريس : قال فيه الزهري، من فقهاء أهل الشام، صاحب أبا الدرداء وجالسه وعبادة الصامت، وشداد بن أوس، ولاه عبد الملك بن مروان القضاء، توفي سنة 80هـ/689م. الشيرازي- المصدر السابق- ص:84. الذهبي- تذكرة- ص: 45.

كسوته فإستكسوني أكسكم، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل مسلم لم يزد ذلك في ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وأخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم لم ينقص ذلك من ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا في صعيد واحد فسألوني وأعطيت كل إنسان منهم ما سأل، لم ينقص ذالك من ملكي شيئا، إلا كما ينقص البحر أن يغمس المخيط فيه غمسة واحدة، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحفظها عليكم، ثم

أوفيكم إياها، فمن وجد خيرا فليحمد الله تعالى ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه)[1].

قال راوي الخبر: كان أبو إدريس الخولاني إذا حدث بهذا الحديث جثا على ركبته وبكى. وهذا الحديث رويناه في صحيح مسلم، ومن مروياته عن شيوخه في كتابه " السمعاني " حديث أبي سعيد في خلفاء بني العباس حدثوا عن أبي سعيد الخذري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: (منا المنصور[2] ومنا السفاح[3] ومنا المهدي[4] ومنا القائم[5]، فأما المنصور فلا ترد له راية، وأما السفاح فهو يسفح المال والدم، وأما المهدي فيملأها عدلا كما ملئت ظلما، وأما القائم فتؤيده الخلافة، ولا يراق فيها محجمه من دم) [6].

---

[1] رواه مسلم – كتاب البر والصلة والآداب – باب تحريم الظلم – بيت الأفكار الدولية – الرياض – طبعة 1998م – حديث رقم: 55– ص: 1039.

[2] هو عبد الله بن محمد، ثاني خلفاء بني عباس، حكم من سنة (136ه/753م–158ه/774م)، عرف بالشجاعة و الحزم و الهيبة، و حبه للعلم و الأدب، قتل خلقا كثيرا من أجل إستقامة ملكه. المسعودي، علي بن الحسين – مروج الذهب و معادن الجوهر– تحقيق: قاسم الشماعي الرفاعي– دار القلم– بيروت– لبنان– الطبعة الأولى 1408ه/1989م– المجلد الثالث– ص: (265–288). أنظر عنه كذلك السيوطي– المصدر السابق– ص: (297–304).

[3] هو عبد الله بن محمد بن علي، أول خلفاء بني عباس، حكم من سنة (132ه/749م–136ه/753م)، كان سريعا إلى سفك الدماء، و مع ذلك كان جوادا في المال. المسعودي– المصدر السابق– مج: 3– ص: (279–282).

[4] محمد بن عبد الله، ثالث خلفاء بني العباس، حكم من سنة (158ه/774م–169ه/785م)، كان حسن الإعتقاد محببا إلى الرعية، روى الحديث عن أبيه و عن مبارك. السيوطي– المصدر السابق– ص: (297–304).

[5] عبد الله بن أحمد، الخليفة الخامس و العشرون لبني عباس، حكم من سنة (416هـ/1051م–460هـ/1067م) اشتهر بالأدب والكتابة، وعرف عليه بالعدل في الرعية. ابن الأثير– الكامل في التاريخ– دار الكتاب العربي– بيروت– الطبعة الرابعة 1403ه/1983م– الجزء الثامن– ص: 120.

[6] رواه الذهبي– ميزان الإعتدال– الجزء السادس– ص: 89. ابن الحجر– لسان الميزان– مؤسسة الأعلام للمطبوعات– بيروت– الطبعة الثالثة 1986م– الجزء الثالث– ص: 389. ابن حجر– تهذيب– ج: 9– ص: 354.

قلت القائم المذكور هو عبد الله القائم بأمر الله أبو العباس أحمد كان مولده سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة، ولنذكر طرفا من أخباره، لأنه كان من الصالحين، حدث كمال الدين أبو عبد الله الدميري في كتابه " حياة الحيوان " قال : كان القائم بأمر الله ملكا مليح الوجه، ورعا زاهدا، عابدا مريدا، لقضاء [حوائج][1] المسلمين موقرا لأهل العلم، معتقدا في الفقراء [والصالحين

حسن الطوية][2] كثير الصدقة، له فضل وعلم، يكثر الصيام والتهجد، وما كان ينام إلا على[سجادته وما تجرد][3] من ثيابه لنوم قط، وكانت ولايته للخلافة سنة إثنين وعشرين وأربع مائة، فأقام خليفة ثلاثة وأربعين سنة مدة طويلة، لم تصلها ولاية أحد قبله.

قال السمعاني: ولم يزل أمر القائم بأمر الله مستقيما إلى أن قبض عليه قال: وكان السبب في ذالك أن رسلان التركي المعروف بالبساسيري[4] كان قد عظم أمره وإشتهر ذكره ودعي له على المنابر العراقية وغيرها، وجبى الأموال ولم يكن الخليفة القائم بأمر الله يقطع أمرا دونه، ثم دخل بينهما شك أوجب أن حرك البساسيري على الخليفة، ببغداد لبعد وزيره مع الجيش في نواحي العراق، فدخلها ونهب دار الخلافة وأباحها، وأخرج الخليفة، فسجنه بالأنبار في خطب طويل، ولما يئس الخليفة من وزيره الكائن بالجيش فيما بعد من نواحي العراق، ورأى أنه لا طاقة له بهذا الفاجر رسلان البساسيري، صرف ووجهه عن التعلق بالخلق والتوجه بهمته إلى الملك الحق، فكتب كتابا وأنفده إلى مكة مع بداوي وأمره أن يعلقه على الكعبة.

[1] الزيادة من د.

[2] الزيادة من د.

[3] الزيادة من د.

[4] رسلان بن عبد الله البساسيري التركي: هذا الاسم منسوب إلى المدينة الفارسية بسا أو فسا، كان مملوك الدولة بن عضد بن بويه، قدمه القائم بأمر الله، على جميع الأتراك، فخرج عنه وخطب للمستنصر العبيدي صاحب مصر، فقتله طفر لبك السلجوقي بأمر من القائالمصدر السابقنة 451هـ/1059م. ابن خلكان- المصدر السابق- ج: 1- ص: 192. المقريزي- المصدر السابق- ص: 62.

نسخة الكتاب إلى الله العظيم من عبده المسكين بسم الله الرحمن الرحيم:" اللهم إنك العالم بالسرائر، المطلع على مكنونات الضمائر، اللهم إنك غني بعلمك وإطلاعك على أمور خلقك، عن إعلامي لك بما أنا فيه، وهذا عبد من عبيدك قد كفر بنعمتك وما شكرها، وألغى العواقب وما ذكرها، أطغاه حلمك وتجبر بآناتك حتى تعدى علينا بغيا، وأساء إلينا عتوا وعدوانا، اللهم قل الناصر وإعتز الظالم، وأنت المطلع العالم والمنصف الحاكم، نعتز بك عليه، وإليك نهرب من يده فقد تعزز علينا بالمخلوقين، ونحن نعتز بك، يا رب العالمين، اللهم إنا قد حكمناه إليك، وتوكلنا في أنصافنا منه عليك، ورفعنا ظلاماتنا إلى حرمك، ووثقنا في كشفها بكرمك، فاحكم بيننا بالحق، وأنت أحكم الحاكمين وأظهر قدرتك فيه، وأرنا ما نرتجيه، فقد أخذته العزة بالإثم "[1].

اللهم فأسلبه عزه، وملكنا بقدرتك [ناصيته][2] يا أرحم الراحمين وصلى على محمد خاتم النبئين وعلى آله الطيبين وسلم تسليما. قال صاحب الخبر فحمل الرسالة البدوي إلى الكعبة، وعلقها بها فلما قرأت[3] الصحيفة، ودعي بما فيها في الكعبة المشرفة، قيض الله سبحانه لوزير الخليفة [أن][4] قضى حاجته من حركته. ورجع بجيشه إلى بغداد لنصرة الخليفة، فخرج إليه رسلان البساسيري والتقيا، فهزم رسلان وقتل وصلب على باب دار الخليفة ببغداد، وأطلق الخليفة القائم بأمر الله من محل ثقافه وعاد إلى دار ملكه.

قال: ويروى أن الخليفة رأى في الليلة التي أطلق في غدها رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وهو يقول: لا تأكل الطعام الذي يقدم إليك غدا فإنه مسموم وقد قرب خلاصك، قال: فأصبح وقدم إليه دجاج مسموم فإمتنع من الأكل، وأطلق في عصر ذلك اليوم ورد إلى بغداد، وكانت وفاته سنة سبع وستين وأربع مائة.

---

[1] راجع عن هذا النص السيوطي– المصدر السابق– ص : 457–458. ابن خلكان– المصدر السابق– ج: 1– ص: 192–193.

[2] الزيادة من د.

[3] في ك قرئت.

[4] ناقصة في د.

وحدث بسنده عن رجاله عن أبي العباس عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قالا: كنت خلف رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، يوما فقال: (ياغلام: إني أعلمك كلمات، أحفظ الله يحفظك: أحفظ الله تجده أمامك، أعرف الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسأل الله، وإذا إستعنت فإستعن بالله، وأعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن إجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، وأعلم أن ما أحاطك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، وأعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر اليسر)[1].

أنشدني شيخنا أبو عبد الله التنسي قال: أنشدني شيخنا أبو إسحاق، قال: أنشدني أبو الفتح، قال: أنشدني أبو الفضل العراقي في مجالسه من قصيدة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يوصي أولاده الكرام عليهم السلام مطلعها:

إبني إني واعض ومؤدب   فأفهم فإن العاقل المتأدب

ومنها:

بادر هواك إذا هممت بصالح   وتجنب الأمر الذي يتجنب

وإعمل لنفسك إن أردت/47/   حباءها أن الزمان بأهله يتقلب

إبني كم [صاحبت][2] من ذي عدرة   فإذا أصبحت فأنظرن من تصحب

وإجعل صديقك من إذا آخيته   [حفيظ الإخاء][3] وكان دونك يضرب

وإحذر ذوي الملق اللئام فإنهم   في النائبات عليك ممن يحطب

ولقد نصحتك إن قبلت نصيحتي   والنصح أرخص ما يباع و[يوهب] [4]

ومن مروياته عن تاريخ الخطيب عن القاضي عمر بن حبيب العدوي قاضي بغداد في خلافة أمير المؤمنين المأمون قال عمر بن حبيب[5]:" وفدت مع أهل البصرة

---

[1] رواه ابن حنبل- مسند أحمد بن حنبل- مسند آل العباس- مسند عبد الله العباس- ص: 256. أما تحقيقه الألباني- سلسلة الأحاديث الصحيحة -مج: 5- ص: 497- رقم الحديث: ـــ

[2] الزيادة من د.

[3] الزيادة من د.

[4] من البحر الكامل.

[5] رواه ابن خطيب البغدادي - المصدر السابق - ج: 11- ص: 198-199.

على المأمون نطلب منه أن يولي علينا قاضيا فبيننا نحن في مجلسه، إذ جيء برجل مقيد في الحديد مغلولة يده إلى عنقه، وقام السياف شاهرا السيف ليضرب عنقه فرأيت أمرا فضيعا، فقلت في نفسي: والله لا أتكلمن فلعله أن ينجو". فقلت: يا أمير المؤمنين إسمع مقالتي، فقال لي: قل، فقلت: إن أباك حدثني عن جدك ابن عباس عن رسول الله– صلى الله عليه وسلم– قال: (إذ كان يوم القيامة ينادي مناد من بطنان العرش ليقم من كان أجره على الله فلا يقوم إلا من عفا عن ذنب أخيه)[1] " فاعف عنه" عفى الله عنك يا أمير المؤمنين، فقال: ألله إن أباي حدثك عن جدي عن ابن عباس عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم–؟ فقلت: ألله إن أباك حدثني عن جدك عن ابن العباس عن النبي– صلى الله عليه وسلم–؟ فقال: صدقت يا غلام، أطلق سبيله، وأمرني أن أتولى القضاء ثم قال لي: حدث الناس، فإني كنت أحب أن أقعد على كرسي فيقال لي: من حدثك، فأقول: حدثني فلان؟ قال فقلت: يا أمير المؤمنين فلم لا تحدث؟ قال: يا عمر بن حبيب لا يصلح الملك والخلافة مع الحديث بالناس.منه عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله– صلى عليه وسلم– قال له رجل يا رسول الله (طوبى لمن رآك وآمن بك قال: طوبى لمن رآني وآمن بي، ثم طوبى، ثم طوبى لمن آمن بي ولم يراني، فقال له رجل: يا رسول الله ما طوبى قال: شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها)[2].

من مروياته عن أبي الفتح عن الشيخ والده في كتاب الأربعين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– (ثلاث دعوات مستجابات لاشك فيهن دعوة الصائم، ودعوة المسافر، ودعوة المظلوم)[3] أخرجه الترميذي.

---

[1] لم نعثر عليه في أمهات كتب الحديث.

[2] رواه أحمد بن حنبل– مسند أحمد بن حنبل– مسند المكثرين– مسند أبو سعيد الخذري– ص: 826– رقم الحديث: 11695. أما تحقيقه الشطر الأول منه حتى " لم يراني " فهو صحيح. الألباني– المصدر السابق– مج: 3 – ص: 253. أما الشطر الثاني منه من " شجرة في الجنة " حتى " من أكمامها " فهو صحيح – المصدر السابق– مج: 4 – ص: 639 – رقم الحديث: 1985.

[3] رواه الترمذي– المصدر السابق– كتاب البر والصلة عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – باب ما جاء في عقوق الوالدين– ص: 564– رقم الحديث: 1960. أما تحقيقه فهو صحيح، الألباني– المصدر السابق– مج: 2– ص: 145– رقم الحديث: 596.

ومن مرويات سيدي إبراهيم عن شيخه السيد الشريف أبي الطيب الطبري عن شيوخه عن أبي علي البغدادي بسنده عن ابن الكلبي قال: لما حضرت عبد الله بن شداد بن الهادي الوفاة[1]، وكان من أعلام التابعين وأفاضل أولياء الله الزاهدين،

دعا ابنا له يقال له محمد فقال له: أي بني إلى أرى داعي الموت لا يقلع، وأرى من مضى لا يرجع، ومن بقي فإليه ينزع، وإني موصيك بوصية فأحفظها:عليك بتقوى الله، وليكن أولى الأمور بك شكر الله وحسن النية في السر والعلانية، فإن الشكور يزاد و التقوى خير زاد، وكن أي بني كما قال الخطيئة العبسي:

ولست أرى السعادة جمع مال — ولكن التقي هو السعيــد
وتقوى الله خيــر زاد ذخــرا — وعند الله للأتقى مزيــد
وما لابد أن يأتي قريـــــب — ولكن الذي يمضي بعيــد[2]

ثم قال:[أي][3] بني لا تزهدن في معروف، فإن الدهر ذو صروف، والأيام ذات نوائب على الشاهد والغائب، فكم من راغب، قد كان مرغوبا إليه وطالب أصبح مطلوبا ما لديه، وأعلم أن الزمان ذو ألوان، ومن يصحب الزمان يرى الهوان، وكن أي بني كما قال أبو الأسود الدؤلي[4]:

وعد من الرحمان فضلا ونعمة — عليك إذا ما جاء للعــرف طالب
وأن أمرءا لا يرتجا الخير عنده — يكن هينا تقلا على من يصاحب
فلا تمنعن ذا حاجة جاء طالــبا — فإنك لا تدري متى أنــت راغب
رأيت التوى[5] هذا الزمان بأهلــه — وبينهــم فيه تــكون النــوائب[6]

---

[1] في ك و د الوفات، والصحيح ما أثبتناه.
[2] من البحر الوافر.
[3] ناقصة في ك.
[4] ظالم بن عمر، أبو الأسود: إشتهر بالثقة في الحديث، وكان من المتشيعين لعلي بن أبي طالب – "من المنظرين الأوائل في علم النحو". ابن سعد– المصدر السابق– مج: 7– ص: 69. البستي– المصدر السابق– ص: 152. أنظر عنه كذلك ابن خلكان– المصدر السابق– مج: 2– ص: (535–538).
[5] التوا في د.
[6] من البحر الكامل.

ثم قال: أي بني كن جوادا بالمال في موضع الحق بخيلا بالأسرار عن جميع الخلق، فإن أحمد جود المرء الأنفاق في وجه البر، وأن أحمد بخل الحر الضن بمكتوم السر، وكن كما قال قيس بن الخطيم الأنصاري:

أجود بمكنون التلاد وأنني	**بسرك عمن سألني لضنين**
إذا جاوز الاثنين سر فانه	**ببث وتكثير الحديث قمين**
وعندي له يوما إذا ما ائتمنته	**مكان بسوداء الفؤاد كنين[1]**

ثم قال: أي بني إن غلبت يوما على المال، فلا تدع الحيلة على كل حال، فإن الكريم محتال والداني عيال، وكن [أحسن][2] ما تكون في الظاهر حالا اقل ما تكون في الباطن مالا، فان الكريم من كرمت طبيعته وظهرت عند الانفاد نعمته.

وكن كما قال ابن خداق العبدي:

وجدت أبي قد أورثه أبوه	**خلالا قد تعد من المعالي**
فأكرم ما تكون علي نفسي	**إذا ما قل في الأزمات مالي**
فتحسن سيرتي وأصون عرضي	**وتجمل عند أهل الرأي حالي**
وإن نلت الغنى لم أغل فيه	**ولم أخصص بجفوتي الموالي[3]**

ثم قال: أي بني، وإن سمعت كلمة من حاسد فكن كأنك لست بشاهد، فإنك إن أمضيتها حيالها رجع العيب على من قالها وكان يقال الأريب العاقل هو الفطن المتغافل، وكن كما قال حاتم طيبي:

وما من شيمتي شتم إبن عمي	**ولا أنا مخلف من يرتجبني**
وكلمة حاسد في غير جرم	**سمعت فقلت مري فأنقذيني[4]**
فعابوها على ولم تعبني	**ولم يعرف لها يوما جبيني**
وذو اللونين يلقاني طليقا	**وليس إذا تغيب يأتليني**

---

[1] من البحر الطويل.
[2] الزيادة من د.
[3] من البحر الوافر.
[4] في د فإنقذوني.

سمعـــت بعيـــبه فصفـــحـــت عنه لمحافظة على حسبي وديني[1]

ثم قال: أي بني لا تواخ أمرءا حتى تعاشره، وتفقد موارده ومصادره، فان استطبت العشرة ورضيت الخبرة، فواخه على إقالة العترة والمواساة[2] في العسرة وكن كما قال المقنع الكندي:

أبل الرجال إذا أردت إخاءهم وتوســـمـــن فعـــالهـــم وتـــفـــقد

فإذا ظفرت بذي اللبابة والتقى فيه اليدين قريـــن، عيـــن فأشـــدد

وإذا رأيــــت ولا محالـــــــة زلة فعلى أخيك بفضل حلمك فأردد[3]

قال أبو علي يقال: لبيب بين اللبابة، ثم قال: أي بني؛ إذا أحببت فلا تفرط وإذا أبغضت فلا تشطط؛ فإنه قد كان يقال: أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما، وابغض [بغيضك هونا ما عسى][4] أن يكون حبيبك يوما ما، وكن كما قال هدية بن حشرم العذري:

وكن معقلا للعلم وإصفح عن الخنـــا فإنك رائي ما حييـــت وسامـــع

وأحبب إذا أحببت حبا مقـــاربـــا [فإنك لا تدري متى أنت نازع][5]

[وأبغض إذا أبغضت بغـــــــضا][6] فلا تـــدري مـــا أنت راجـــــع

وعليك بصحبة الأخيار وصدق الحديث وإياك وصحبه الأشرار فإنه عار[7]

وكن كما قال الشاعر:

إصحب الأخيار وإرغب فيهم رب من صاحبته مثل الجرب

ودع الناس ولا تشتمـــــهم وإذا شاتمت فأشتم ذا حسب

إن من شاتم لئيما كالـــــذي يشتري الصفر بأعيان الذهب

وأصدق للناس إذا حدثتهـــم ودع الناس فمن شاء كذب[8]

---

[1] من البحر الوافر
[2] المواسات في .ك.
[3] من البحر الكامل
[4] شطر ناقص من د.
[5] شطر ناقص من د.
[6] شطر ناقص د.
[7] من البحر الطويل
[8] من البحر الرمل

وفوائد أخبار سيدي إبراهيم كثيرة فلنقتصر على هذا الطرف؛ ففيه جملة كافية وغنية شافية، وكان سيدي إبراهيم قد بلغ [الرتبة العليا والدرجة القصوى في مقام الحلم والتجاوز، عمن تعرض][1] لإذايته ما بلغنا قط أنه ما انتصر لنفسه أو تسبب انتقام ذوي الإذاية، حدثني الثقة أن سيدي إبراهيم كان يدعوا لأهل إذايته، وأنه ما

عنى بقوله في العقيدة وأسمح وأغفر لأصحابنا، إلا من كان يتعرض له ولأصحابه بالاذاية وهذا عند أرباب الحقائق من إتساع المعرفة بالله وكمال الإيمان، لأنه إذا رحم من ظلمك فقد بلغت درجة الصديقين الرحماء.

فقد كان بمدينة وهران جماعة من الجهلة الطغام[2] المتشبهين في فنهم ورياستهم بسفلة العوام، ينتقدون عليه أحواله في لباسه ومأكله، ويحتجون عليه بمخالفته لصفات الشيخ سيدي محمد الهواري في ذلك، وهم يعلمون أنه كان على تلك الصفة في حياة[3] سيدي محمد على نظره، فسول لهم الشيطان داعية الكبر والحسد والتنافس، وقديما قيل: عوام الناس عدو لخواصهم فكانوا ينكرون كرامة الله المودعة عند سيدي إبراهيم، ويتعرضون بالقول والفعل لأصحابه، فإذا بلغه ذلك تبسم وحمل أصحابه على الحلم والتجاوز، ويعدهم بأن العاقبة لهم ويقول لهم: ليس منا من انتصر لنفسه، وإنما ينتصر الله لنا فإنه الغالب الذي لا يغلب، والقهار الذي لا يعجزه شيء، وكأنه يشير لقوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَمُنَّ عَلَى الذِّينَ أسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُم أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوَارِثِينَ، وَنُمَكِّنَ لَهُم فِي الأَرْضِ...﴾[4] ، ولقوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالعَاقِبَةُ لِلمُتَّقِينَ...﴾[5]. هذا ومن كرامات سيدي محمد الهواري وفراسته[الصادقة بعد][6] موته، رحمه الله لأنه قال: في كتابه التنبيه، مشيرا لسيدي إبراهيم: [تلميذه][7]

[1] ناقصة في د.
[2] الطغام: كسحاب، أوغاد الناس، ورذال العلير، والطغومة والطغومية بضمهما: الحمق والدناءة وهو المقصود في هذه الجملة. الفيروزابادي– المصدر السابق– ص: 1133.
3 في ك حيات
4 سورة القصص– الآية 5.
5 سورة القصص- الآية 83.
[6] الزيادة من د.
[7] تعرفوا في ك.

نجيب يكون يا صبي شبيه أطبيب وقلبو يكون أبيض كلبنا يكون أحليب، فلما كان سيدي إبراهيم وفق أمنية الشيخ سيدي محمد الهواري، وعلى الحالة المرضية من حقيقة الصدق، وإخلاص المراقبة مع الله، وعلم أنه بعين مولاه فأسلم نفسه إليه وألقاها بين يديه، وترك الإنتصار لنفسه لا جرم أن كفاه الله أمر أولئك الحسدة على ما جرت به سبيل الله وشريعته في المحاربين لأوليائه، أن يتولى الحق سبحانه وتعالى، ومحاربة من حاربهم ومغالبة المستهزئين بهم، فكان كما قال: ولقد شاهدنا جماعة منهم عوقبوا بأنواع العقوبات، منهم من طال سجنه، ومنهم من غرب عن بلده الزمن الطويل ومنهم من سار عونا للظلمة يستعملونه في سخرية الحشمة، ومنهم من نكص على عقبه، وطبع الله على قلبه، فكان لا يرد وجهه لقبلة، ويتهافت[1] على حطام هذه الفانية، إلى أن بلغ أرذل العمر، ومات على حالة سيئة، وجعل الله ماله نهبة للولاة ومنهم من عاقبه الله بالعمى، ومنهم من أقامه الله في إذاية عباده وأوليائه، وجعله كلبا عقورا لأحبائه وأصفيائه، ثم سلط عليه من قتله بالحديد، وأذاقه العذاب الشديد ولعذاب الآخرة أشد وأبقى، وما أحسن قول القائل: لحوم الأولياء مسمومة وعادة الله فيمن تنقصهم وأذاهم معلومة.

تنبيه عادة الله وسنته في أنبيائه وخاصته، من أوليائه أن يجعل العباد لهم على قسمين، قسم يعتقدهم ويصدق بعلومهم وأسرارهم، وذلك من سبقت له السعادة وإصطفاه الحق سبحانه لدار الحسنى والزيادة، وقسم ينتقد عليهم ويكذبهم فيما أخبروا به حسدا وبغيا وكراهية، أن يكون لأحد عليهم شغوف في منزلته وإختصاص بمنة وذالك من سبقت له الشقاوة، وغلب عليه الجهل، وإستدلت عليه الغباوة، فتجد العموم منهم يستبعدون كرامة الأولياء، وتستغرب عقولهم نعم الله عليهم، ثم يحملهم ذالك الحسد على إذاية أوليائه/**52**/ والتسليط عليهم وعلى من تعلق بهم أحبابه وأصفيائه فيمد الله سبحانه دون الولاية العرفانية، والعناية الربانية بالصبر، لترتفع أقدارهم وتزهوا[2] أنوارهم.

---

[1] في د يتهافة.
[2] في د تزهر.

قال: أيمتنا؟ وفائدة ذالك وسر حكمته، أن يخلص الله قلب وليه من إحسان الخلق ويتعلق نظره بالملك الحق لا إله إلا هو، إذ لو كان الخلق كلهم مصدقين للولي لفاته ثواب الصبر على تكذيب المكذبين منهم، ولو كانوا كلهم مكذبين له لفاته

الشكر على نعمة تصديق المصدقين له، فالولي قائم بحق عبودية مولاه فيمن صدقه بالشكر، وفيهن كذبه بالصبر.

تنبيه ثان لما طبع الله على قلوب هؤلاء الجهلة المبعدين عن رحمة الله المجوبين عن إدراك نور الله في أوليائه، أنكروا حال سيدي إبراهيم وقالوا: أنه لم يكن زاهدا في لباسه ومطعمه، وما علم هؤلاء الجهلة أن الزهد في الدنيا هو إعتقاد حقارتها، وملازمة هوانها، وعدم ركون النفس إلى لذتها، أما فراغ اليد منها، وتركها في الظاهر، مع تعلق القلب بها في الباطن، فليس ذلك من الزهد في شيء، وكيف يتوهم على سيدي إبراهيم أنه ممن يحب الدنيا، وهو القائل في قصيدته:

دنياك دار غرور حبها سفه   رأس الخطايا فمن يغرم بها بعدا[1]

ومن مذاهب أئمة الصوفية أن الله تعالى جعل لأوليائه حجبا تحجبهم عن الجهلة المبعدين من رحمته؛ وعدوا من جملة الحجب التزي بزي أهل الدنيا في لباسهم ومطعمهم، قال أبو الفضل بن عطاء الله: كان بالمغرب رجل من الزاهدين في الدنيا ومن أهل الجد والإجتهاد في العبادة، يحترف بصيادة الحوت، وما حصل له منه أكل بعضه وتصدق ببعضه، ثم أن بعض أصحابه أراد سفرا لبعض بلاد المغرب، وأتاه لوداعه فقال له الشيخ: إذا دخلت البلد فسلم لي على أخي الرجل الصالح فلان وأطلب منه الدعاء لنا قال: فلما دخلت البلد أتيت دار الرجل فوجدت دار لا تصلح إلا للملوك، فتعجبت من ذالك فسألت عنه فقيل لي[2]: هو عند السلطان فإزداد تعجبي من حاله، فبعد ساعة وإذا به قد أتان في أفخر ملبس، وأبهى مركب وكأنما هو من الملوك في شارته وحشمه قال: فإزداد تعجبي أكثر من الأول، وأردت عدم الإجتماع به لولا الوقوع بمخالفة الشيخ، فإستأذنت عليه فأذن لي فلما دخلت عليه رأيت ما

---

[1] من البحر البسيط.
[2] في ك له.

هالني من الخدم والشارة الملوكية، فقلت له: أخوك فلان يسلم عليك فقال لي: إذا رجعت إليه قل له: إلى كم تشتغل بالدنيا وتقبل عليها، وإلى متى لا تنقطع رغبتك فيها فقالت: والله هذا أعجب من الأول، فلما قفلت إلى بلدي وسلمت

على الشيخ قال لي: أي شيء قال لك أخي فلان؟ فأعدت عليه قوله ونهيه عن الرغبة في الدنيا، قال. فبكى طويلا وقال: صدق أخي هو، والله غسل الله قلبه من الدنيا وحبها، فجعلها في يده وعلى ظاهره، وأنا زواها عني لما كان لي ميل إليها.

وكان الشيخان الزاهدان ملك بن دينار[1]، ومحمد بن واسع[2] من أئمة زمانهما وأعلام أوليائه، وكان بينهما وداد كريم وإخاء عظيم، وإذا إجتمعا وتذاكرا، بكيا الحاضرون لبكائهما، وكانا مختلفين في حال المطعم واللباس، متفقين في العبادة والدعاء إلى طاعة الله، كان ملك بن دينار يلبس ثياب الصوف الخشنة، ويأكل الطعام الخشن، وكان محمد بن واسع يلبس ثياب القطن الرفيعة، ويأكل من الطعام اللينة، وكل واحد منهما مسلم لصاحبه في طريقة راض على هيئته.

وكان سيدي إبراهيم على ما بلغني، إذا أتاه أحد من هؤلاء المنكرين يرفق به ويأنس إليه، ويلين في القول لهم، ويدعوا بالخير لجماعتهم، عملا بالحديث الصحيح الوارد عنه – صلى الله عليه وسلم– روينا عن أبي سعيد الخدري – رضي الله– عنه قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: (إن أبدال أمتي لم يدخلوا الجنة بأعمالهم ولكن دخلوها برحمة الله، وسخاوة الأنفس، وسلامة الصدور، ورحمة المسلمين)[3].

قال أيمتنا قوله في الحديث: لم يدخلوا الجنة بأعمالهم يعني بالحركات الظاهرة من الصلاة والصيام والصدقة، إذ قد يجوز أن يكون في عصرهم من هو أكثر عملا

---

[1] أبو يحي، من كتاب المصاحف، أخذ العلم عن أنس بن مالك، وسالم بن عبد الله، وعن جماعة من كبار التابعين توفي بالطاعون سنة 131هـ/748م. إبن الجوزي– المصدر السابق– مج: 2– ص: (157–166).

[2] أبو بكر: من زهاد البصرة وعبادهم، ومن المتقشفة الخشن، خرج إلى خرسان غازيا، وكان في فتح ما وراء النهر مع قتيبة بن مسلم، أخذ عن أنس وروى عن جماعة من التابعين كالحسن بن سيرين... توفي سنة 120هـ/722م. ابن حبان– المصدر السابق– ص: 238. ابن الجوزي– المصدر السابق– مج: 2– ص:.156.

[3] رواه ابن حجر– لسان الميزان– ج: 5– ص: 260. أما تحقيه فهو ضعيف جدا الألباني– الأحاديث الضعيفة– مج: 3– ص: 668 – رقم الحديث: 1477.

منهم، لكن دخلوا الجنة بسخاوة الأنفس وسلامة الصدور؟ ورحمة المسلمين؛ وهذه الخصال هي من أعمال القلوب التي تفردوا بها عن غيرهم، ووصلوا بها إلى محبوبهم وقد قال – صلى الله عليه وسلم– في أبي بكر الصديق أنه لم يفضلهم بكثرة

صلاة ولا صيام، ولكنه فضلكم بشيء وقر في صدره؛ قالوا: ومعنى سخاوة الأنفس هو عدم الركون إلى شيء مما يشغل عن ذكر الله وعبادته، وسلامة الصدر هو من باب الرضى [بقضاء الله وقدره وهو أعلى[1] درجات الصديقين، لأن المؤمن إذا قوي يقينه في باب الرضى][2] والتسليم على أن مصدر الأنوار كلها عن الله، فسلم صدره عن غوائل الحقد والحسد، ومعنى رحمة المسلمين الشفقة عل خلق الله في تحمل أثقالهم ونصحهم في التودد إليهم، ومن رحمة المسلمين أن يصرف وجوده الخلق إلى الله ويرغبهم في طاعته، ويذكرهم بجنته، وأن يردهم إلى طلب الحوائج إليه، وهذه كانت حالة سيدي إبراهيم رحمه الله على ما أخبرناه من أوصافه الجميلة ونقل إلينا نقل تواتر .

ومن قوله مشيرا لحاله وحال حسدته الطاغين عليه أشار في قصيدته بقوله:

سلامة الصدر من خير الخلال فمن — أتى بقلب سليم ربه سعدا

والحقد طبع ذميم عد عنه وعذ — بالله رب العلى من شر من حقدا

وجنب الحسد المذموم صاحبه — ماريء قط حسود سادا أو مجدا

نعوذ بالله من شر الحسود — فيما يمسي ويصبح إلى ساخطا لمدا

عادى مواهب ذي الفضل العظيم — فعاداه السرور فمهموا ما يرى[3] أبدا[4]

ومن تأمل حال سيدي إبراهيم علم أن الله أقامه في درجة الغنى الشاكر واختلف أئمتنا أي أفضل عل الغني الشاكر أو الفقير الصابر.

حدثت عنه أنه كان يأتيه كل يوم من أطيب الطعام، ومختار الفواكه ما يتعجب الحاضرون منه فيقدمه للفقراء والصوفية من الواردين عليه، وتلقيت من الجم الغفير

---

[1] في ك أعلا.

[2] ناقصة في د.

[3] في ك ود يرا، والصحيح ما أثبتناه.

[4] من البحر البسيط.

من أهل وهران أن الطعام الذي كان يأتي لزاوية سيدي إبراهيم، لم يكن له وقت معلوم على ما جرت به العادة في الدور، وإنما كان يسيل على الدوام من طلوع الشمس إلى صلاة العشاء، ثم يبعث الله له من جعل له فيه رزقا من الزوار.

وحدثني كثير منهم أنه من حين مات سيدي إبراهيم، قل أكلهم لملاذ الأطعمة في دورهم قالوا: لما كان سيدي إبراهيم بقيد الحياة، كنا على أفضل في رغد العيش وكثرة الأرباح في التجارة، وكان لنا من التنافس في إتخاذ الأطعمة الفاخرة والإغتناء بما يرفعه [الواحدة منا لزاوية][1] سيدي إبراهيم من ذالك مالا عهد لنا به اليوم، وكنا نأكل ما يفضل علينا [منه][2] في دورنا، ونرى[3] له من البركة في التسيير وسهولة ذالك على الخدام وأهل الدار ما فقدنا مثله بعد وفاته، وهذا من كرامات سيدي إبراهيم المشهورة، ومفاخر مناقبه المأثورة والمذكورة. وكان سيدي رحمه الله يحب الحلواء والعسل، والفواكه، يستعمل ذلك إثر الطعام ويقدمه للواردين عليه كثيرا.

روينا من حديث أبي موسى قال، قال الرسول – صلى الله عليه وسلم–: (قلب المؤمن حلو يحب الحلاوة)[4] وأسند أبو بكر الخطيب بن ثابت عن عبد الله بن عمر بن العاصي قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (إن الله يحب من يحب التمر)[5] وحدث الرشاطي في كتابه قال: " كان أبو عبد الله الحسن بن خالد الأذري مؤلف كتاب "اللامع" في أصول الفقه من أفاضل وقته، كريم الطباع مليح الدعابة، وكان مولعا في طعامه بالحلوى[6] وكان أصحابه قد علموا ذلك، فمتى حضر عندهم قدموا إليه في آخر أطعمتهم حلوى[7]، أغفل ذالك في بعض الأحيان، فلما أخذوا في الإنصراف قال الأذري: أفطر عند كم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار وصلت

---

1 الزيادة من د .
2 الزيادة من د.
3 في ك نرا.
4 لم نعثر عليه في كتب الأحاديث.
5 لم نعثر عليه في تاريخ بغداد في ترجمة من إسمه عبد الله – مج: 10 ص. (110 195).
6 في ك ود حلوا، والصحيح ما أثبتناه.
7 في ك ود حلوا، والصحيح ما أثبتناه.

عليكم نصف الملائكة فقيل له: إنما هو صلت عليكم الملائكة، فقال: بقي النصف الثاني مع الحلوى[8] ". وكانت وفاة هذا الفاضل الأذري سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة، ولنقتصر على هذه الجملة من أخبار سيدي إبراهيم رحمه الله وفوائده وإن فاتتني بركة لقائه فلم يفتني صالح دعائه.

كان يكتب لوالدي ويسلم علي ويدعوا لي بما أرجوا قبوله بفضل الله تعالى ورحمته، وكان في صدر مكتوبه المبارك لوالدي الحمد لله، اللهم صلي صلاة كاملة وسلم سلام تاما على نبي تنحل به العقد، وتنفرج به الكرب، وتقضى به الحوائج وتنال به الرغايب، ويستسقى الغمام بوجهه، وعلى أله وصحبه.

وكانت وفاته رحمه الله تعالى يوم الأحد تاسع شعبان المكرم من سنة ست وستين وثمانمائة، ودفن بزاويته المباركة بوهران، رحمه الله تعالى ورضي عنه وأفاض علينا من بركاته، ونفعنا بصالح دعواته بمنه، وكرمه وفضله وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

[8] في ك ود حلوا، والصحيح ما أثبتناه.

مــن اسمـــه أحمــد:

أحمد بن أمير المؤمنين هارون الرشيد ويعرف بالولي السبتي[1]:

كان عبدا صالحا زاهدا منقطعا عن [مخالطة الناس][2]، طالبا للخمول ممرضا عن الإنتساب للخلافة، من أولياء الله الذين ظهرت لهم الكرامات، وعرفوا بخوارق العادات، حدث الأخياريون أن هارون الرشيد[3] تزوج أم هذا الولي العابد في حداثة سنه وتزيد له معها هذا الولد، فلما عزم عليه والده أمير المؤمنين أبو العباس محمد بن علي بن عبد الله بن العباس المهدي أن يتزوج ابنة عمه أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن محمد، صرف ولده هذا مع أمه وأعطاها ما يكفيها، وقال لها: تغيبي وأبعد عني إلى البصرة، وأكتمي أمرك، فإذا بلغك أن الخلافة أفضت إلي فأتيني بولدك فربي هذا الولد لما أراد الله به من الكرامة، في حجر أمه حامل الذكر لا يؤبه به فماتت أمه فتعلق بالقراءة والحديث ومجالسة العلماء، وانبعثت همته لمخالطة صفوة الله بعد الرسل والأنبياء، وزهدت نفسه وعزفت عن ما هو فيه أبناء الخلفاء.

ولما صارت الخلافة لوالده الرشيد، سأل أهل البصرة عن زوجته هذه فقيل له قد توفيت، وظن بولده هذا كذلك، وصرفته قدرة الله عن البحث عنه، فنشأ هذا الولي أحمد مع الزهاد والعباد، وأخذ نفسه بالإجتهاد والإنفراد، يؤاجر نفسه يوما من أيام الجمعة بدرهم ودانق ليستفرغ سائر أيام الجمعة للعبادة.

فذكر صاحب الصفوة عن عبد الله ابن الفرج العابد قال: " إحتجت إلى أجير يصلح لي شيء في الدار، فأتيت السوق، فإذا في آخره شاب حسن الوجه أصفر اللون عليه جبة صوف، ومئزر صوف، فقلت له: تعمل لي، قال: نعم، قلت: بكم،

---

[1] ينظر عند ابن الجوزي– المصدر السابق– مج: 1– ص: (187– 190). إبن خلكان– المصدر السابق– ج: 1– ص: 67. الصفدي– المصدر السابق– ج: 8– ص: (211–222). إبن حجر– نزهة الألباب في الألقاب– تحقيق: عبد العزيز بن محمد بن صالح السديدي– مكتبة الرشد– الرياض– بدون تاريخ– الجزء الثاني– ص: 296. المناوي– المصدر السابق– ج: 2– ص: 33. النبهاني– المصدر السابق– ج: 1– ص: 480.

[2] الزيادة من د.

[3] هو أبو جعفر، حكم من سنة (170هـ/770م– 193هـ/808م)، وكان ممن يعظم حرمات الإسلام، ويحب العلم وأهله، شهد عهده فتحات كثيرة في بلاد الروم. السيوطي– المصدر السابق– ص: (309– 315).

قال: بدرهم و دانق، قلت: نعم، قال: على شريطة. قلت: وماهي؟ قال: أحضر صلاة الظهر والعصر في المسجد جماعة، قلت: لك ذلك، فقام معي وجئنا إلى الدار، فأريته العمل فجعل يعمل ولا يكلمني بشيء/**57**/ حتى أذن المؤذن للظهر، خرج فصلى جماعة، ورجع فعمل أيضا جيدا، فلما أذن العصر خرج فصلى العصر ثم رجع، فلم يزل يعمل إلى آخر النهار فوزنت له أجرته وانصرف، فطلبته بعد ذلك لعمل احتجنا إليه ثانيا فلم أجده، فسألت عنه فقيل لي: إنه مريض فقلت: من يعرف أحواله إنما كان يجيء إلى السوق من سبت إلى سبت يعمل بدرهم ودانق في السبت، يتقوت به إلى السبت الآخر نصف دانق في كل يوم، فسألت عن منزله فأتيته فدخلت عليه البيت وليست فيه شيء سوى لبنة عند رأسه، فسلمت عليه وقلت له: ألك حاجة؟ قال: نعم إن قبلت قلت: أقبل إن شاء الله تعالى قال: إذ أنا مت فاغسل جبتي ومئزري هذين وكفني بهما، وأفتق جيب الجبة وخد الخاتم الذي فيه، ثم أنظر يوم يركب هارون الرشيد الخليفة فقف له في موضع يراك، فكلمه وأره الخاتم فإنه سيدعو بك، ولا يكن هذا إلا بعد دفني. فقلت: نعم، فلما مات فقمت بما أمرني به، ثم جلست على طريق الرشيد يوم ركوبه، فلما مر بي ناديته: يا أمير المؤمنين لك عندي وديعة ولوحت له بالخاتم، وفيه فص أحمر من ياقوت، فلما نظر إليه أمرني وحملت معه حتى دخل القصر، فدعا بي وصرف جميع من عنده، وقال: من أنت؟ قلت: عبد الله بن الفرج، قال: من أين لك الخاتم؟ قال: دفعه إلي رجل طيار فقال: طيار طيار وقربني منه، وحدثته القصة كما كانت، وقلت له يا أمير المؤمنين أنه أوصاني إذا أوصلت لك هذا الخاتم بوصية، فقال لي: وضحك قل، قال، فقلت: يا أمير المؤمنين صاحب هذا الخاتم يقرؤك[1] السلام ويقول لك: ويحك لا تموتن على سكرتك هذه، فإنك إن مت عليها ندمت، فقام على رجله قائما وضرب بنفسه على البساط وجعل يتقلب عليه ويقول: يا بني نصحت أباك فقلت في نفسي كأنه إبنه ثم جلس، وقال: هذا أول مولود ولد [قلت][2] كيف صار إلى هذه الحال، يا أمير

[1] في ك و د يقرئك، والصحيح ما أثبتناه.
[2] الزيادة من د.

المؤمنين؟ فذكر قصة تزوجه لأمه، وذهابها [عنه][1] ثم قال: أين دفنته ؟ قلت: يا أمير المؤمنين، دفنته في مقابر عبد الله بن مالك/**58**/، قال: إذا كان بعد المغرب، فقف لي بالباب حتى أنزل إليك نخرج إلى قبره، فوقفت له فخرج متنكرا، فجئت به إلى قبره فما زال ليلته يبكي ويقول: يا بني لقد نصحت أباك، قال: فجعلت أبكي لبكائه، رحمة مني له. ومازال كذلك حتى طلع الفجر، فقمنا وإنصرفنا، فقال لي: عبد الله لعلك تجيء المرة بعد الأخرى حتى تشفا من زيارته، وقد أمرت لك بعشرة آلاف درهم وأكتب عيالك مع عيالي، فإن لك علي حق بدفنك ولدي وقيامك بأمره ثم أخذ بيدي حتى إذا كنا قريبا تلقاه الخدم والحشم، فلما صار إلى القصر قال لي: أنظر ما وصيتك به، إذا طلعت الشمس، قف لي حتى أنظر في حوائجك قلت: إن شاء الله فإنصرفت ولم أعد إليه بعد، قال: عبد الله بن الفرج[2] العابد: ولم أعلم أنه ابنه حتى أخبرني الرشيد بذلك، قال أبو الفرج الجوزي: وهذا خبر صحيح رويناه عن الثقات والفضلاء الأثبات "[3].

تنبيه: قيل هذا الولي السبتي لأنه كان يواجر نفسه في يوم السبت لما يقيم به أورده[4] باقي أيام الجمعة كما قدمنا أولا قاله: صاحب وفيات الأعيان "ولم يزل على حالته الحسنة"[5]، إلى أن توفي رحمه الله، سنة أربع وثمانين ومائة رحمه الله ونفعنا به وبأمثاله.

---

[1] الزيادة من د.
[2] أبو محمد، القنطري، كان رجلا متعبدا، حكى عن فتح الموصلي. إبن الجوزي- المصدر السابق- ص: 192.
[3] ابن الجوزي – المصدر السابق – مج 2 – ص : 189-190.
[4] في د أوده.
[5] ابن خلكان – المصدر السابق – مج 1 – ص : 168. إسماعيل البغدادي- هدية العارفين – ص : 99.

أحمد بن محمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني البغدادي[1]:

أحد أئمة المسلمين الذين جمع الله لهم علم الأولين، كان يحفظ ألف حديث وجمعت كتبه التي حفظها عن شيوخه، فبلغت إثني عشر حملا، كان يحفظها كلها عن ظهر قلب، وكان أشياخه وأساتيذته يعظمونه، ويوقرونه، ويعرفون حقه ويهابونه، كان عبد الرحمن ابن المهدي يقول: ما رأيت مثل أحمد بن حنبل في علمه ودينه، ولقد كاد هذا العالم أن يكون إماما في بطن أمه، وقال: إبراهيم الحربي: رأيت أحمد بن حنبل كأن الله تعالى جمع له علم الأولين والآخرين من كل صف يقول ما شاء ويمسك ما شاء.

وقال: أبو عبيد القاسم بن سلام، إمام أهل بغداد في زمانه: جالست القاضي أبا يوسف، ومحمد بن الحسن، ويحي بن سعيد و[عبد الرحمن][2] بن مهدي، فما هبت أحد منهم مثل أحمد بن حنبل، وقال أبو داود السيجستاني: **/59/** كانت مجالس أحمد بن حنبل مجالس الآخرة لا يذكر فيها شيء من الدنيا، وقال عبد الرازق: مارأيت أفقه ولا أروع من ابن حنبل، وكان أحمد إمام الدنيا والدين، زاهدا ورعا منقطع القرين وليا من أولياء الله؛ رفيقا بعباد الله [محببا][3] إلى الخلق، جميل الصفات شريف الأخلاق، نظيف الثياب، يلبس البياض كثيرا، يواجر نفسه في النسخ وغيره متقللا من الدنيا، لا يقبل من أحد من خلق الله شيئا كائنا من كان، بعث إليه ملوك

---

[1] ينظر عند الرازي– المصدر السابق– ج: 1– ص: (294–306). ابن سعد– المصدر السابق– ج: 7– ص: 253. أبو نعيم – المصدر السابق– ج: 9– ص: 178–179. ابن خلكان– المصدر السابق– ج: 1– ص: 64. النووي– تهذيب الأسماء واللغات– بدون تاريخ الطبع– ص: (110–112). الذهبي– تذكرة– ج: 1 – ص: 15–16. سير– ج: 12– ص: 61– 62. ابن كثير– المصدر السابق– ج: 2– ص : (1615–1622). السبكي– المصدر السابق– ج: 1– ص: 65–66. ابن حجر– تهذيب– ج: 1– ص: 50–51. السيوطي– طبقات– ص: 189. الداودي– المصدر السابق– ج: 1– ص: 71. أبو الفرّاء– المصدر السابق– ج: 1– ص: (12–51). البلخي، الحاكم الجشمي، بن عبد الجبار، أبو القاسم – فضل الإعتزال وطبقات المعتزلة– تحقيق: فؤاد سي – الطبعة الثانية – دار النشر التونسية – 1406هـ/1986م – ص: 334. البغدادي – هدية العارفين– مج: 5– ص: 48. ابن قنفذ، أحمد بن حسن– الوفيات– تحقيق: عادل نويهض– مؤسسة نويهض الثقافية– بيروت– لبنان– ص: 147. الزركلي– المصدر السابق– ج: 1– ص: 203. مصطفى الشكعة– الإمام أحمد بن حنبل– دار الكتاب اللبناني– بيروت– لبنان– الطبعة الأولى– 1404هـ/1984م – ص: (87–95).

[2] الزيادة من د.

[3] الزيادة من د.

وقته وأبناء الدنيا بآلاف الأموال، فما قبل من أحد منهم شيئا، ورده عليهم أحسن رد على شدة حاجته وكثرة أولاده.

وكان أكثر إدامه الخل، وأما الدسم فكان يشتري بدرهم من الشحم؛ يأكل فيه شهرا ثم لازم الصيام، وقطع أكل الأدام جملـــة إلى أن لحق بالله، وربما بقي الأيام العديدة لا يأكل شيئا، وكان ابتداء أمره في هذه الطريقة بركة شيبان الراعي[1].

حكى الأستاذ أبو القاسم في رسالته قال: " كان أحمد بن حنبل عند الشافعي فجاء، فدخل عليهم ولي ذالك الزمان شيبان الراعي، وكان أميا لا يقرأ ولا يكتب فقال الإمام أحمد للشافعي: يا أبا عبد الله نريد أن ننبه شيبان هذا على نقصان علمه ليشتغل بتحصيل بعض العلوم فقال له الشافعي: يا أحمد لا [تفعل][2] فإنه من أولياء الله. فلم يقنع أحمد وقال: يا شيبان ما تقول فيمن نسي صلاة من خمس صلوات في اليوم والليلة ولا يدري أي صلاة هي؟، ما الواجب عليه يا شيبان؟ فقال شيبان يا أحمد، هذا قلب غفل عن الله فالواجب أن يؤدب، حتى لا يغفل عن مولاه بعد. قال: فغشي على أحمد، فلما أفاق قال له الشافعي: ألم أقل لك لا تتعرض لأولياء الله؟ فتبع أحمد من ذلك اليوم شيبان وإنتفع به " [3].

وحدثوا عنه أنه قال: رأيت ربي عز وجل في النوم فقلت: يا رب ما أفضل ما يتقرب به المتقربون إليك. فقال: " بكلامي يا أحمد، فقلت: أي رب بفهم أو بغير فهم قال: بفهم وبغير فهم، وحج أحمد خمس حجات، ثلاث حجات[4] ماشيا وإثنتان راكبا، وكان يقول في دبر صلاته: اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك فصن وجهي عن المسألة لغيرك ولا تمنعنا **/60/** خير ما عندك لشر ما عندنا، اللهم أعزنا بالطاعة، ولا تذلنا بالمعصية.

وفي كتاب الصفوة عن بعضهم قال: " كانت أمي مقعدة نحو عشرين سنة

---

[1] كان رجلا صالحا، لايتكلم العربية بل النبطية، نصح كثيرا الخليفة هارون الرشيد، واستفاد من كلامه كثيرا. إبن الجوزي- المصدر السابق- مج: 2- ص: 264.
[2] إفعى في د و ناقصة في ك.
[3] القشيري - المصدر السابق - ص: 378-379.
[4] في ك و د حجج، و الصحيح ما أثبتناه.

فقالت لي يوما، إذهب إلى أحمد بن حنبل فسله أن يدعو الله-عز وجل- لي، قال: فمضيت فدققت عليه الباب، فقال: من هذا؟، فقلت: رجل من ذالك الجانب، سألتني أمي وهي مقعدة، أن أسألك[1] الدعاء لها، فرد علي بكلام رجل مغضب، وقال: نحن أحوج إلى الدعاء منها لنا، فوليت منصرفا، فخرجت عجوز من داره، فقالت: أنت الذي كلمت أبا عبد الله قلت: نعم، قد تركته يدعو الله لها قال: فجئت من فوري إلى البيت فدفعت الباب، فخرجت لي على رجلها تمشي حتى فتحت الباب، وقالت: بشراك يا ولدي قد وهب الله لي العافية ببركة الإمام أحمد "[2].

ولما أصابه مرض الموت تسامع الناس به وأقبلوا لعيادته، ولازموا باب داره ليلا ونهارا، حتى إمتلأت الأزقة والشوارع وضاق بهم المتسع رجاء البركة وإغتنام دعوته وتحسروا على ذهابه، والمصيبة به فإنه كان لهم كالأب الرحيم، وحين قبض صاح الناس، وعلت أصواتهم بالبكاء والنحيب، حتى كأن الدنيا إرتجت، وبلغت وفاته أطراف البلاد فقدموا لشهود جنازته، فيقال أنه حزن الحاضرون لجنازته، فكان من الرجال ثمان مائة ألف ومن النساء ستون ألف والبقاء لله وحده.

وعن أبي بكر المرودي قال: " رأيت الإمام أحمد في النوم بعد وفاته، وكأنه في روضة وعليه حلتان خضراوتان، وعلى رأسه تاج من النور، وإذا هو يمشي مشية لم أكن أعرفها، فقلت له: يا أحمد ما هذه المشية التي لا أعرفها لك؟ فقال: هذه مشية الخدام في دار السلام، فقلت: ما هذا التاج الذي أراه على رأسك؟ فقال: إن ربي-عز وجل- أوقفني وحاسبني حسابا يسيرا، وحباني وقربني وأباح لي النظر وتوجني تاج الكرامة، وقال لي: يا أحمد هذا تاج الوقار توجتك به كما قلت القرآن كلامي غير مخلوق "[3].

وعن بعض الصالحين قال: لما مات الإمام أحمد رأى رجل في منامه، كأن على كل قبر قنديلا فقال: ما هذا؟ فقيل له/**61**/: أما علمت أنه نور لأهل القبور؟

---

[1] أسئلك في ك ود.

[2] ابن الجوزي- المصدر السابق- مج: 2- ص: 211-212.

[3] رجعنا إلى المرودي وكتابه " آداب الدين والدنيا " فصل آداب العلماء، من الصفحة (99-114) ولم نعثر على هذا النص.

قبورهم بنزول [هذا الرجل بين أظهرهم قد][1] كان فيهم من يعذب فرحم وتوفي سنة إحدى وأربعين ومائتين وهو بن سبع وسبعين سنة، رحمه الله – ونفعنا ببركته–.

[1] الزيادة من د.

أحمد بن الحواري عبد الله بن ميمون الثعلبي أبو الحسن[1] :

من زهاد أهل دمشق وعبادهم، كان- رحمه الله- كبير مشيخة الأولياء في زمانه؛ معروفا بالعلم والعمل، صدرا في زهاد أقرانه، كان الجنيد يقول: أحمد بن أبي الحواري ريحانة أهل الشام، وذكر عند الإمام يحي بن معين فقال يحي: أظن أن أهل الشام يسقيهم الله الغيث ببركة أحمد بن أبي الحواري.

حدث أبو نعيم وأبو الفرج أن ابن الحواري، كان يقول: " من أحب أن يعرف بشيء من الخير ويذكر به، فقد أشرك في عبادته، وقال: أني لأقرأ القرآن [فأنظر فيه آية آية، فيحار عقلي فيه، فأعجب من حفاظ القرآن][2] كيف طاب لهم النوم وصفا لهم العيش، وهم يتلون كلام الرحمان، والله لو فهموا ما يتلون وعرفوا حقه وتلذذوا به، لذهب النوم عنهم فرحا بما رزقوا " [3].

وذكر بعضهم أن أحمد بن أبي الحواري قرأ عنده قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ...﴾[4] فقال: غفور للذنب العظيم شكور للعمل اليسير، قال: ومن لطفه بعبده أنه يأمر بعبده إلى النار، فإذا ذهب الملائكة به وجاوز ثلث الطريق إلتفت العبد وبكى، ثم إذا جاوز الثلث الثاني إلتفت وبكى، حتى إذا وصل شفير جهنم، إلتفت وبكى فيقول: الله تبارك وتعالى للملائكة ردوا عبدي، فإذا وقف بين يديه قال له: وهو أعلم إلى أي شيء كان إلتفاتك، فيقول : يا رب لما وصلت الثلث الأول من الطريق تذكرت قولك الحق: ﴿وَرَبُّكَ الغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ...﴾[5] ، فالتفت رجاء في رحمتك وحين وصلت الثلث الثاني تذكرت قولك العزيز ﴿وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ

---

[1] ينظر عند أبي النعيم- المصدر السابق- ج: 10- ص: (6-8). إبن الجوزي- المصدر السابق- مج: 2- ص: 165-166. إبن ملقن- المصدر السابق- ص: (31-34). إبن حجر- المصدر السابق- ج: 1- ص: 34-35. المناوي- المصدر السابق- ج: 1- القسم الأول- ص: 534. النبهاني- المصدر السابق- ج: 1- ص: 481.

[2] ناقصة في د.

[3] رجعنا إلى أبو نعيم- المصدر السابق- لترجمة أحمد بن أبي الحواري- ص: (5-32) و لم نعثر على هذا النص وعليه يكون قد نسبه خطأ لصاحب حلية الأولياء. أما نفس النص فعثرنا عليه عند ابن الجوزي- المصدر السابق- مج: 2- ص: 166.

[4] سورة فاطر- آية 34.

[5] سورة الكهف- آية 58.

اللهُ...﴾[1] فقوي الرجاء، ثم لما وصلت آخر الطريق تذكرت قولك الصدق ووعدك الحق ﴿لاَ تَقْنَطُوا مِن رَحْمَةِ اللهِ...﴾[2] ، فإلتفت لجلال كرمك فناداني البشير من قبلك قال، فيقول الله تبارك وتعالى: يا عبدي قد أبحت لك جنتي وأنا أهل التقوى وأهل المغفرة، قال: ابن أبي الحواري معنى[3] كونه أهلا للتقوى يعني هو أهل/**62**/ [الذي يتقي فإن عصا العبد][4] ، ولم يفعل التقوى كان الله أهلا لأن يغفر زلة العبد فهو معنى قوله تعالى: هو أهل التقوى وأهل المغفرة...

ومن حديث ابن أبي الحواري عن أبي سليم [الدراني][5] ما خرجه أبو الفضل عياض في معجم الصدفي قال: حدث أحمد بن أبي الحواري عن أبي سليمان الدراني عن شيوخه عن سويد بن الحارث قال: وفدت على رسول الله – صلى الله عليه وسلم– فله سابع سبعة من قومي دخلنا عليه وكلمناه أعجبه ما رأى[6] من سمتنا فقال – صلى الله عليه وسلم– : (من أنتم قلنا مؤمنين فتبسم رسول الله – صلى الله عليه وسلم– وقال: لكل قول حقيقة فما قولكم وإيمانكم قال سويد قلنا: خمس عشرة خصلة، خمس منها أمرتنا رسلك أن نؤمن بها، وخمس منها أمرتنا رسلك أن نعمل بها، وخمس منها تخلقنا بها في الجاهلية، ونحن على ذالك إلا أن تكره منها شيئا فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: فما الخمس خصال التي أمرتكم رسلي أن تؤمنوا بها؟ قلنا: أمرتنا رسلك أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت. قال: فما الخمس التي أمرتكم رسلي أن تعملوا بها، قلنا: أمرتنا رسلك أن نشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وأن نقيم الصلاة، ونوتي الزكاة ونصوم رمضان، ونحج البيت من استطاع إليه سبيلا، فنحن على ذالك.

فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: فما الخمس الخصال التي تخلقتم بها في الجاهلية ؟ قلنا: الشكر عند الرخاء، والصبر عند البلاء، والصدق عند اللقاء

---

[1] سورة آل عمران– آية 135.
[2] سورة الزمر– آية 53.
[3] مع في د.
[4] الزيادة من د.
[5] الزيادة من د.
[6] في ك رأ.

ومناجزة الأعداء والرضاء بالقضاء، فتبسم الرسول عليه الصلاة والسلام وقال: أدباء فقهاء عقلاء حكماء، كادوا أن يكونوا أنبياء، يا لها من خصال، ما أشرفها وأزينها وأعظم ثوابها ثم قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم– أوصيكم بخمس خصال لتكمل عشرين خصلة قلنا: أوصينا يا رسول الله فقال: إن كنتم كما تقولون فلا تجمعوا ما لا تأكلون، ولا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تنافسوا في شيء أنتم عنه غدا تزولون، وإرغبوا في ما عليه تقدمون وفيه تخلدون، وإتقوا الله الذي/**63**/ إليه ترجعون، وعليه تعرضون قال: فإنصرف القوم وقد حفظوا وصية رسول الله – صلى الله عليه وسلم– وعملوا بها) [1].

توفي أحمد بن أبي الحواري سنة ثلاثين ومائتين وقبره الدعاء عنده مستجاب – رحمه الله – ونفعنا به.

[1] لم نعثر عليه في أمهات كتب الحديث.

أحمد بن نصر الخزاعي البغدادي أبو عبد الله[1]:

كان رحمه الله من كتاب العلماء ومشاهير الأولياء، أخذ الحديث عن مالك بن أنس، وحماد بن زيد وغيرهم، وإجتهد في العبادة والزهد حتى فاق أقرانه، وكان ممن أمتحن بالقول بخلق القرآن، فثبته الله وجاد بنفسه في نصرة دين الله، ولما أبى أن يقول له مخلوقا قتله أمير المسلمين الواثق بالله هارون[2] بن أمير المسلمين المعتصم بالله[3] أبي إسحاق محمد بن أمير المسلمين الرشيد[4]، وصلب جسده بسمراء[5]. وأنفذ رأسه إلى بغداد، فنصبه هنالك فلم يزل كذلك ست وستين[6]، ثم حط وجمع بين رأسه وجسده، ودفن بمقبرة المالكية في بغداد سنة سبع وثلاثين ومائتين، وحدثوا عنه أنه قال: رأيت مصابا قد وقع فقرأت في أذنه فكلمتني الجنية من جوفه: يا أبا عبد الله بالله دعني أخنقه فإنه يقول القرآن مخلوق.

وعن أبي بكر المرودي قال: سمعت الإمام أحمد بن حنبل وقد ذكره عنده أبو عبد الله أحمد بن نصر. فقال: – رحمه الله تعالى-: ما كان أسخاه لقد جاد نفسه في سبيل الله.

وعن إبراهيم بن إسماعيل بن خلف قال: كان أبو عبد الله أحمد بن نصر صاحبي وخليلي، فلما قتل في المحنة صلب رأسه، حدث أن الرأس يقرأ القرآن

---

[1] ينظر عند الرازي- المصدر السابق- ج: 2- ص: 79. إبن الجوزي- المصدر السابق- مج: 2- ص: 219. الصفدي- المصدر السابق- ج: 8- ص: 211. الذهبي- سير- ج: 7- ص: 448-449. إبن كثير- المصدر السابق- ج: 2- ص: 1611. ابن حجر- المصدر السابق- ج: 1- ص: 59. المناوي- المصدر السابق- ج: 1- القسم الثاني- ص: 439-440. النبهاني- المصدر السابق- ج: 1- ص: 481-482. الزركلي- المصدر السابق- ج: 1- ص: 264.

[2] محمد بن هارون، كنيته أبو إسحاق، ثامن خلفاء الدولة العباسية، تولى الخلافة سنة (218ه/833م-233ه/847م). البلخي، أحمد بن سهل، أبو زيد- كتاب البدء والتاريخ- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- طبعة أولى- 1417ه/1997م- الجزء الثاني- ص: (298-300).

[3] إبن محمد، ابن المعتصم، كنيته أبو جعفر، تاسع خلفاء بني العباس، حكم من سنة (227ه/841م-232ه/846م). إبن الأثير- المصدر السابق- مج: 5- ص: 276. العصفري- المصدر السابق- ص: 394.

[4] أبو جعفر، خامس خلفاء بني العباس، حكم من سنة (170هـ/786م- 193هـ/808م)، عرف بحبه للعلم والأدب، واشتهر بالفصاحة. السيوطي- المصدر السابق- ص:.309

[5] كان إسمها قديما ساميرا، سميت بسامير بن نوح، كان ينزلها لأن أباه أقطعه إياها، فلما إستحدثها المعتصالمصدر السابقماها سرى من رآى، وقد بسط القول فيما " بسامراء " وهي المدينة الثانية من مدن خلفاء العراق بني العباس سكنها ثمانية منهم. الحميري- المصدر السابق- ص: 300-301.

[6] في د سنين.

فمضيت إلى موضع صلبه، وبت بقرب من الرأس مشرفا عليه، وكان عند الرأس رجالة وفرسان يحفظونه، فلما هدأت العيون سمعت الرأس يقرأ ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أن يُتْرَكُوا أن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُم لاَ يُفْتَنُونَ﴾[1] فاقشعر جلدي، ثم رأيته بعد ذالك في المنام وعليه السندس والإستبرق، وعلى رأسه تاج. فقلت له: ما فعل الله بك يا أخي؟ قال: غفر لي وأدخلني الجنة إلا إني كنت مغموما ثلاثة أيام، فقلت: ولم؟ قال: كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم- مرّ بي فلما بلغ خشبتي حول وجهه عني/**64**/، فقلت له بعد ذلك: يا رسول الله قتلت على الحق أم على الباطل، فقال: عليه السلام أنت على حق، ولكن قتلك رجل من أهل بيتي، فإذا بلغت إليك أستحيي منه – رحمه الله- ونفعنا به.

---

[1] سورة العنكبوت – آية 2.

أحمد بن محمد النوري البغدادي أبو الحسين[1]:

عابد وقته وفاضل زمانه، كان – رحمه الله– من الأئمة العارفين بالله وأوليائه الذين ظهرت لهم البركات[2]، وعرفوا بإجابة الدعوات، وزهدوا حتى في الأقوات، له القدم الراسخ في أسرار الولاية، والتصريف النافذ في أحوال النهاية.

عن أبي جعفر الفرغاني قال: مكث أبو الحسين النوري عشرين سنة يأخذ من بيته رغيفين ويخرج بهما إلى السوق، فيتصدق بالرغيفين ويدخل المسجد، فلا يزال يركع حتى إذا إنقلب إلى أهله، ظن أهله أنه قد تغذى بالرغيفين، وهو قد تصدق بهما وإنما هو صائم أبدا، وعن بعض الصالحين قال: دخل أبو الحسين النوري إلى الماء ليغتسل، فجاء لص فأخذ ثيابه فخرج من الماء فلم يجد ثيابه فرجع إلى الماء، ثم أن الله تعالى تقف يد اللص عن الحركة فجاء اللص بالثياب، ووضعها مكانها ويده يابسة، فخرج أبو الحسين من الماء ولبس ثيابه، وقال: يا سيدي يا مولاي قد رد علي ثيابي فرد عليه يده فأطلق الله تعالى يد اللص ومضى لسبيله.

وعن أبي محمد المغازلي قال: ما رأيت أحدا قط أعبد من النوري، فقيل له: ولا الجنيد[3]، قال: ولا الجنيد، وعن بعضهم قال: مرض أبو الحسين النوري مرة فعاده الجنيد وبعث إليه بصرة فيها دراهم فردها عليه ولم يقبلها، ثم مرض الجنيد فدخل عليه النوري عابدا، فقعد عند رأسه ووضع يده على جبهته، فعوفي الجنيد لوقته. فقال النوري للجنيد: إذا عدت إخوانك، فأرقهم بمثل هذه الرقية، وسأل بعضهم النوري عن مقامه في الرضا فقال: لو كنت في الدرك الأسفل من النار، لكنت

---

[1] ينظر عند أبي نعيم– المصدر السابق– ج: 10– ص: 250–251. ابن كثير– المصدر السابق– ج: 2– ص: 1677. إبن الملقن– المصدر السابق– ص: (63– 69). التادلي– اليعزي– ص: 85. المناوي– المصدر السابق– ج: 1– القسم الثاني– ص: (422– 425).

[2] في ك البركاة.

[3] الخراز القواريري، أصله من نهاود، ولد ونشأ ببغداد، أخذ العلم عن أبي ثور، توفي سنة 298هـ/909م. إبن الجوزي– المصدر السابق– مج: 1– ص: 251– 256.

[3] كان شابا يطلب علم الظاهر، ويواظب عليه، اشتغل بالعبادة ثم اعتزل الناس، وبقي في بيته يتعبد. أبو طالب– المصدر السابق– ج: 1– ص: 270.

أرضى ممن هو في الفردوس. صحب أبو الحسين النوري سريا السقطي[1]، وأخذ عنه وكانت وفاة النوري سنة خمس وتسعين ومائتين.

[1] كان شابا يطلب علم الظاهر، ويواظب عليه، اشتغل بالعبادة ثم اعتزل الناس، وبقي في بيته يتعبد. أبو طالب- المصدر السابق- ج: 1- ص: 270.

أحمد بن محمد بن مسروق الطوسي البغدادي أبو العباس بن المسروق[1] :

كان رحمه الله من أولياء/**65**/الله الأفراد، غلب عليه الإنس بالله والإتكال [على مولاه المعروف برأس الزهاد][2] ، صحب سريا السقطى، والحارت بن أسد [المحاسب فإنتفع بهما وروى][3] الحديث الكثير عنهما، وعن غيرهما، عن أبي عبد الرحمان السلمي قال: سئل ابن مسروق عن التوكل فقال : هو إعتماد القلب على الله.

وعن أبي القاسم الجنيد قال: رأيت في ما يرى النائم قوما من الأبدال فسألتهم هل ببغداد أحدا من أولياء؟ فقالوا نعم، أبو العباس بن مسروق من أهل الإنس بالله وحدثوا عنه أنه قال: كنت أخرج للجمعة، فإذا نظرت إلى شيوخي كان ذلك قوتي من الجمعة إلى الجمعة، وعن أبي عبد الرحمان السلمي[4] قال، قال: أحمد بن مسروق: من راقب الله في خطرات قلبه، عصمه الله في حركات جوارحه، توفي سنة ثمان وتسعين ومائتين، وهو ابن أربع وثمانين سنة وكانت جنازته مشهورة رحمه الله.

---

[1] ينظر عند أبي النعيم- المصدر السابق- ج: 10 - ص: 214. إبن الجوزي- المصدر السابق- ج: 4- ص: 85-86. الذهبي- العبر- ج: 1- ص: 270. سير- المصدر السابق- ج: 8- ص: 612. المناوي- المصدر السابق- ج: 1- القسم الثاني- ص: 528. إبن عماد- المصدر السابق- ج: 2- ص: 227. البغدادي- هدية العارفين- مج: 6- ص: 55-56.

[2] الزيادة من د.

[3] الزيادة من د.

[4] أبو عبد الله، عرف عليه الزهد والإبتعاد عن ملذات الدنيا. إبن الجوزي- المصدر السابق- مج: 1- ص: 222.

أحمد بن محمد بن سهل البغدادي أبو العباس بن عطاء[1]:

كان – رحمه الله- أحد مشايخ هذه الطريقة مشهورا بين أرباب الشريعة والحقيقة، أخذ الحديث عن أصحاب الإمام أحمد بن حنبل، ولازم الجد والإجتهاد فعد من الأولياء الأفراد، حدث عنه أبو جعفر محمد بن عبد الله الفرغاني أنه قال له: يا أبا جعفر لي منذ سنين كثيرا أختم في كل ختمة فإذا كان شهر رمضان ختمت كل يوم وليلة ثلاث ختمات، ولي ختمة منذ أربع عشرة سنة ما بلغت النصف منها أستنبط منها ما أودعه الله في كتابه العزيز من الحكمة.

قال أبو الحسين بن حبيش: مات أبو العباس بن عطاء قبل أن يستكمل هذه الختمة، وعن أبي سعيد عبد الله بن محمد الرازي قال: سمعت أبا العباس بن عطاء يقول: من ألزم نفسه أدب السنة عمر الله قلبه بنور المعرفة، ولا مقام أشرف من متابعة الحبيب – صلى الله عليه وسلم- في أوامره وأفعاله وأخلاقه والتأدب بأدبه. وفي كتاب " مرآة الزمان " كان لابن عطاء الصديق يرافقه في خلواته فمرض فكتب إليه ابن عطاء:

يا ليث حماه كانت لي مضاعفة ... يوما بشهر وأن الله عفاه

فيصبح السم من[قرنه إلى قدمه][2] ... ويجعل الله منه البرء عقباه/66/

قد قلت للسقم كم ذا قد [لهجت به ... فقال لي ما تهواه][3] أهواه[4]

وفي كتاب البهجة قال أبو العباس بن عطاء: جرى بيني وبين الفقراء كلام تأدى[5] منه قلبي، فصرفتهم عني، فإنحازوا إلى موضع آخر، ثم جاءني من الغد بعض أهل الستر والعفاف، فقال لي: يا أبا العباس رأيت البارحة رسول الله – صلى

---

[1] ينظر عند ابن خلكان- المصدر السابق- ج: 1- ص: 168- 169. التادلي- التشوف- ص: (118-122). إبن بشكوال- المصدر السابق- ج: 1- ص: 81. التنبكتي- النيل- ص : 68. التنبكتي- كفاية المحتاج- ص: 29. المقري- المصدر السابق- ج: 3 – ص: 229. إبن عماد- المصدر السابق- ج: 4- ص: 122. ابن مخلوف- المصدر السابق- ص: 133- 134.

[2] الزيادة من د.

[3] الزيادة من د.

[4] من البحر الرجز.

[5] في ك ود تأدا، والصحيح ما أثبتناه.

الله عليه وسلم- وهو مقبل عليك قائل لك: إياك إياك النار، قال بن عطاء: فأخذت المصحف وقصدت تأويل الرؤيا منه في أول سطر تقع عيني عليه، ففتحته فقرأت قوله تعالى: ﴿وَاصْبِر نَفْسَكَ مَعَ الذّينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالغَدَاوَةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾[1]. وكان ابن عطاء إذا تذكر هذه الرؤيا بكى وأبكى الحاضرين.

وعن محمد بن علي بن حبيش قال: سئل أبو العباس بن عطاء وأنا حاضر عن أقرب شيء إلى مقت الله تعالى فقال: رؤية النفس وأفعالها وأشد من ذالك مطالعة الأعواض على أفعالها. وسمعته يقول: علامات الولي أربعة صيانة سره فيما بين الله تعالى وبينه، [وحفظ جوارحه فيما بين أمر الله تعالى وبينه][2]، واحتمال الأذى فيما بين خلق الله تعالى وبينه، ومداراته للخلق على تفاوت عقولهم.

وحدث القاضي عياض في كتابه المعجم قال: " كان أبو العباس ابن عطاء يقول لا يصلح الإيمان إلا بمراعاة الأدب، ولا تصلح المعرفة ولا التوحيد، إلا بمراعاة الأدب، ومن ترك الأدب فقد ترك المروءة، ومن ترك المروءة فقد ترك الدين والمروءة مروءتان، مروءة الدين ومروءة النفس، فمروءة الدين إصلاح المرء فيما بينه وبين الله، ومروءة النفس حسن الرعاية والأخلاق فيما بينه وبين الله. توفي رحمه الله سنة تسع وثلاثمائة"[3].

---

[1] سورة الكهف – آية 28.

[2] ناقصة في د.

[3] بحثنا عن هذا المصدر ولم نتوصل إليه.

أحمد بن نصر سيدي الداودي أبو جعفر[1]:

كان رحمه الله علامة العلماء، من أكابر الأولياء، مشهور بإجابة الدعاء، قال القاضي عياض: " كان أبو جعفر من أئمة المالكية بالمغرب، وألف كتابه في شرح/**67**/ الموطأ بطرابلس[2]، ثم إنتقل إلى تلمسان وله [تأليف][3]، [في شرح بخاري وغيره][4] وكان فقيها فاضلا إماما مقدما، وتوفي [بتلمسان سنة إثنين][5] وأربعمائة وقبره عند باب العقبة. قلت: قبره الآن من المزارات المشهورة، وإستجابة الدعاء عنده معروفة مذكورة "[6] .

ومن حديثه أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية ﴿وَإِذ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِم ذُرِّيَتَهُم وَأَشْهَدَهُم عَلَى أَنْفُسِهِم أَلَسْتُ بِرَبِّكُم قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَن هَذَا غَافِلِينَ﴾[7] . فقال عمر بن الخطاب سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم– يسأل عنها فقال– صلى الله عليه وسلم–: (إن الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه، فإستخرج منه ذرية فقال هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فإستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون. فقال رجل : يا رسول الله ففيم العمل ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن الله إذا خلق العبد للجنة إستعمله بعمل بأهل الجنة، حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة، وإذا خلق العبد للنار

---

[1] ينظر عند ابن مريم– المصدر السابق– ص: 285. عياض– المصدر السابق– ج: 2– ص: 228. الحفناوي– المصدر السابق– القسم الأول– ص: 101. إبن فرحون– الديباج– ص: 94. ابن مخلوف– المصدر السابق– ج: 2 – ص: 110. الزركلي– المصدر السابق– ج: 1– ص: 240.

[2] بالأعجمية الإغريقية ثلاث مدن، طر معناها ثلاث، وبليطة يعني مدينة، ويذكر أن شغاروس قصر هو الذي بناها، وهي على شاطىء البحر، ومبنى جامعها أحسن مبنى، ولها أسواق حافلة، وحمامات كثيرة، فتحها عمر بن العاص سنة 22ه/642م. البكري– المصدر السابق– ص: 6–7. إبن عبد الحكم، عبد الرحمن، ابن عبد الله – فتوح إفريقية والأندلس– تحقيق: عبد الله أنيس الطباع – مكتبة المدرسة ودار الكتب اللبنانية للطباعة – بيروت– لبنان– 1964م – ص: 30.

[3] الزيادة من د.

[4] الزيادة من د.

[5] الزيادة من د.

[6] عياض– المصدر السابق– ص: 228.

[7] سورة الأعراف – آية 172.

إستعمـــله بعمل أهل النار حتى يمـــوت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار)[1].

وحدث بسنده عن عطاء بن يسار أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم- قال: (إذا مرض العبد بعث الله تبارك وتعالى إليه ملكين فقال: أنظرا ماذا يقول لعواده، فإن هو جاءوه حمد الله، وأثنى عليه رفعا ذلك إلى الله عز وجل وهو أعلم فيقول: لعبد على إن توفيته أن أدخله الجنة وأن أنا شفيته أن أبدل له لحما خيرا من لحمه، ودما خيرا من دمه وأن أكفر عنه سيئاته)[2].

ومن حديثه عن مشيخته عن الأمام مالك أنه قال: بلغني أن نبـــي الله سيدنـــا عيسى عليه السلام قال: " لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله، فتيبس قلوبكم، وأن القلب القاسي بعيد من النار، ولكن لا تعلموه ولا تنظروا في عيوب الناس كأنكم أربابهم وانظروا في عيوبكم كأنكم عبيد، فإنما الناس مبتلا ومعافا فأرحموا أهل البلاء وأحمدوا الله على العافية ".

وحكى في كتاب الأموال عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب **/68/** أنه [لقي في خلافته إمرأة][3] تحمل قربة ماء فقال: أما كان لك من يكفيك هذا؟ قالت: لو كان ما حملتها، فتناول القربة من يدها وحملها على كاهله، ثم قال لها: هل أتيت الخليفة عمر وعرفته بحالك فقالت بلغني أنه فظ غليظ، فقال لها ولعل فظاظته وغلظته على الظالم المعتدي[4]، فقالت: لا أدري، فلما قربت من دارها قالت له: هذه داري وجزاك الله من رجل خير، فناولها القربة وقال لها: لا عليك أن تأتي عمر فبعد ذلك أتت موضعه فسألت عنه فقيل لها: هو ذاك فلما قربت منه وجدته في أمره

---

[1] هذا الحديث خرجت له مصادر حديثة منها، مخرج في مالك بن أنس- المصدر السابق- ج: 2- كتاب القدر – ص:898-899- حديث رقم: 2. أبو داوود، سليمان بن الأشعث، السجتاني- سنن أبي داوود- دار ابن حزم- بيروت – لبنان- الطبعة الأولى- 1419هـ/1988م- كتاب السنة- باب في القدر- ص: 713-714 – حديث رقم: 4703. أما تحقيقه فهو ضعيف، الألباني- ضعيف الجامع- ص: 231- رقم الحديث: 1602.

[2] رواه مالك بن أنس- المصدر السابق- ج: 2- كتاب العين- باب ما جاء في أجر المريض- ص: 940-941 – حديث رقم: 5. هذا الحديث أخرجه أبو الحسين الأنبوسي في " جزء فيه فوائد عوالم حسان منتقاة غرائب " (2/3). نقلا عن الشيخ الألباني- سلسلة الأحاديث الصحيحة- مج: 1- ص: 490. أما تحقيقه فهو صحيح الألباني- سلسلة الأحاديث الصحيحة- مج: 1- القسم الأول- ص: 551- 552- رقم الحديث: 272.

[3] الزيادة من د.

[4] في ك المتعدي.

ونهيه، وعلمت أنه هو صاحب قربتها، وخجلت من قولها أنه فظ غليظ، وولت راجعة على أثرها فقال: لخادمه: يرفأ[1] دتيك المرأة برفق فردها فأعطاها خادما رضي الله عنه وأرضاه[2].

[1] في ك يا يرفار، والصحيح ما في كتاب الأموال – ص: 96.
[2] الداودي، أحمد ابن نصر أبو جعفر– كتاب الأموال– تحقيق: رضا محمد سالم شحاده– مركز إحياء الثراث المغربي– الرباط– بدون تاريخ الطبع– ص: 95–96.

أحمد بن عبد الله الأصبهاني أبو نعيم الحافظ أحد أركان الإسلام[1] :

مؤلف كتاب حليه الأولياء وغيرها من الكتب التي وضع الله لها القبول في الأرض وحصل النفع بها لجميع الخلق، كان رحمه الله إمام المحدثين، وعلامة أعلام أولياء الله الصالحين، معروفا بإجابة الدعاء معدودا في الأكبار الأولياء، وحسنات تواليفه التي أثمرت له الحسنى والزيادة وأقبل عليها كافة الخلق، لما جمعته من الإفادة والإجادة من أصدق الدلائل على عظيم ولايته، وأوضح البراهين بجليل كرامته، و كثيرا ما إقتبست من أنوار تواليفه وإستمليت هنا من أوضاعه وتصانيفه شكر الله له صالح أعماله، وتقبل منه واضح إحتفاله.

ومن حديثه عن الأعمش عن مصعب بن سعد عن سعد قال رسول الله – صلى عليه وسلم–: (فضل العلم خيرا من فضل العبادة وخير دينك الورع)[2] خرجه له أبو القاسم بن ورد عن أبي علي الصدفي، ومن رواياته في مسانيد شعبة عن أنس بن مالك أن معاذ بن جبل كان رديف رسول الله – صلى الله عليه وسلم– فقال: (بشر الناس أنه من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة)[3] ، قال إني أخشى أن يتكلوا[4] عليها قال: فلا، ومنها عن عبد الله بن عمر بن العاص قال رسول الله – صلى الله عليه و سلم– قال: (تجتمعون يوم القيامة/**69**/ فيقال أين فقراء هذه الأمة

---

[1] ينظر عند ابن خلكان– المصدر السابق– ج: 1– ص: 91– 92. الصفدي– المصدر السابق– ج: 7– ص: (81– 84). الذهبي– تذكرة – ج: 3– ص: (1092–1097). السبكي– المصدر السابق– ج: 4– ص: (18– 142). التادلي– المعزى– ص: 333. ابن قنفد– المصدر السابق– ص: 239. البغدادي– المصدر السابق– مج: 5– ص: 74–75. ابن مخلوف– المصدر السابق– ج: 2– ص: 245. النبهاني– المصدر السابق – ج: 1– ص: 486– 487. كحالة – المصدر السابق– ص: 176.
H.Argibb, Jh Kramers, et Levi- Provençal- J. Schacht- encyclopédie de l'islam- éditions G.P- Maisonneuve- Larose S.A- Paris, 1991, tome 1, A.B, page : 1991.
الزركلي– المصدر السابق – ج: 1– ص: 157.

[2] بلفظ " فضل العلم خير من فضل العبادة ... " رواه الحاكم، محمد بن عبد الله، أبو عبد الله، النيسابوري – المستدرك على الصحيحين– كتاب العلم– فضل العلم أحب من فضل العبادة وخير الدين الورع – ج: 1– ص: 33. أما تحقيقه فقد سكت عنه الحاكم، مما يشعر أنه صحيح – المصدر السابق– ص: 33. نفس الحكم خرج به الذهبي– التلخيص– دار المعرفة– بيروت لبنان– بدون تاريخ– ج: 1 – ص: 92.

[3] رواه البخاري– صحيح البخاري– كتاب الرقائق– باب المكثرون هم المغلون– ص: 1176– حديث رقم: 6443.

[4] في د يتكلموا.

ومساكينها؟ فيقومون، فيقال لهم ماذا عملتم؟ ربنا ابتليتنا فصبرنا ووليت الأمور والسلطان غيرنا فيقول الله صدقتم فيدخلون الجنة بزمان، وتبقى شدة الحساب على ذوي الأموال و[السلطان][1] قالوا: يا رسول الله فأين المؤمنين يومئذ؟ قال: يوضع لهم كراسي من نور مضلل عليهم الغمام، ويكون ذالك اليوم أقصر على المسلمين من ساعة من نهار)[2] .

وخرج أبو نعيم للعالم الزاهد مسعد بن كدام عن أبي سعيد، قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم– يقول: (إذا قبض الله روح عبده المؤمن صعد ملكاه إلى السماء فقال: يا رب وكلتنا بعبدك نكتب عمله وقد قبضته، فأذن لنا نسكن الأرض فيقول: أرضي مملوءة من خلقي يسبحونني ولكن؟ قوما على قبر عبدي فسبحاني وهللاني وكبراني، إلى يوم القيامة، وأكتبا ثواب ذلك لعبدي)[3] .

قال المؤلف: تأمل عميم فضل الله رحمته لعبده المؤمن جعلنا الله من المؤمنين وأماتنا على الإسلام والإيمان بفضل الله ورحمته، وحدث بسنده عن مسعد عن عطية عن ابن عمر قال، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم– (إذا نزع أحدكم ثوبه أو تعرا فليقل بسم الله فإنه ستر بينه وبين الشيطان)[4] .

وخرج الحافظ أبو نعيم من حديث الحسن بن علي[– رضي الله عنهما– عن أبي الجوزاء قال : قلت للحسن بن علي][5] : مثل ما كنت في عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم– وما عقلت عنه، قال: وعقلت[6] عنه أني سمعته يقول: (دع ما يربيك إلى ما لا يربيك، فإن الشر ريبة والخير طمأنينة، وعقلت عنه الصلوات الخمس وكلمات يقولهن عند إنقضائهن، اللهم إهدني فيمن هديت، وعافني فيمن وعافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت إنك

---

[1] الزيادة من د.

[2] رواه أبو نعيم– المصدر السابق– مج: 7– ص: 206.

[3] رواه ابن عدي، عبد الله بن محمد، أبو محمد– الكامل في ضعفاء الرجال– تحقيق: مختار غزاوي– دار الفكر – بيروت– الطبعة الثالثة– 1409هـ/1988م– ج: 5– ص: 253. أما تحقيقه فهو غريب، ابن حجر– تهذيب– ج: 7– ص: 253.

[4] رواه أبو نعيم– المصدر السابق– مج: 7– ص: 255.

[5] ناقصة في د.

[6] علقت في ك.

تقضي ولا يقضى عليك، إنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت)[1].

ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، وتوفي سنة ثلاثين وأربعمائة – رحمه الله–.

[1] أبو نعيم – المصدر السابق – مج: 8– ص: 264.

أحمد بن أبي الربيع المالقي أبو العباس المالقي[1]:

كان رحمه الله بالأندلس من مشاهير صلحائها، وأعلام زهادها وأوليائها/**70**/ [وفضلاء محدثيها وفقهـــائها][2] مثابرا على قراءة القرآن، معروفا بالفضل والديـــن والأخلاق والحســـان، ولمـــا ولى مالقة[3] باديس إبن حبوس[4] واحد ملـــوك صنهاجة [وساءت][5] في الرعية سيرته، كان هذا الولي ممن تعدى[6] عليه قواده وولاته، فكتب للسلطان أبي مناد باديس بن حبوس كتابا منه، أما بعد: وفقك الله لما يرضيه منك عملا ويرضيك، منه جزاءا، فإن الدنيا حرث والناس زارعون، وكل في معاده يأكل من حصاده، وذو الجاه يسأل في الآخرة عن جاهه، كما يسأل ذو المال عن ماله وقد أحوجت الأيام إلى جاهك، وأغنت القناعة عن مالك، فإتخذ عندي اليوم يدا، تجدها في الآخرة غدا. قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم: (إتخذوا أيادي عند الفقراء قبل أن تأتي دولتهم)[7] فالحظ حاجتي بعين فطنتك، ولا تلحظها بعين سنتك، وأعلم أن الله تعالى لو خاضته المقادير كلها، يلحظه كل يوم وليلة ثلاث مائة وستين لحظة يحي بكل لحظة ويميت ويعز، ويذل، ويرفع، ويضع، ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وأعلم أنك تلحظ بما تلحظ به والسلام. انتهى ولا أذكر وفاته وكانت ولاية باديس لمالقة سنة ستين وأربع مائة.

---

[1] ينظر عند السيوطي – بغية الوعاة – ج: 1– ص: 307.

[2] الزيادة من د.

[3] تقابل مدينة باديس من بر الأندلس، وهي مع خط الإقليم الخامس، وعرض البحر بينهما درجة، وهي في غاية الحصانة والمنعة، وهي مدينة عامرة آهلة حسنة، كثيرة الديار بها حمامات وأسواق جامعة كثيرة، مزقت في آخر أيام الملتمين وصدر دولة " الموحدين ". إبن سعيد– المصدر السابق– ص: 140. الحميري– المصدر السابق– ص: 178.

[4] بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي: تولى مملكة إفريقيا، نيابة عن الحاكم العبيدي المدعي للخلافة بمصر، كان ملكا كبيرا شديد البأس، حكم من سنة (386هـ/996م– 406هـ/1015م). إبن خلكان– المصدر السابق– ج: 1– ص: 256–266. عن أخبار هذا الملك بالتفصيل، أنظر ابن خلدون– العبر– مج: 6– ص: 322– 323. ابن العذاري– المصدر السابق– ج: 1– ص: (247– 266).

[5] الزيادة من د.

[6] في ك و د تعدا و الصحيح ما أثبتناه.

[7] رواه أبو نعيم– المصدر السابق– مج: 4– ص: 71. أما تحقيقه فهو موضوع – السخاوي– المصدر السابق– ص: 54.

أحمد بن محمد بن عطاء الله الصنهاجي[1]:

الأندلسي أبو العباس بن العريف أحد رجال الأولياء الأقراء، المتسمين من سمتي العلم والعمل، بأعلى درجات الزهاد، كان – رحمه الله– من الفقهاء والمحدثين، والقراء المجيدين، ثم غلب عليه الزهد والورع، والإيثار مع الإقلال فأصبح علما من أعلام المتصوفة، وأحد رجال الكمال قال أبو القاسم في الصلة "كان أو العباس ابن العريف متناهيا في الفضل والدين، منقطعا إلى الخير، وكان العباد وأهل الزهد في الدنيا يقصدونه، ويألفونه فيحمدون صحبته، وكان بينه وبين القاضي عياض مخاطبات معلومة، ومكاتبات مستحسنة مرسومة، وله الكرامات المستطابة، والدعوات المستجابة " [2].

حدثوا عنه أنه كان ببلده ألمريه على أحواله الحسنة المرضية في الجد والإجتهاد، وملازمة الأذكار، والأوراد، وصحبة العباد والزهاد، فغار منه قاضي ألمرية المعروف بابن الأسود[3] /**71**/ وحمله مقت الحسد على أن كتب للخليفة بمراكش أميرالمؤمنين [علي بن يوسف بن تاشفين][4]، وكان أمر الأندلس إليه وخوفه في الكتب من حال أبي العباس ابن العريف، فكتب الخليفة لعامله بألمرية أن أبعث إلينا بن العريف فأمر به العامل، [فأدخل في القارب][5] ليخرج به في البحر إلى سبتة[6] ، فأشار القاضي إلى العامل بتكبيله، فبعث إليه من يقيده، فأدركه رسول العامل وهو في البحر لم يخرج بعد، فكبله وذهب راجعا في البحر إلى ألمرية فقال

---

[1] ينظر عند أبي نعيم– المصدر السابق– ج: 10– ص: 302– 303. إبن الجوزي– المصدر السابق– ج: 2– ص: 268. الذهبي– العبر– ج: 1– ص: 282. الصفدي– المصدر السابق– ج: 8– ص: 24. التنبكتي– المصدر السابق– ج: 1– ص: 68. إبن الملقن– المصدر السابق– ص: 59–60. المناوي– المصدر السابق– ج: 2– ص: (34– 36). إبن عماد– المصدر السابق– ج: 2– ص: 257– 258.

[2] إبن بشكوال– المصدر السابق– ص: 81.

[3] إبن عبد البر، بن المهدي، كان رجلا صالحا متقشفا صليبا في حكمه، مهيبا، تولى القضاء اثنين وثلاثين عاما وكان قاضيا بقرطبة، عاش تسع وتسعين عاما. النبهاني– المصدر السابق– ص: (56– 59).

[4] الزيادة من د.

[5] الزيادة من د.

[6] هي على ضفة البحر الرومي، مدينة كبيرة مسورة بسور ضخم، بناه عبد الرحمن الناصر لدين الله وهي "عبارة عن سبعة أجبل صفا متصلة ببعضها البعض". البكري– المصدر السابق– ص: (102–104). الإدريسي– المصدر السابق– ص: 181.

ابن العريف: روعنا روعه الله تعالى فلقيه العدو في البحر، فحمله أسيرا، فلما وصل ابن العريف إلى سبتة وافاه رسول السلطان بالأمان و إرتحل قيوده وسرح، فقال ابن العريف: كنت أريد أن لا يعرفني السلطان وقد عرفني الآن، فلا بد من رؤيته فوصل إلى مراكش وأقبل عليه، السلطان؟، وعظمه وأبان حقه، وأكرمه وسأله عن حوائجه، فقال له: ليس لي حاجة إلا أن أخلا أذهب حيث شئت. فأذن له في ذالك.

فلما خاب سعي القاضي إبن الأسود فيما أراده من فساد إبن العريف، تحيل عليه في أن جعل الله له سما في طعام البادنجان، وأكله إبن العريف فمات – رحمه الله– بمراكش سنة ست وثلاثين وخمس مائة، وإحتفل الناس لحضور جنازته. وندم السلطان على مكان منه إليه، وصار يبحث عن أصل ذالك وسببه، وأنهى للسلطان خبر ابن الأسود مع ابن العريف، وأنه إحتال عليه في تغريبه عن وطنه وقتله، فقال السلطان: والله لأفعلن به ما فعل بذالك الولي، ولأغربنه ولأقتلنه بالسم. فبعثه مقيدا إلى السوس الأقصى، وأن يسقى[1] هنالك سما، فكان ما أمر به السلطان ومات القاضي مغربا عن وطنه مسموما.

ومن فوائد شيخنا أبي عبد الله التنسي، فيما حدثني به ونقلته من خطه قال: جاء بعض أصحاب الشيخ ابن العريف إليه، وسأله أن يجمع له كلمات يدعوا بها في مهمات أمره؛ فكتب له هذا الدعاء المجرب الإجابة: اللهم إني أسئلك بأنك أنت الله في حقائق محض التحصيل، وبأنك أنت الله بكل وجه من وجوه الجملة والتفصيل وبأنك أنت الله على كل حال من أحوال/**72**/ الجد والتعويل، وبأنك أنت الله المقدس بخصائص الأحدية والصمدية، عن الضد والنقيض والنظير، وبأنك أنت الله الذي ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، أن تصلي على محمد، وعلى آل محمد وعلى كل من يحب محمد، وأن تقضي حوائجي كلها، قضاء يكون لي فيه خير الدنيا موصولا بخير الآخرة، محفوفا بالنهايات، محفوظا من الآفات، ملحوظا بخصائص العنايات، يا عوادا بالخيرات، يا من هو في حق الحقيقة أهل التقوى، وأهل الحسنات، اللهم إنها مسألة خادم لعز ربوبيتك بإظهار مسألتك، فإنك علام الغيوب

[1] في ك و د يسقا، والصحيح ما أثبتناه.

ومشاهد حقائق المطالب قبل مباشرتها للقلوب، فتممها بخير الخاتمة يا خير مطلوب وصلى على سيدنا محمد حبيب القلوب. وأنشد ابن الزيات لابن العريف قوله:

شدو الركاب وقد نالوا المنى بمني وكلهم بأليم الشوق قد باحا

راحت ركائبهم تندى[1] روائحها طيبا بما طاب ذاك الوفد أشباحا

نسيم قبر [النبي][2] المصطفى لهم روح إذا اشمهوا[3] من ذكره فاحا

يا واصلين إلى المختار من مضر زرتم جسوما وزرنا نحن أروحا

إنا أقمنا على عذر وعن قدر ومن أقام على عذر كمن راحا[4]

---

[1] في ك ود تندا، والصحيح ما أثبتناه.
[2] ناقصة في د.
[3] اشمعوا في د.
[4] من البحر البسيط.

أحمد بن يوسف بن سليم المعافري أبو جعفر الغرناطي[1]:

كان – رحمه الله– عالما زاهدا ناسكا، متقللا من الدنيا، مباعدا لأهلها معدودا في جلة الأولياء المعروفين بإجابة الدعاء، حدثوا عنه أنه لم يتخذ قط لنفسه مسكنا يعرف به، ولا سكنى يأوي إليه، وإنما كان منفردا في مسجده المعروف به لتلاوة كتاب الله – عز وجل– ليلا ونهارا، يتلوه في كل الأوقات التي [لا][2] يصلي فيها الصلاة التي يؤم فيها أهل المسجد، ويتلوه في الأوقات [التي][3] يصلي فيها في المصحف. فكان له في كل يوم ختمة، وفي كل ليلة ختمة في الصلاة الليل، هذا حاله، إلى أن فارق الدنيا، مباعدا لأمر أبها، إنما مجانبا لمترد فيها طالبا للخمول، مثابرا على تعليم كتاب الله، معروفا من صالحي عباد الله، توفي– رحمه الله– سنة ثمان وستين وخمسمائة، وهو ابن سبعين، وقبره/**73**/ بباب ألبيرة من غرناطة مقصودا للتبرك به، معروفا [بتفريج الكرب][4] نفعنا الله تعالى ببركته.

---

[1] ينظر عند الجزري، محمد بن محمد، أبو الخير– غاية النهاية في طبقات القراء– دار الكتب العلمية– بيروت– لبنان– الطبعة الثالثة– 1406هـ/1982– ص: 151.   إبن الآبار– المصدر السابق– ج: 1 – ص: 79.

[2] الزيادة من د.

[3] الزيادة من د.

[4] الزيادة من د.

أحمد بن أبي الحسن الرفاعي[1]:

نسبة لجده [الفقيه الصالح][2] المشهور برفاعة، وهو من أغصان الشجرة العلية الطاهرة الزكية من ذرية جعفر الصادق – رضي الله عنهم–، كان هذا الولي أبو العباس إمام الأئمة في [وقته][3]، نفع الله به الخلق ووضع له القبول في الأرض والمهابة في قلوب مشايخ زمانه، وهو أحد من وصل وتحقق بالمقامات العرفانية وذكرت عنه درجة القطبانية[4]، تخرج بصحبته جماعة كثيرة من الأولياء، قالوا هو أحد من قهر أحواله وملك أسراره، فما تصدر لقراءة ولا جلس لوعظ، وكان الشافعي المذهب، وذكر عنه أنه قال: أموت بالسكوت، فكان لا يتكلم إلا قليلا، وكان يقيم سنة لا يأكل ولا يشرب.

وحدث صاحب " الروض" عن الشيخ المبارك أبي الحسن علي ابن أخت الشيخ أحمد الرفاعي قال: كنت يوما جالسا بباب خلوة الشيخ أبي العباس وليس فيها أحد غيره، فسمعت عنده حسا، فنظرت فإذا عنده رجل ما رأيته قبل فتحدثا طويلا ثم خرج الرجل من كوة في الحائط ومرّ في الهواء كالبرق الخاطف، فدخلت على خالي. وقلت له: من الرجل؟ فقال: أو رأيته؟، قلت: نعم، قال: هو الرجل الذي يحفظ الله به قطر البحر المحيط5، وهو أحد الأربعة الخواص، إلا أنه هجر منذ ثلاث ليال وهو لا يعلم، فقلت: يا سيدي وبأي سبب هجر؟ قال: أنه مقيم ببحيرة البحر المحيط فأمطرت جزيرته حتى سالت أوديتها، فخطر في نفسه لو كان هذا المطر في العمران، ثم إستغفر الله فهجر بسبب إعتراضه، فقلت له أو أعلمته؟ قال: لا تأكد منه

---

[1] ينظر عند ابن خلكان– المصدر السابق– ج: 1– ص: 171–172. الذهبي– العبر– ج: 2– ص: 138–139. إبن كثير– المصدر السابق– ج: 2– ص: 1934. إبن الأثير– المصدر السابق– ص: 120. إبن الملقن– المصدر السابق– ص: (93–97). التادلي– المصدر السابق– ص: 390. إبن عماد– المصدر السابق– ج: 4– ص: 259–260. النبهاني– المصدر السابق– ص: (490–493). الزركلي– المصدر السابق– ج: 1– ص: 174.

[2] الزيادة من د.

[3] الزيادة من د.

[4] في ك القطباتية.

[5] يمتد من اقصى المغرب حتى تخوم الشام. المقديسي – المصدر السابق – ص 14– 15.

فقلت له: لو أدنت لي لأعلمته، قال: أو تفعل؟، قال: نعم، قال: تزيق. فتزيقت، ثم سمعت صوته: ياعلي إرفع رأسك.

فرفعت رأسي من زيقي، وإذا أنا بجزيرة في البحر المحيط فيها ذلك الرجل فسلمت عليه وأخبرته فقال لي: ناشدتك الله إلا فعلت ما أقول لك. قلت: نعم. قال: ضع خرقتي في عنقي واسحبني على وجهي/**74**/ ونادى[1] على هذا جزاء من يعترض على الله سبحانه فوضعت الخرقة [في عنقه ثم هممت][2] بسحبه، وإذا هاتف يقول لي: يا علي دعه فقد ضجت ملائكة السماء [باكية][3] عليه وسائلة فيه، وقد رضي عنه فأغمي علي ساعة وسري عني، وإذا أنا بين يدي الشيخ أبي العباس، فوالله ما أدري كيف ذهبت؟ ولا كيف جئت؟ وعن الشيخ أبي عبد الله محمد بن الشيخ أبي العباس أحمد الخضر الحسيني قال: سمعت والدي يقول: كنت يوما جالسا بين يدي الشيخ عبد القادر؛ فخطر في نفسي زيارة الشيخ أحمد الرفاعي، فقال لي الشيخ: أتحب زيارة الشيخ أحمد؟ قلت: نعم. فأطرق مليا ثم قال: يا خضر أما ترى[4] الشيخ أحمد؟ فإذا إلى جانبه شيخ مهاب فقمت إليه وسلمت عليه فقال لي: يا خضر ومن يرى[5] مثل الشيخ عبد القادر سيّد الأولياء؟. هل يتمنا رؤية مثلي؟ وهل أنا إلا من رعيته ثم غاب عني.

وكان الشيخ الرفاعي يقول في الشيخ عبد القادر: ذاك رجل بحر الشريعة عن يمينه، وبحر الحقيقة عن يساره، ومن أيهما شاء إغترف، وكان يقول لمن يودعه مسافرا إلى بغداد: إذا دخلتم بغداد فلا تقدموا على زيارة الشيخ عبد القادر شيئا إن كان حيا، ولا على زيارة قبره إن كان ميتا، وقالوا وجلس يوما مع أصحابه على الشط وقال: نشتهي أن نأكل اليوم سمكا مشويا، فلم يتم كلامه حتى إمتلأ الشط بأنواع السمك، وقال أن هذه الأسماك تسألني[6] بحق الله أن أكل منها، فشوى منها

---

[1] في ك و د نادا، والصحيح ما أثبتناه.
[2] الزيادة من د.
[3] الزيادة من د.
[4] في ك و د ترا، والصحيح ما أثبتناه.
[5] في ك و د يرا، والصحيح ما أثبتناه.
[6] في ك و د تسئلني، والصحيح ما أثبتناه.

الفقراء، وقدموه له في طواجين، فأكلوا وبقي من هذه رأسها ومن هذه ذنبها، ومن هذه بعضها، فقال له رجل ما صفة الرجل المتمكن، فقال أن يعطى التصريف العام في جميع الخلق، قال: وعلامته؟ قال: أن يقول لبقايا هذه الأسماك، وأشار إليها قومي بإذن الله، فلم يتم كلامه حتى وتبت في البحر أسماكا صحيحة.

وحدث صاحب " حرز الأتقياء " عن بعض أصحاب الشيخ أبي مدين قال: إجتمعنا على طعام عند الشيخ أبي مدين[1]، فإذا بإناء زبد قد رفع من بيننا ولا علمنا من رفعه/**75**/ فسألنا الشيخ فقال: هذا أخي أحمد الرفاعي [أراد أن يشاركنا الطعام][2]. فمد يده من العراق فأخذها.

وكانت وفاة الرفاعي سنة [ثمان وسبعين][3] وخمس مائة وقد ناهز الثمانين – رحمه الله– ونفعنا به وبأمثاله.

[1] شعيب الأندلسي: رأس كبير من رؤوس الصوفية في وقته، من ذوي التمكين والتصريف وخرق العوائد، ممن جمع بين علم الحقيقة والشريعة، أصله من الأندلس من ناحية إشبيلية، توفي سنة 1086هـ بتلمسان. المناوي– المصدر السابق– ج: 1– القسم الثاني– ص: 22. له ترجمة مطولة في المصادر التالية: إبن صعد– النجم الثاقب– ج: 3– ص: (114–128). إبن الزيات– المصدر السابق– ص: (319–322). إبن قنفذ– أنس الفقير– ص: (11–45). إبن مريم– المصدر السابق– ص: (108–114). التنبكتي– نيل– ص: (193–198). النجم الثاقب– ج: 3– ص: (114–128). ص: (319–322). إبن عماد– المصدر السابق– ص: 303. الزركلي– المصدر السابق– ج: 3– ص: 116.

[2] الزيادة من د.

[3] الزيادة من د.

أحمد بن عبد العزيز السلالجي المراكشي أبو العباس الخراز[1]:

أحد أولياء الله تعالى المعروفين بصدق المجاهدة، كان أخذ نفسه بالسياحة في الأرض، على وجه التجرد وسبيل التوكل، فإذا خرج من مراكش[2] للسياحة، خرج معه مشيخة الصوفية، وغيرهم من أرباب الدنيا، وطرحوا له الثياب والنفقة فيأخذ ذلك ويفرقه لوقته على من وجد من الفقراء، ويذهب بمرفعته التي كانت عليه بلا زاد ولا نفقة.

قال التادلي: "وحدثني من أثق به، أنه كان يبدل في سياحته عن طريق العمران، ولا زاد معه، ويتجنب المواضع التي بها أصحابه ومعارفه، حتى لا يروه فييسر الله له رزقه من حيث لا يدري، وأنه كان ينزل حيث شاء من الأرض، فلا يعدو عليه سبع ولا غيره، وكانت عادته الجد والتشمير في العبادة، ولا يأكل إلا من عمل يده، وكان يطعم إخوانه والواردين. عليه من كد يمينه، ويخدمهم في سائر أحوالهم بعرق جبينه، وكان له مع الله عقد أبرمه، وعهد إلتزمه، في أن لا يبيت عنده شيء، من متاع هذه الفانية، كي لا تركن إلى الصفات المذمومة النفس الباغية"[2].

حدث التادلي: "عن يوسف بن محمد الخزرجي قال: بات ليلة عند أبي العباس الخراز ربع درهم؛ فضاقت نفسه منه، فخرج ينظر لمن يدفعه، فما وجد فقيرا يتصدق به عليه؛ فدخل المسجد وجعله في كوه حائط، ورجع إلى منزله حتى لا يبيت ومعه شيء مما يشغل سره "[3]. ثم توجه إلى مكة فمات ببجاية[4] سنة ست وستمائة والله أعلم.

---

[1] ينظر عند التادلي- التشوف- ص: 377.

2 من أعظم مدن المغرب، بينها وبين البحر عشرة أيام. البغدادي، عبد المومن، بن عبد الحق- مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع- تحقيق: علي محمد البجاوي- دار الجيل- بيروت- لبنان- 1412هـ/1992م- المجلد الثالث- ص: 1251.

[2] إبن الزيات- التشوف- ص: 377.

[3] إبن الزيات- المصدر نفسه- ص: 378.

[4] مدينة كبرى بالمغرب الأوسط، تشرف على البحر الرومي، الذي يحيط بها على ثلاث وجوه، شرقا، وغربا وجنوبا، ومن جهة القبلة الجبال العالية، محدثة بناها الملك الصنهاجي الناصر بن علناس سنة 457هـ/1065م =

أحمد بن جعفر الخزرجي الولي الشهير سيدي أبو العباس السبتي[1]:

شيخ المشايخ بالبلاد المغربية، وعلامة وقته الذي سلمت إليه القطبانية، قال ابن الخطيب: " كان هذا الولي مقصودا في الحياة مستغاثا به في الأزمات/**76**/ وحاله من أعظم الآيات الخارقة لحجاب العادات[2]، ومبنا أمره ومركز سيره على إنفعال [العالم][3] عن الجود [وكونه][4] علة في التأثير الوجود، له في ذلك أخبار ذائعة وأمثال [شاردة][5] للقلوب باهرة، قال: وتوفي هذا الولي فظهر هذا الأثر على تربه وتشبثت هذه الكلمة بلحده، وإنسحبت على مكانه عادة حياته، ووقع الإجماع على تسليم هذه الدعوى، وتخطى الناس مباشرة قبره بالصدقة، إلى بعثها له من أماكنهم على بعد المدى[5]، وإنقطاع المكان الأقصى[6]، يحملونها أجنحة نياتهم، فتهوى إليه[7] بمقاصدهم من كل فج عميق، فيجدون الثمرة المعروفة، ويبصرون الكرامة المشهورة "[8]. قل ما تلغي إلا من شهد له شاهد من أهله بل من نفسه.

قال ابن الزيات: " كان هذا الولي قد أعطى بسطة في اللسان، وقدرة على الكلام، لا يناظره أحد إلا أقحمه، ولا يسأله إلا أجابه، كان القرآن ومواضع الحجج على طرف لسانه عتيدة حاضرة، يأخذ بمجامع القلوب، ويسحر العامة والخاصة

= بينها وبين قلعة بني حماد مسيرة أربعة أيام. الحميري- المصدر السابق- ص: 80-81.

[1] ينظر في مخطوط مناقب أبي العباس أحمد بن جعفر السبتي، بدون إسم المؤلف، ولا تاريخ النسخ، تحت رقم:1713- المكتبة الوطنية- الجزائر. التادلي- المصدر السابق- ص: (455- 468). إبن الخطيب- نفاضة الجراب في غلالة الاغتراب- دار النشر المغربية- الدار البيضاء- بدون تاريخ الطبع- ص: 305. نفح الطيب- ج: 10- ص: 125. إبن قنفد- المصدر السابق- ص: 8. الوفيات- ص: 302. التنبكتي- المصدر السابق- ص: 69-70. إبن فرحون- المصدر السابق- ص: 30. إبن مخلوف- المصدر السابق- ج: 1- ص: 184. النبهاني- المصدر السابق- ص: 503. الزركلي- المصدر السابق- ج: 1- ص: 107.

[2] في ك العاداة.

[3] الزيادة من د.

[4] الزيادة من د.

[5] الزيادة من د.

[5] في ك مدا.

[6] الأقصا في ك و د، والصحيح ما أثبتناه.

[7] إليهم في د.

[8] لم نعثر على هذا النص في مصادر ابن الخطيب المطبوعة: كالإحاطة، أعمال الأعلام، اللمحة البدرية، نفاضة الجراب في الجزء المنشور، وعليه فإننا لانستبعد أن يكون في هذا الأخير، ولكن في الأجزاء التي هي في حكم المفقود، والنص أورده المقري باللفظ في النفح، الجزء العاشر، ص:122-123.

ببيانه، يأتيه من يأتيه للإنكار عليه، فما ينصرف عنه، إلا وقد سلم له وإنقاد لقوله قال: وشأنه كله من عجائب الزمان، وقد أثبتت من غرائبه ما ينوب عن الغيان"[1].

حدثني مشايخنا – رضي الله عنهم- أنهم سمعوا أبا العباس السبتي يقول: أنا [القطب][2]، وحدثني أبو الحسين علي بن أحمد الصنهاجي وكان من خواص خدام أبي العباس قال: خرجت مرة من مراكش مع أبي العباس للصهريج الكائن بغابة الرمان وكان اليوم يوم عرفة، فجلسنا هناك وصلينا، ثم قال لي: إنما سمي هذا اليوم عرفة لأنه تنتشر فيه الرحمة لمن تعرف إليه بالطاعات، وقد فاتتنا عرفة، فتعال نمثل به هذا المكان، ونعمل كما يعملون، لعل الله أن يتغمدنا برحمته معهم، فجعل المكان الدائر بالعين الكعبة، ومحل عنصر الماء الحجر، وموضعا آخر مقام إبراهيم، فطاف بالعين أسبوعا وأنا أطوف بطوافه، وكبر على العنصر في كل طواف، وصلى في مثال المقام ركعتين تامتين، وأطال السجود في الثانية، ثم سلم وإستند إلى شجرة، ثم قال لي: يا علي أذكر كل حاجة لك من حوائج دنياك تقضى، فإن الله تعالى وعد في هذا اليوم من/77/ [تعرف][3] له أن يقضى حوائجه، فقلت له: ما أريد إلا التوفيق [والعمل بطاعة الله][4] ، فقال لي: ما خرجت معك من باب المدينة حتى وقعت، فسألته عن حال بدايته إلى نهايته وبم تنفعل له الأشياء، ويستجاب له الدعاء، ولم صار[يأمر][5] بالصدقة والإيثار من شكا إليه حالا، أو تعذر عليه ما طلب في هذه الدار، فقال لي: ما أمر الناس إلا بما ينتفعون به، وأني لما قرأت القرآن، وقعدت بين يدي الشيخ أبي عبد الله بن الفخار[6] تلميذ القاضي أبي الفضل عياض، ونظرت في كتب الأحكام وبلغت من السن حينئذ عشرين عاما، وجدت آية من كتاب الله تعالى ترد على قلبي

---

[1] إبن الزيات– المصدر السابق– ص: 451.
[2] الزيادة من د.
[3] الزيادة من د.
[4] الزيادة من د.
[5] الزيادة من د.
[6] محمد ابن إبراهيم، أبو عبد الله: من العلماء النظار والفقهاء الحفاظ، والمحدثين المسندين، عارف بالرجال يحفظ صحيح مسلم وسنن أبي داوود، سمع من أبي بكر العربي، وأبي عبد الله ابن الأحمر، والقاضي عياض وأجاز له أبو الطاهر السلفي، أخذ عنه أبو جعفر ابن عميرة، توفي بمراكش، سنة 590هـ/1227م. المقري– المصدر السابق– ج: 7– ص: (330– 332).

كثيرا وأرددها على لساني وهي قوله تعالى ﴿إِنَّ اللهَ يَأمُرُ بِالعَدلِ وَالإِحْسَانِ﴾[1] فتدبرت ذالك وقلت: أنا مطلوب بهذه الآية، فلم أزل أبحث عنها في كتب التفسير، إلى أن وقفت على أنها نزلت حين أخى النبي – صلى الله عليه وسلم- بين المهاجرين والأنصار، وأنهم سألوا النبي – صلى الله عليه وسلم- أن يعلمهم حكم المواخات فأمرهم بالمشاطرة، ففهمت أن العدل المأمور به في الآية هو المشاطرة، ثم نظرت قوله – صلى الله عليه وسلم- **(تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي ما أنا عليه وأصحابي)**[2] وأنه – صلى الله عيه وسلم- قال: ذلك صبيحة اليوم الذي أخا فيه بين المهاجريـــن والأنصـــار.

[وأن الأنصار][3] ذكروا له أنهم شاطروا المهاجرين، فقال: ذالك بأثر ذلك، فعلمت أن الذي هو عليه وأصحابه هو الشطر والإيثار، فعقدت مع الله تعالى أن لا يأتني شيء، إلا وأنا أشاطر فيه إخواني المؤمنين الفقراء، فعملت على هذا عشرين سنة، وأتمر لي هذا الحكم بالخاطر، فلا أحكم بخاطري على شيء إلا صدق، فلما أتت علي أربعون سنة صار لي عقل آخر، فرجعت إلى الآية أتدبرها، فوجدت العدل هو الشطر، والإحسان ما زاد عليه.

فنظرت الثالثة فعقدت مع الله تعالى عقدا ألا يأتيني قليل ولا كثير، إلا أمسكت منه الثلث، وصرفت الثلثين لوجه الله تعالى، فعملت على ذالك عشرين سنة، فأثمر لي ذالك الحكم في الخلق بالولاية والعزل، فأولي من شئت وأعزل من شئت، ثم بعد كمال العشرين سنة نظرت أول فرض/**78**/ فرضه الله على العباد في مقام الإحسان فوجدته شكر النعمة بدليل إخراج الفطرة على المولود قبل أن يفهم ويعقل.

ووجدت في الأصناف الذين تصرف عليهم الصدقات سبعة أصناف، إلا أنها الصدقات الواجبات، ووجدت سبعة أصناف آخرين أصرفها فيها للإحسان وللزيادة

---

[1] سورة النحل – آية 90.

[2] رواه الترمذي- سنن- كتاب الإيمان عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم- باب ما جاء في افتراق هذه الأمة – ص: 747- رقم الحديث: 2645. أما تحقيقه فهو ضعيف، الألباني- سلسلة الأحاديث الضعيفة- مج: 3- ص: 126- رقم الحديث: 1059.

[3] ناقصة في د.

على العدل، ذالك أن لنفسي حقا، وللزوجة حقا، وللرحم حقا، ولليتيم حقا، وللضيف حقا وذكر صنفين آخرين، فإنتقلت إلى هذه الدرجة وعقدت مع الله تعالى عقدا أن كل ما يأتني أمسك منه سبعين، حق النفس، وحق الزوجة، وأصرف خمسة الأسباع على مستحقيها. وأقمت على هذا أربعة عشر عاما، فأتمر لي ذالك الحكم في السماء فمتى قلت: يا رب، قال لي: لبيك، ثم قال لي: والله أعلم أن نهايتي بتمام عمري وهو أن تنقضي لي ستة أعوام تكملة العشرين عاما.

وقال أبو الحسن الصنهاجي: فأرخت ذالك اليوم، فلما مات وحضرت جنازته تذكرت التاريخ الذي كتبته، وحققت العدد فنقصت من ستة الأعوام المذكورة ثلاثة أيام خاصة، فيحتمل أن يكون ذلك من الشهور الناقصة والله أعلم.

قال أبو الحسن وقال الشيخ أبو العباس: كل ما يأتي أقسمه على سبعة أجزاء فأخذ منه السبع لنفسي، والسبع الثاني لمن وجبت علي نفقته، كالزوجة، ومن في حكمها من ولد غير بالغ، ومملوك ومملوكة، وعددهم إثنان وثلاثون شخصا، فنظرت بمن أستجلب أرزاقهم، فإذا هو الأيتام المهملون الذين لا والد لهم ولا أم، فأخذت منهم كعدد من تجري عليهم نفقتي، ممن تقدم ذكرهم وهم المقيمون، لا يفقد أحد منهم بنكاح، أو موت، إلا عوضت منه غيره.

ثم نظرت في ذوي الرحم، فإذا هم أربعة وثمانون شخصا، ولهم حقان حق الرحم، وحق المسكنة، فإستجلبت أرزاقهم بالذين في كتاب الله تعالى، وهم الفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف، وهم الذين لا تمكنهم المسألة، فوجدتهم في ذرية أمير المؤمنين علي بن يوسف بن تاشفين[1]، وبني العزيز الذين كانوا ملوكا وصاروا فقراء، فأخذت

[1] اللمتوني، حكم من سنة (500هـ/1106م-537هـ/1142م)، وسنه ثلاث وعشرون سنة، ملك من بجاية إلى آخر بلاد السوس، ومن سجلماسة إلى آخر بلاد السوس، وبلاد الأندلس شرقا وغربا، وملك ما لم يملك والده، وخطب له على ألف وثلاثمائة منبر. إبن القاضي- المصدر السابق- القسم الثاني- ص: 559-560.

من عددهم كعدد ذوي رحيمي/**79**/ ومتى فقد منهم أحد، وعضت منه غيره، فأنا أو أدي هذه الحقوق أربعة عشر عاما لا أنقص ذلك.

قال ابن الزيات: "حضرت غير مرة مجلس أبي العباس السبتي، وسمعت احتجاجه على منازعه ومقاصده، فكان يقول في [مجلسه][1] أصل الخير في الدنيا والآخرة الإحسان، وأصل الشر في الدنيا والآخرة البخل" [2] . قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِليُسْرَى، وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاستَغْنَى وكَذَّبَ بِالحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلعُسْرَى...﴾[3] .

قال أبو الحسن الصنهاجي: سمعت أبا العباس يقول: الأمر كله إنما يدور على العطاء والبذل، وما تصدقت قط بصدقة لوجه الله تعالى إلا بربع درهم، وإنما أتصدق بما أتصدق به لأجازى، وما تصدق لوجه الله تعالى خاصة، إلا محمد – صلى الله عليه وسلم– وغيره من الأنبياء الذين لم ينالوا في الدنيا إلا البلاء والإذاية ومن قال أن الله تعالى لا يجازي على الصدقات، فقد وافق اليهود في الكذب على الله تعالى، لأن اليهود قالت: ﴿يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ﴾[4] ، أي لا يجازي ويثيب، فرد الله تعالىعليهم بقوله: ﴿.. غُلَّت أَيْدِيهِم ولُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ... ﴾[5] أي يجازي على العطاء كيف شاء.

حدث ابن الزيات عن أبي عبد الله محمد بن خالص قال: "حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن نجا قال: حدثني أبو العباس السبتي وأنا بسوق الغزالين وهو يقول: من يعط درهمين يزل له وجع الرأس، [قال][6] : فناولته درهمين، وكان يعترينى وجع الرأس فوالله ما أصابني بعد ذلك وجع الرأس، ولله الحمد والمنة" [7] .

---

[1] الزيادة من د.
[2] إبن الزيات– المصدر السابق– ص: 470.
[3] سورة الليل – آية: (5–10).
[4] سورة المائدة – آية 64.
[5] سورة المائدة – آية 64.
[6] ناقصة في د.
[7] إبن الزيات– المصدر السابق– ص: 475.

قال ابن الزيات: وحدثني أبو يحي أبو بكر بن مساعد قال: جاء بعض السلاطين إلى أبي العباس وهو راكب، فقالوا له كلاما معناه إلى متى تحيرنا ولا تصرح لنا عن الطريق ؟ فقال له: هو الإحسان، فقال له: بين لنا؟ فقال له: كل ما أردت أن يفعله الله معك ففعله مع عبيده[1] .

ومن حديث أبي الحسن الصنهاجي قال: إحتبس المطر في بعض الأوقات فقال أبو الحسن البلنسي الجنان لأبي العباس: أما ترى[2] ما فيه الناس من قحط الأمطار وغلاء الأسعار!. فقال: إنما حبس المطر لبخل البشر، فلو تتصدقوا لمطروا، فقل لأصحابك من الفلاحين تصدقوا بمثل ما أنفقتم تمطروا/**80**/، فقال أبو الحسن أنه لن [يصدقني أحدا][3] ولكن مرني في خاصة نفسي بما أمرني به أفعله: قال له: تصدق بمثل ما أنفقنا، فقال له: إذا أمطرت، أخرجت من ثمن الغلة مثل [ما أنفقتا][4] ، فقل له أن الله تعالى لا يعامل بالدين، ولكن إستسلفها، فاحتال فيها وتصدق بها كما أمره، قال أبو الحسن: " فخرجت إلى البحيرة التي كنت أعتمرها والشمس شديدة الحر فيبست من المطر، ورأيت جميع ما غرسته قد أشرف على الهلاك، فأقمت ساعة، فرأيت سحابة أمطرت البحيرة إلى أن رويت وبلت ثيابي وظننت أن الدنيا كلها قد مطرت، فلما خرجت من البحيرة رأيت المطر لم يتجاوزها"[5] . وهذه قصة صحيحة مشهورة معروفة مذكورة.

قال ابن الزيات: "سمعت جماعة من فضلاء الوقت وأعلامه يحدثون بهذه الكرامة، قال: وقيل لأبي العباس السبتي: لم لا تتكلم على الصلاة كما تتكلم على الصدقة؟ فقال: إنما تكلمت على العلة العظمى التي عمت وهي البخل وأنا أودعكم السر الذي لم يطلع عليه كل أحد بإعطاء الشطر تكون الوقاية من النار لقوله

---

[1] إبن الزيات– المصدر السابق– ص: 461.
[2] في ك ترا.
[3] الزيادة من د.
[4] الزيادة من د.
[5] إبن الزيات– المصدر السابق– ص: 466–467.

– صلى الله عليه وسلم–: (اتقوا النار ولو بشق ثمرة)[1] وبإعطاء الثلثين يتحكم في المخلوقات كالاستسقاء، والولاية، والعزل ودخول الجنة، وأمثال ذلك، وبإعطاء خمسة أسباع يستجاب الدعاء، وتتكون الكائنات. قال: تلميذه البركة الفاضل أبو بكر بن مساعد، وقد إنتمر الشيخ أبو العباس في الكرم والجود، والإيثار بالموجود إلى أن كان يعطي التسعة الأعشار، ويتمسك لنفسه ولأهله بالعشر وهي النهاية"[2].

قال ابن الزيات: "إنما قال أنها النهاية لأنها الواجب فيما يبقى للمساكين، فمن خرج للمساكين عن تسعة أعشار ما يملك ويتمسك بالعشر، فقد أخذ لنفسه للمساكين وأعطى المساكين الواجب ما يجب له وهو المالك"[3].

قال ابن مساعد، قلت لأبي العباس: لم كانت الخلافة لمعاوية دون الحسن بن علي – رضي الله عنهم– فتغير وسكت عني ساعة، ثم قال لي: فلو كان الحسن خليفة فهل يحمل أن يكون يحاسب عن رعيته؟ وجده محمد – صلى الله عليه وسلم– أكرم الخلق على الله تعالى يشاهد مطالبته ومحاسبته، قال وقلت له: ما للعلماء يعادونك/**81**/ويكرمونك، قال: لأني مؤمن بخبر الله تعالى حيث يقول وقوله الحق، ﴿وَمَا أَنْفَقْتُم مِن شَيءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ...﴾[4] وهم غير مؤمنين بذالك لأن العلماء ركنوا إلى الدنيا وبخلوا بها، واجتهدوا بجمعها وغلبوا جانب الرخاء [فتهافتوا فيها][5] وفيهم يقول الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ الْكِتَابَ يَأخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأدْنَى وَيَقُولُونَ، سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ، أَلَمْ يُوخَذُ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الكِتَابِ، أن لاَ يَقُولُواْ عَلَى اللهِ إِلاَّ الحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ لِّلذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ وَالذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالكِتَابِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ المُصْلِحِينَ﴾[6] .

---

[1] رواه البخاري – المصدر السابق – كتاب الزكاة – باب إتقوا النار و لو بشق ثمرة و القليل من الصدقة – ص: 263 – حديث رقم: 1417.

[2] ابن الزيات– المصدر السابق– ص: 473.

[3] المصدر نفسه – ص: 473.

[4] سورة سبأ – آية 39.

[5] الزيادة من د.

[6] سورة الأعراف – آية 169–170.

قال ابن الزيات: "وحدثني أبو الحسن الصنهاجي وغيره، أن رجلا يعرف بابن الشكاز وكان من الأغنياء فدار عليه الزمان وافتقر، حدث أنه وصل أبي العباس السبتي وعليه ثوب خلق ظهرت منه عورته، فشكا إليه حالته؛ فأخذ بيده إلى أن خرج معه من باب تاغزوت ، فجاء إلى مطهرة هنالك قال: فدخل المطهرة أبو العباس وتجرد من أثوابه وناداني. وقال لي: خذ هذه الثياب. فأخذتها وكان ذلك بعد العصر، فأردت أن أرى ما يكون من أمره فصعدت على حائط بحيرة الفحص وأنا أنتظر ما يكون من أمره إلى قروب غروب الشمس، وقد رد البواب الباب الواحد فإذا بفتى من الفتيان قد خرج من باب تاغزوت على دابة، وبين يديه رزمة من الثياب، فلما رأيته نزلت إليه، فقال لي: أين الفقيه أبو العباس؟ فقلت له: هو في تلك الساقية عريان، فقال لي: امسك لي الدابة. فسمعت الفقيه يقول له: أين تلك الثياب؟ فأخذها منه وخرج، فلما رآني قال لي: ومالك ها هنا؟ فقلت له: يا سيدي خفت عليك فلم أقدر أن أنصرف وأتركك، فقال لي: أفترى[1] الذي فعلت من أجله ما فعلت يتركني، ثم سأل الفتى عن سبب وصوله إليه فذكر له أن إحدى الكرائم أمرته أن تحمل إليه تلك الثياب وقالت له: لا تدفعها إلا للفقيه وقل له لا يلبسها إلا هو"[2].

قال: وهذه القصة مشهورة صحيحة.

وحكى ابن الزيات قال: "حدثني أبو زيد عبد الرحمان بن يوسف [الحسني][3] من أهل البيت عليهم السلام، قال: رأيت النبي – صلى الله عليه وسلم– في النوم في التشوف فقلت له: يا رسول الله /**82**/ أريد أن أراك في النوم كل ليلة، فقال لي: هذا لا يمكن فإني مطلوب في المشرق و[المغرب] [4] . فشكوت له حالي حاجتي وفقري، فقال لي: البخل أضرَّ بك. فمرَّ علينا أحمد بن دوناس وهو رجل صالح، من الأولياء

---

[1] في ك فترا.

[2] إبن الزيات– المصدر السابق– ص: 477.

[3] الزيادة من د.

[4] الزيادة من د.

الأخفياء، من أهل إغمات[1]، لا يمسك شيئا، وربما تجرد من أثوابه، فيؤثرها ويستتير بالأبواب. فسلم علينا وإنصرف، فقلت له: يا رسول الله وهذا؟ فقال لي: البخل أضر به فتحيرت لما أعرفه من كثرة إيثاره فقلت له: بين لي هذا البخل، فقال لي: لأقولن لك فيه قولا لم ينقله إليكم علماؤكم. إذا حضر لأحدكم خاطر بالعطاء، ثم عقبه خاطر آخر بالمنع فالتردد في الخاطر الأول بخل؟ فسألته –عليه السلام– عن أبي العباس السبتي، وكنت سيىء الإعتقاد فيه فتبسم ثم قال لي: هو من السباق، فقلت له: بين لي، فقال لي: هو ممن يمر على الصراط كالبرق، فأصبحت ولقيت أبا العباس السبتي فقال لي: ما سمعت وما رأيت، فقلت له: دعني، فقال لي: والله لا تركتك حتى تعرفني، فأنشأت أحدثه الرؤية إلى أن قلت له: التردد في الخاطر الأول بخل فصاح وغشي عليه، ثم قال: "كلمة الصفا من المصطفى، وصار متى تذكر هذا الكلام يغشى عليه"[2]. ومن شعر أبي الشيخ العباس السبتي رحمه الله:

إني أمنت طوارق الحدثان	**لما تعلق بالآلـــــه جنــــــان**
وحصلت في فروس نعمته	**التي كانت مثوبة أوبتي وحنان**
فلذلك أورثني مغيب سره	**فالعلم عليه والبـــيان بيـــان**[3]

ولد أبو العباس ببلده سبتة عام أربعة وعشرين وخمس مائة، ثم انتقل لمراكش، وتوفي بها سنة إحدى وستمائة، وحدثوا عنه أنه لما احتضر وثقل كلامه دنا منه الشيخ الصالح أبو يعقوب الحكيم وكان صديقه، فقال له: يا سيدي أوصنا بما نفعله بعدك، فقال: ليس الإحسان لعباد الله، قال ابن الخطيب: وروضته بخارج باب تاغزوت أحد أبواب مراكش غير حافلة البناء ولا موسومة بالتنجيد، وربما تبرع متبرع باحتفاله واستهان في تشييده أطيب ماله فلا تساعده الأقدار وربما تهدم ما أقامه من ذلك قال: " و زرت قبر هذا الولي الكريم فشاهدته بين دفنى من أهل الخير

---

[1] واقعة على بعد أربعة وعشرين ميلا من مراكش، مبنية على منحدر جبل من جبال الأندلس، كانت متحصرة أيام الموحدين – وهي مدينتان سهليتان، إحداهما تسمى أغمات إيلان، والأخرى أغمات وريكة، بينهما ثمانية أميال، وهو عبارة عن "بلد واسع تقطنه قبائل مصمودة، فيه ثمور وأشجار وخيرات كثيرة ". الوزان– المصدر السابق– ج: 1– ص: 135–136. البكري– المصدر السابق– ص: 153.

[2] إبن الزيات– المصدر السابق– ص: 464–465.

[3] من البحر الكامل.

وبداخل روضته أشياخ من أهل التعفف، وانتحال التصوف، يسارقون النظر/**83**/ خفية إلى مساقط رحمات الله على ذلك القبر، لكثرة زائره فيقتحم ذو الحاجة باب الروضة خالعا نعله، مستحضرا نيته، ويقعد بإزاء القبر، ويخاطبه بحاجته، ويعين بين يدي النجوى الصدقة على قبره، ويدسها في أواني على القبر معدة لذلك قال: ومن عجز عن الصدقة بالتقدير تصدق بالطعام ونحوه، فإذا أخف الزائر [وكان][1] آخر النهار، عمد القائم على التربة إلى ما أودع في تلك الأواني وقسمه، على المحاويج الحافين بالروضة، وبالطرق الموصلة إليها، ويحصون كل عشية فيعمهم ذلك الرزق المودع في تلك الأواني، وأن قصر عنهم إستكملوه في غده "[2].

قال أبو الخطيب:" ترافع خدام الروضة بمجلس قاضي البلدة وخصامهم في أمر ذلك الرزق، فسألهم القاضي عن خرجه اليوم، فقالوا: يقطع في هذه الأيام ثمان مائة مثقال من الذهب العين في اليوم، ربما وصل في بعض الأيام الألف دينار ذهبية فلما فوقها تقال، فروضة هذ الشيخ ديوان الله تعالى بالمغرب لا يحصى دخله ولا تحصر جبايته، فالتبر يسيل واللجين يفيض، والسائل كثير، وذو الحاجة من زائر وسائر (كالطير تغدوا خماصا، وتروح بطانا)[3] يختص برحمته من يشاء، والله ذو الفضل العظيم قال: وأنا من من جرب المنقول من هذا القبر فأطرد القياس وخلص الإعتقاد وتزيفت الشبهة وتعرفت من بديء بزيارته، وحط رحلي بباب كرامته، ما تحققت به من بركته، وشهد لي على برهان دعوته"[4]، انتهى أو أكثره بالمعنى.

قال بن الزيات: حدثوا عنه، أنه لما كان في مرض اشتد به النزع، أنشده حفيده الصالح أبو زكريا، أبيات شيخه أبي عبد الله ابن الفخار، وكان أبو العباس يلهج كثيرا بإنشائها[5] و يقول هي:

---

[1] الزيادة من د.

[2] نفس ما ذكرناه سابقا في ص: 183 هامش رقم: 8.

[3] رواه القزويني- المصدر السابق- كتاب الزهد، باب البناء والخراب- ص: 450- رقم الحديث: 4164- ابن مبارك- الزهد- ج: 1- ص: 196-197. أما تحقيقه فهو صحيح الألباني- الحاديث الصحيحة- مج: 1- القسم الأول- ص: 620.

[4] نفس ما ذكر في الهامش رقم: 2.

[5] إبن الزيات- المصدر السابق- ص: 465.

عقدت عليــك[1] مكمنات[2] خواطــري   عقــد الرجــاء فألزمتك حقوقــا

إن الزمان عــدا علــي فزادنــــي   علمــا بأنك خالــقــي تحقيقــا

مــالنـــي كــره بوجــه مســـاءة   إلا عبــرت به إليــك طريقــا

اقــض القضــاء على الرضـــــا   مني به إني وجدتك بالعبيد رفيقا[3]

فمد يده الشيخ أبو العباس إلى إن أخذ بيد حفيده وقبلها قال، فقلت له: قل/**84**/ لا اله إلا الله، فأخذ بيده إلى موضع قلبه كأنه يقول لي: هو في قلبي. ومن حديث سيدي أبي العباس عن شيخه أبي عبد الله الفخار، عن شيخه القاضي أبي الفضل عياض، عن شيوخه عن معاذ بن جبل[4] ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة)[5] ، قال عياض وهذا حديث عظيم، ومعرفة معناه أصل من أصول الدين، وبابه متسع فيه أحاديث كثيرة في ألفاظها إختلاف، ولمعانيها عند أهل المعرفة ترتيب وائتلاف وللأئمة -رضي الله عنهم- في لذلك كلام كثير، واختلاف مأثور، قال: فروى عن معاذ بن جبل ما تقدم، وعنه أيضا: (من لقي الله تعالى لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة)[6] ، وعنه في رواية أخرى: (ما من أحد يشهد أن لا اله إلا الله و أن محمد رسول الله صادقا من قلبه إلا حرمه الله على النار)[7] ، ومثله في حديث عبادة بن الصامت وعثمان بن مالك.

---

[1] إليك في د.

[2] مكنات في د.

[3] من البحر الكامل.

[4] من أنجب الصحابة رضوان الله عليهم، وأفقههم، روى عن أنس بن مالك، أو ظفيل، شهد العقبة وبدرا، قال فيه النبي- صلى الله عليه وسلم- أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ - وكان من بعثه إلى اليمن للقضاء - توفي سنة "تسع وعشرة أو ثمان عشرة وهو ابن أربع وثلاثين سنة". الذهبي- تذكرة- ج: 1- ص:(19-20). الشيرازي - المصدر السابق- ص: 45. أنظر عنه طبقات ابن سعد- مج: 3- ص: (437-443). البستي- المصدر السابق- ص: 84.

[5] أبو داوود- المصدر السابق- كتاب الجنائز- باب في التلقين- ص: 486- حديث رقم: 3116.

[6] رواه ابن حنبل- المصدر السابق- مسند المكثرين- مسند أبي هريرة- ص:641-642 - حديث رقم: 8722. أما تحقيقه فهو صحيح، الألباني- الأحاديث الصحيحة- مج: 6- القسم الثاني- ص: 1020- رقم الحديث: 2923.

[7] رواه أحمد ابن حنبل- مسند الأنصار- حديث معاوية ابن حنبل- ص: 1624- رقم الحديث: 22305. أما تحقيقه فهو صحيح الألباني- الأحاديث الصحيحة- مج: 3- ص: 299- رقم الحديث: 1314.

وفي حديث أبي هريرة (لا يلقى الله بهما عبد شاك فيهما إلا دخل الجنة)[1] وفي حديث أبي ذر وأبي الدرداء (ما من عبد قال لا اله إلا الله ثم مات على ذالك إلا دخل الجنة وإن زنا وإن سرق)[2] ،وفي حديث عثمان بن عفان (من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة)[3] وفي حديث عبادة بن الصامت (من قال: أشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمد عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله وابن أمته، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء)[4] .

فاختلف العلماء في الكلام على هذه الأحاديث، فذهب ابن المسيب وإبن شهاب وعروة بن الزبير، وعطـــاء بن أبي رباح إلى أن هذا كان قبل أن تنزل الفرائـــض والأمر والنهي.

وعن شيوخه عن أبي حاتم السجستاني، عن الأصمعي قال: بينما أنا في الطواف إذ رأيت جارية متعلقة بأستار الكعبة وهي تقول:

أفنيت عمرك والذنوب تزيـــد   والرب يحصي والرقيب شهيــــد

حتى **متى لا ترعوى عن لذة   وعقابها يوم الحساب شديـــــــد**

فكأنني بك قد أتتك منيـــــة   لا شـــك إن سبيـــلـــها مـــــردود/85/[5]

وروى سيدي أبو العباس، [عن][6] أبي عبد الله الفخار، عن القاضي أبي الفضل بسنده عن رجاله، عن ابن عباس قال: كتب النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى معاذ بن جبل وهو وال باليمن، من محمد رسول الله إلى معاذ بن جبل السلام

---

[1] رواه مسلم ابن الحجاج – صحيح مسلم – بيت الأفكار الدولية – دار الرياض– طبعة 1998م– كتاب الإيمان– باب دليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا– ص: 45– رقم الحديث: 27.

[2] رواه البخاري– المصدر السابق– كتاب اللباس– باب الثياب البيض– ص: 1082– رقم الحديث: 5827.

[3] رواه مسلم– المصدر السابق– كتاب الإيمان– باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا– ص: 44–45 – رقم الحديث: 43.

[4] المصدر نفسه– كتاب الإيمان– باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا– ص: 45– رقم الحديث: 46.

[5] من البحر الكامل.

[6] ناقصة في د.

عليك، [إني أحمد إليك][1] الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإن ابنك فلان توفي في يوم كذا وكذا وأعظم الله لك الأجر، وألهمك الصبر عن البلاء، والشكر عند الرخاء أنفسنا، وأموالنا وأهلنا، من مواهب الله تعالى الهنية، وعواريه المستودعة، يمتعنا بها إلى اجل معدود ويقبضها لوقت معلوم، وحقه علينا هناك إذا أبلى الصبر، فعليك بتقوى الله، وحسن العزاء، فإن الحزن لا يرد ميتا، ولا يؤخر أجلا، وأن الأسف لا يرد ما هو [نازل][2] بالعباد.

وروى بسنده وعن شيوخه عن أنس قال رسول الله عليه وسلم: (ما من عبد يبكي على ذنب في الدنيا حتى تجري الدموع على خده، إلا حرم الله ديباجة وجهه على النار)[3].

وحدث بسنده عن أنس قال، قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أطعم جائعا، أو كسا عاريا أو أوى مسافرا، أعاده الله من أهوال يوم القيامة)[4] انتهى.

وحدث بسنده عن مشيخته عن نافع عن بن عمران أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: (ما من زرع على الأرض، ولا ثمار على الأشجار إلا عليها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم هذا رزق فلان بن فلان)[5] وذلك قوله تعالى في محكم كتابه: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا، وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرضِ، وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[6]. انتهى. نفعنا الله ببركة سيدي أبي العباس السبتي رضي الله عنه [ونفعنا به][7].

---

[1] الزيادة من د.
[2] ناقصة في ك.
[3] رواه الشوكاني– المصدر السابق. أما تحقيقه فهو موضوع – المصدر نفسه – ص: 251.
[4] رواه أبو نعيم– المصدر السابق– مج: 2– ص: 134.
[5] رواه الذهبي– ميزان– ج: 2. أما تحقيقه فهو مقبول– المصدر نفسه –ص: 361.
[6] سورة الأنعام – آية 59.
[7] ناقصة في د.

أحمد بن ابراهيم بن عبد الملك القنجاري أبو العباس[1]:

من أكابر الصلحاء بالأندلس، كان رحمه الله إماما محدثا قال القاضي بن عبد الملك: كان أبو العباس شيخ الطائفة الصوفية قاطبة بالمغرب، صاحب مقامات ومجاهدات ومشاهدات، أكثر من السياحة، والتجول لاعتبار في أقطار الأرض شهير الفضل صادق الورع، صحيح الزهد، معرضا عن أعراض الدنيا من المال والجاه على كثرة إقبالها عليه، وكان ملوك عصره يستدعونه، ويستدنونه[2] **/86/** تبركا به واغتناما لمشاهدته، فيقبل عليهم ويقبل منهم، وقد ملأ الله قلوبهم إجلالا له، و أشرفها بها حبه وتعظيمه، قال: وكان [ملوك][3] بني عبد المؤمن وأمراؤهم ورؤساء دولتهم كثيرا ما يرغبون منه، في تفريق صدقاتهم التطوعية على من يراه من الفقراء والمحاويج، وأهل الستر والصون، لعلمهم بأنه كثيرا ما يفشي الجناب من طوائف الناس على اختلاف طبقاتهم، فيتولى ذالك ويباشره بنفسه، ونفع الله على يدي بهذا العمل خلقا كثيرا.

وأصحبه بعضهم في رحله المشرقية أموالا جسيمة، ليدفعها إلى من يراه أهلا لها بالحرمين الشريفين من آل البيت الكريم عليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم فذكر أنه جلس في المسجد الحرام معملا فكره، في تفريق ذالك المال، وعلى من يفرقه، وكيف يكون المخلص له من تبعته؟ فسمع نداء من الحجر الغربي القي وحصل في روعه أنه المقصود به، ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُن أو إمْسِك بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[4] وذكر انه سأل عمل هنالك من أهل لبيت، فقيل له أنهم أهل أهواء وبدع وأحوال لا ترضى، فعزم على حرمان من كان بهذه الصفة منهم قال: فبينما أنا بين النائم واليقضان شممت ريحة طيبة عطرة، وأعقبها ظهور امرأة، وقيل لي: أوجدت في نفسي أنها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورضي عنها فقالت لي: يا

[1] ينظر عند ابن عبد الملك، محمد بن محمد أبو عبد الله – الذيل والتكملة – تحقيق: محمد بن شريفة – دار الثقافة – بيروت – لبنان – بدون تاريخ – القسم الأول – ص: (48–58).
[2] في د يستدونونه.
[3] الزيادة من د.
[4] سورة ص – آية 38.

أحمد الأنف منك ولو كان أجدع، فقلت لها: أتوب إلى الله عز وجل وأعطيهم فأعطيتهم بإشارة جدتهم فاطمة رضوان الله على جميعهم[1].

قال ابن عبد الملك: "وكان هذا الفاضل ممن رحل إلى المشرق أربع مرات وحج فيها حجات وجاور بالحرمين طويلا، ولقي فيها عالما كثيرا من جلة العلماء فروى عنهم وإنتفع بصحبتهم، وكانت وفاته سنة سبع وعشرين ووستمائة"[2]، رحمه الله ورضي عنه ونفعنا به.

---

[1] ابن عبد الملك – المصدر السابق – ص: 48 – 49.
[2] المصدر نفسه – ص: (46-58).

أحمد بن عبد المجيد بن سالم الحجري المالقي أبو جعفر الجيار:

كان رحمه الله من علماء العالمين، والزهاد المنقطعين، رحيما بالمساكين محببا إلى الخلق، ملازما الإقراء والعبادة، معروفا بالنزاهة والزهادة، كثير الاستعمال للطيب والروائح/87/ الزكية، حتى كان طيب ريحه، يستبق لمن لقيه على مسافة قصيرة، ذكره ابن عسكر [1] في أعلام مالقه وقال:" حدثني ثقة من أصحابه أنه سأله عن المكاشفة والمناجات، قال: كنت ليلة من الليالي قد قمت إلى وردي الذي كنت [التزمه][2] فتوضأت وتطييت بماء الوردي على جري العادة، وتنفلت بما شاء الله، ثم أني قعدت في السجادة وجعلت ألوم نفسي على التقصير في العمل، فأقول ليت شعري هل على هذا متقبل فنوديت ما أجبتنا حتى أجبناك، ولا وفقناك للعمل إلا وقد رضيناك وقبلناك "[3].

وقد أصابه من شعره مرض بركبته، ثم وجد الراحة فقال:

رضيــت سقمي حالا	**حقيقـــة لا محـــالا**
وصـــار لي منه أنس	**إن دام لـــي وتوالا**
فحــل في القلب نور	**مـــن الرضى[4] يتدلا**
فالـــحمـــد لله ربـــي	**سبحـــانه و تعـــالا**
ثم الصـــلاة على من	**بذا الأنـــام كمـــالا[5]**

وكانت وفاته سنة أربع وعشرين وسبع مائة، وهو ابن ست وسبعين سنة وتسامع الناس بموته، فأقبلوا من كل جهة ليشهدوا جنازته، وتزاحموا على نعشه التماسا لبركته، ورحمه الله ونفنا بحبنا فيه برحمته.

[1] إبن عسكر، محمد بن علي: من العارفين بالأحكام، والقيام على النوازل، صاحب الشعر الرائق، تولى قضاة مالقة – صاحب تأليف منها "المشرع الروى في الحديث" و"التكميل والإتمام لكتاب التعريف والأعلام" توفي سنة 636هـ/1216م. إبن خليكان– المصدر السابق– مج: 6– ص: 35–36. النباهي– المصدر السابق– ص: 123.

[2] الزيادة من د.

[3] بحثنا عن هذا المصدر ولم نتوصل إليه.

[4] الرضا في د.

[5] البحر البسيط.

أحمد بن الحسن بن علي الكلاعي[1]:

أبو جعفر بن الزيات الأندلسي من أهل بليش[2]، كان رحمه الله إمام المتصوفة في زمانه، مشهورا بالبركة والصلاح، معروفا بالخطيب الصالح من بين سائر أقرانه بركة من بركات صقع[3] الأندلس، وإماما من أعلام أئمتهم، ممن جمع الله له العلم والولاية، ونفع به الخلق في التربية والسلوك، إلى طريق الهداية، وألقى عليه القبول والمهابة ووسمه بسمى أهل الله، من البداية إلى النهاية، فكان إذا خرج من بيته لقضاء حاجته إنثال الناس عليه تبركا بلقائه، وإزدحموا على إلتماس ثوبه اغتناما لما عرف من إجابة دعائه، وعرف هذا الفاضل بالصلاح بين ملوك الوقت ورؤسائه، وشهر بصدق النية في إزاحة الشكوك، والأوهام الداخلة على أرباب الدنيا.

حكي عنه في كثير من الحكايات الدالة على ماله عند الله من عظيم البركة المعدودة في أنواع الكرامات، وله تواليف كثيرة مفيدة في أصول الدين وعلوم القرآن وطريق القوم/**88**/، ومن شعره.

يقال خصال أهل العلم ألــف ومن جمع الخصال الألف سادا

ويجمعها الصلاح فمن تعــدا مذاهبه فقد جمــع الفســـاد[4]

توفي عام ثمانية وعشرين وسبعمائة، وأسف الناس لفقده، وازدحموا على نعشه، وأثنوا عليه خيرا، رحمه تعالى ونفعنا ببركته.

---

[1] ينظر عند السيوطي- بغية- ج: 1- ص: 302. إسماعيل باشا- المصدر السابق- مج: 5- ص: 107. إبن مخلوف- المصدر السابق- ج: 1- ص: 305. إبن الفرضي- المصدر السابق- ص: 34.

[2] بليش: بلد بالأندلس، ينسب على يوسف بن حبار البلشي، رجل من أهل الفلاح والعلم. الحموي- المصدر السابق- مج: 1- ص: 484.

[3] صنع في د.

[4] من البحر الوافر.

أحمد بن عاشر الجزيري السلوي أحد الأولياء الأبدال في وقته[1]:

كان رحمه الله معدودا في كبار العلماء مشهورا بإجابة الدعاء، معروفا بالكرامات الخارقة للعادات[2]، مقدما في صدور الزهاد، منقطعا عن الدنيا وأهلها ولو كانوا من صالحي العباد، ملازما للقبور في الخلاء المتصل ببحر مدينه سلا[3]، منفردا عن الخلق، قاصدا حراسة المسلمين، غير مفكر في أمور الرزق، وله أخبار جليلة مأثورة، وكرامات عجيبة مشهورة، سمعنا أشياخنا يقولون أن الشيخ الإمام المحقق أبا عبد الله بن عرفة [4] كان يقول: " لا أعرف بمغربنا هذا أعدل مبرزا مثل أبي العباس إبن عاشر".

وبالجملة فهذا الفاضل كان في زمانه ممن جمع الله له العلم والدين، وأنار به معالم العارفين، وألقى عليه القبول من الخلق أجمعين، شديدا الهيبة، عظيم الوقار كثير الخشية، طويل التفكير والإعتبار، وقصده بالزيارة ملك الوقت أمير المؤمنين أبو عنان، وإرتحل إليه عام سبعة وخمسين وسبعمائة، فوقف بباب داره طويلا ولم يأذن له فإنصرف عنه، وقد إمتلأ قلبه من حبه وإجلاله، فعاود الوقوف على باب داره مرارا، فلم يسمح له بالوصول إليه، فبعث إليه أحد أولاده، وكتب له معه كتابا يستعطفه لزيارته، ويستميل قلبه لرؤيته، فجاوبه عليه أبو العباس ابن عاشر بما نصه: من العبد الفقير إلى الله تعالى أحمد بن عمر محمد بن عاشر وفقه الله تعالى إلى أمير المؤمنين أبي عنان أيده الله بتقواه، ورد حاله إلى ما كان عليه الخلفاء

---

[1] ينظرعند التادلي– المعزى– ص: 247. إبن قنفد– أنس الفقير– ص: (7–9). الوفيات– ص: 366– المقري– نفح– ج: 9– ص: 207. التنبكتي– المصدر السابق– ص: 46. إبن الفرضي– المصدر السابق– ص: 78. إبن القاضي– المصدر السابق– ص: 153. إبن مخلوف– المصدر السابق– ج: 1– ص: 336. الناصري– المصدر السابق– ج: 2– ص: 24. النبهاني– المصدر السابق– ج: 1– ص: 526. الزركلي– المصدر السابق– ج: 1– ص: 187.

[2] في ك العاداة.

[3] مدينة أزلية بناها الرومان تغلب عليها القوط، ثم سلمها إلى طارق ابن زياد، سلا الحديثة على ضفة البحر، و"كانت في القديم مدينة شال على ميلين من البحر، وهي مدينة حصينة في أرض رمل". الوزان– المصدر السابق– ج: 1– ص: 207. الإدريسي– المصدر السابق– ص: 90.

[4] محمد بن محمد، أبو عبد الله، إمام عالم، جمع بين علم الدين و الدنيا، أخذ عن ابن عبد السلام القراءة والحديث و الفرائض عن الشيخ السطي، و الحساب و المنطق عن الإبلي، توفي سنة 803 هـ/1400م. إبن مريم – المصدر السابق– ص: 190.

الراشدون، ومن تعرض لنصيحة المسلمين أمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما سلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد:

فقد ورد علي كتابكم المشرف بذكر الله تعالى، وولدكم المكرم [جعله الله من المتقين][1]، وأنبته نباتا حسنا، وعلمه علما نافعا، ولا يجعله من المبعدين من رحمة رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد الكريم، ولتعلم أني ما شككت فيكم، وقد أيقنت أنكم ما أرسلتموه، إلا من أجل الله عز وجل وطلب مرضاته وبعد:

فإني لست للزيارة أهلا، ولا للقربة محلا، إنما سترني الكريم بفضله، ولطفني بحمله، ولله الحمد على نعمه الظاهرة والباطنة، فلتعلم أني قصدت بنصيحتي لك وجه الله العظيم خاصة فإني لا أطمع في مخلوق أن يكسيني مالا ولا جاها، لاكتفائي بمولاي جل جلاله، وتقدست أسماءه، ولتعلم يا أمير المؤمنين وفقك الله للخير، أن الله عز وجل ناظر إليك في كل حين وكل ساعة، وكل نفس وكل طرف، و لابد من لقائه ويسألك[2] عما دق وجل، وينشر عليك عدله ويسألك[3] عن أمر خلقه وما صنعت.

هذا أن طالبك جل جلاله، وأما إن عفا عنك ونشر عليك رحمته، وفسح لك فلا راد لفضله ولا لحكمه جل جلاله وتقدست أسماءه، وإما إن عفا عنك ونشر عليك رحمته وفسح لك فلا راد لفضله ولا لحكمه جل جلاله وتقدمت أسماؤه، وليكن أمير المؤمنين مشفقا على نفسه وليعمل في يومه لما فرط في أمسه، ومن كان يومه شرا من أمسه فيا حسرته، ويا وحشته، ويا فجعته، وأعظم المصائب إعراضه عن ربه، وقد أشفق الصالحون والأولياء الله المتقون على أنفسهم. كان عمربن عبد العزيز[4] يقرأ قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُم سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُم مَا كَانُوا

---

[1] الزيادة من د.

[2] في ك و د يسئلك، والصحيح ما أثبتناه.

[3] في ك و د يسئلك، والصحيح ما أثبتناه.

[4] إبن مروان بن الحكم، سادس خلفاء بني أمية، حكم من سنة (99هـ/717م- 101هـ/719م)، أقام العدل ورد المظالم، وسنّ السنن الحسنة. المسعودي- المصدر السابق- مج: 3- ص: (173-183). راجع عنه كذلك السيوطي- المصدر السابق- ص:(243-262).

يُوعَـــدُونَ مَا أَغْنَى عَنْهُم مَا كـَــانُوا يُمَتَّعُونَ﴾[1] ، وقال عز وجل: ﴿وَ اتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ﴾[2] .

وكان عمر بن الخطاب يقول: من أخذها لما فيها من الأجر الذي يعطى الإمام العادل إشفاقا على نفسه.

وقد وقف الفضيل بن عياض[3] بعرفة، فقال: ظننت أن هذا الخلق غفر لهم حتى رأيت نفسي فيهم، وكان عطاء بقول: لو مات عطاء لإستراح الناس.

وكسفت الشمس يوما فصاح عقبة الغلام: بذنوبي كسفت الشمس وعرك عثمان بن عفان أذن غلام له لأدب، فقال: أه أوجعتني، فقال: عثمان: خذ أذني فاعركها، فأبا الغلام، فقال عثمان: لابد من ذلك لأن تقتص مني في الدنيا خير من أن تقتص مني في الآخرة فعرك الغلام ابن عثمان فقال له: أشدد أو زد، فقال أمير المؤمنين: إن كنت تخاف القصاص/**90**/، فأنا كذلك أخافه أيضا، فهذا يدلك على شفقة الأولياء والأصفياء [على أنفسهم][4] لما عملوا من عدل الله عز وجل في خلقه ولك عبرة، وفي آبائك وأجدادك، فقد صاروا إلى الله تعالى، ولا تدري ما قال لهم ولا ما قالوا له.

روي عن عيسى عليه السلام إنه مر بجمجمة فضربها برجله وقال: تكلمي بإذن الله تعالى قال يا روح الله أنا ملك زمن كذا بينما أنا جالس في ملكي علي تاجي على سرير ملكي وحولي جندي وحشمي، إذ بدا لي ملك الموت، فزال عني كل عضو على جباله، ثم خرجت نفسي إليه فيا لبست ما كان من الجموع كانت فرقة ويا ليت ما كان ذالك إلا حسرة و وحشة.

وروي عن أبي بكر الصديق – رضي الله عنه– أنه قال في خطبته: أين الذين بنو المدائن وحصنوا الحصون والحوائط؟ أين الذين كانوا يعطوا من

---

[1] سورة الشعراء – آية 205.

[2] سورة البقرة – آية 281.

[3] أبو علي، أحد الأقطاب، ولد بخراسان، وقدم الكوفة فسمع الحديث، كان يكثر الصلاة من أول الليل حتى الصباح، توفي سنة 187هـ/802م. إبن الملقن– المصدر السابق– ص: (265– 270). له ترجمة في تذكرة الحفاظ– ج: 1– ص: 245. العبر– ج: 1– ص: 150. شذرات الذهب– ج: 1– ص: 310.

[4] الزيادة من د.

الغلبة في مواطن الحرب؟ قد تضعضع بهم الحرب فأصبحوا تحت الترب والأكام، وقيل لعامر بن...[1] عند الموت، وقد بكا ما يبكيك فقال: ما بكيت فرارا من الموت، ولا حرصا على الدنيا، ولكنني أصبحت في صعود مهبطة ثـم لا أدري إلـى أين أهبـط هل إلـى الجـنة أو إلـى النـار؟

وقال محـمد بن واسع: عند الموت يا إخواننا عليكم السلام إلى النار، أو يعفوا الله فعليك عافاك الله بالشفقة على نفسك، فإن الدنيا لا تدوم لك، وأنت لا تدوم لها.فقد كان في زمن من الأزمات ما حكي أن ملكا من الملوك كان عادلا في رعيته. ففقد سمعه، فقال: برحوا في الناس من كان مظلوما فليلبس عليه ثوبا أحمرا فإني فقدت سمعي، فما فقدت بصري فهذا عفاك الله قد نصح لرعيته ولا أدري؟ هل كان مؤمنا أو كافرا ؟ وإن رجع أمير المؤمنين إلى الله عز و جل، وأشفق على نفسه، ورعيته رجوت أن يقبله الله عز و جل أن يمن عليه بفضله أنه جواد كريم وقال بعض المشايخ: إذا وقع منك ذنب فلا يكون سببا يقصيك من الاستقامة مع ربك، فقد يكون ذلك آخر ذنب عليك، وليطالع أمير المؤمنين كتاب "الرعاية" للمحاسبي أو كتاب "النصائح" للمحاسبي، فلقل ببركة الشيخ يكسبك الله خوفا ورحمة فيكون سبب نجاتك، وإن سمعت بأمير المؤمنين أنه اجتهد **/91/** في نصيحة رعيته وكف يد ظالمهم، ونصر مظلومهم، اجتهد له في السؤال إلى الله عز وجل في الأسحار وأطراف النهار.

وليعلم أمير المؤمنين لا أحد من خدمه ولا من حشمه، بل يفرون منه يوم القيامة ويفر منهم، ولا عليك في هذا الأمر إلا أن تراقب الله تعالى، وتعمل بما أمرك ونهاك، يسهل الله عليك الخير، فعساك تموت وأنت مقبل إلى الله عز وجل. وهو أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وفقك الله لما يحبه ويرضاه، وسخرك لخلقه ولا أدار عليك روحا المحنة على قطب الفتنة، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم، فرحم الله أمراء نظر لنفسه وعمل ما يصلحه عند

---

[1] ... طمس في ك و د.

ربه، فلما وصل كتابه للسلطان أبي عنان أيسر من لقائه واشتد حزنه، وقال: هذا ولي من أولياء الله حجبه الله عنا، ثم راجعه بكتاب آخر هذه نسخته.

باسم الله الرحمان الرحيم – صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله و سلم– من عبد الله المعترف بذنبه الراجي رحمة ربه، فارس أمير المؤمنين بن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق[1] وفقه الله عز وجل لطاعته وجعله بفضله من أهل جنته إلى ولي الله ونصحي في ذاته عز وجل، الولي العالم الزاهد الخاشع أبي العباس أحمد بن عمر بن عاشر، أمتع الله بحياته أولياءه، ونفع بصالح دعواته أصفياءه وأبقاه ذخرا للمسلمين، ونورا يهدي سبيل المتقين سلام عليكم ورحمه الله وبركاته وبعد:

حمد الله يا ربي النسيم على النعم والصلاة والسلام على سيدنا محمد خيرة أنبيائه ورسله، إلى خيرة الأمم، وعلى آله وأصحابه ليوث الهيجاء، ونجوم الظلم فإنه وصلني كتابكم الذي ذكرني بموعظته، وعرفني مصلحة نفسي بنصيحته، أعزت بلسان الصدق ودعا إلى سبيل الحق، وأيقض من النومة، ونبه من الغفلة فجزاك الله خيرا يأيها القاصد وجه الله العظيم، في سره وجهره، الوافق عند حدوده عز وجل في ناهيه وأمره، لقد نصحتني وما غششتني، وندبتني لسعادتي، وما كذبتني، فالله أسأل[2] أن ينور بصيرتي، ويأخذ للخير بناصيتي، ويسلك بي، فيما قلدني سبيل أوليائه المتقين، ويعينني على[3] القيام بأمور عباده المسلمين، وها أنا إن شاء الله أجتهد في كف أيدي الظالمين، وأبدل جهدي في إنصاف المظلومين/**92**/، وأبتهل إلى الله في الضراعة في إعانتي بتوفيقه، وهدايتي لنهج طريقه، وهو سبحانه [يعلم][4] إن كنت مسرفا على نفسي مقصرا في[عملي][5]، إني لا أضمر إهمال مظلوم، ولا إعانة ظالم وكفى بالله شهيدا، وقد قل أعوان الحق، وكاد أن يقدم منقبة الصدق، فلا رجلا يولى

---

[1] من بني مرين، يكنا أبا الحسن، أحد ملوك مدينة فاس، بويع له وأبوه مريض لا يقدر على القيام لشدة مرضه يوم "الأربعاء الخامس والعشرين لذي الحجة عام 759هـ/1376م". إبن القاضي– المصدر السابق– القسم الأول– ص: 207–208.
[2] أسئل في ك و د، والصحيح ما أثبتناه.
[3] في ك عن.
[4] ناقصة في د.
[5] الزيادة من د.

عملا إلا ظلم وتحيره، ولا مؤتمن يركن إليه إلا خان وفجر، ولا جليس يستعان بنهاه إلا أثر دنياه، وإتبع هواه لكن بالله أستعين في جميع الأمور، وعليه سبحانه أتوكل وإن لم أوف بحق التوكل في الورود والصدق، ونسأله جل وعلا، أن يلهمنا ما يقربنا ولا يجعلنا من المبعدين.

وأسألك أنت بمن كانت هذه المكاتبة إبتغاء وجهه الكريم، إلا ما إجتهدت لي في الدعاء في غلس الأسحار، وأطراف النهار، وأن يمكنني الله عز وجل نفسي ويلهمني رشدي، ويجعلني من الناطقين بالحق، الفاصلين بالعدل، ويبلغني تعالى أملي في جهاد أعداءه الكافرين، وينيلني قصدي في حج بيت الله الكريم، وزيارة قبر نبيه عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وأن يجعل ذريتي من عباده الصالحين، ومن أهل القرآن العظيم، وزوار قبر نبيه، وأن يختم لي ولهم بالحسنى، ويبلغنا في طاعة جميع المنى بفضل وجوده.

وأنا قد إنتفعت بكتابك، وأنتفع إن شاء الله بنصيحتك وأجد بركة موعظتك التي أردت بها وجه الله علام الغيوب، فلا تخلني بعد من إشارتك، ولا من صالح دعواتك، ولا توحشنا، من أنس جوارك، لا تفقدنا بصالح إثارك، وإن كنت قد إستغنيت عنا، فأني لا أستغنى عن مشاركتك الصالحة ومكاتبتك الرائحة، إن شاء الله وهو سبحانه يجزيكم عن أفضل الجزاء، ويهدينا إلى الطريقة المثلى والسلام عليكم ورحمة الله.

وذكره العلامة صاحب القلم الأعلى أبو عبيد الله ابن الخطيب في كتابه "نفاضة الجرب" فقال بعد فراغه من ذكر مدينة سلا ما مثاله:" ولقيت من أولياء الله بها الوالي الزاهد الكبير المنقطع القرين، فرار عن زهرة الدنيا [وعزوفا عنها][1]، وإغفاء في باب الورع، وشهرة بالكشف، وإجابة الدعوة، وظهور الكرامة، أبا العباس بن عاشر الجزيري، يسر الله لقاءه للخير على تعذره صعوبة [تأتيه][2]، وكثف

[1] الزيادة من د.
[2] الزيادة من د.

هيبته قاعدا بين القبور في الخلاء المتصل بالبحر، فحصل من [دعائه][1] التبرك به القصد وهو رجل كاسف اللون، رث اللبسة، مطرق الحظ، كثير الصمت، مفرط الإنقباض والعزلة، قد ضرسه أنياب أهل الدنيا، وتطارحهم في سبيل العجة، وطوع الآمال فهو شديد الإشمئزاز [من][2] مقاصده مجرمز للوثبة من طارقه، يكذب دعوة المستقيل باستنجاز ثوبته، من أهل الفقه والمعرفة بالحلال والحرام، شديد التولي والحذر من الرعى حول الحمى نفع الله به انتهى"[3].

قال المؤلف: كتبت لبعض الجلة الفضلاء من أعيان فاس، أسأله[4] عن وفاة[5] هذا الوالي، ابن عاشر: وعن بعض ماله من من الكرامات والمآثر، فكتب إلى بما مثاله.

وأما الشيخ ولي الله الزاهد الورع الصالح، الحاج أبو العباس أحمد بن عاشر الأندلسي، القاطن بمدينة سلا المتوفي بها سنة خمس وستين وسبع مائة، فقال: لشيخ أبو العباس أحمد بن الخطيب القسنطيني الشهير بابن قنفد: "كان ابن عاشر رحمه الله تعالى ونفع به، فريدا في الورع، ميسرا عليه، في ذالك أتم تيسير، محفوظا من كل ما فيه شبهة، كثير النفور من الناس وخصوصا أصحاب الولايات، وخرجت على يده تلاميذة أخيار، وطريقه أنه جعل أحياء علوم الدين بين عينيه، وإتبع ما فيه بجد وإجتهاد وصدق وإنقياد، وكان الحجة في ذلك الطريق، وأول إجتماعي به نفر مني فحسبته بيدي وهززته، فتبسم ووقف معي وسألني[6] عن نسبي ودعا لي باللطف، ثم عاودت الوقوف عليه وطلبته فيما يطعمني، فإعتذر لي بالإقلال ثم قال لي: "أمهل! ودخل منزله وأخرج لي حبات من تين يابسة في يده اليمنى وغطاها باليد اليسرى ودفعها إلي، وضحك معي، وعجب الحاضرون من ليانته وإنشراحه معي في

---

[1] الزيادة من د.

[2] ناقصة في د.

[3] ابن الخطيب– نفاضة الجراب في غلالة الإغتراب– دار النشر المغربية– الدار البيضاء– بدون تاريخ الطبع– ص: 379.

[4] في ك و د أسئله، والصحيح ما أثبتناه.

[5] في ك وفي د وفات، والصحيح ما أثبتناه.

[6] في ك و د سئلني، والصحيح ما أثبتناه.

معاملته، لأنه كان لا ينبسط لأحد من الناس، وحصل لي بذلك فخر لا يدري قدره إلا من حاول بعضه معه"[1] .

"وقد حاول ملك المغرب لما إرتحل إليه في عام/ **93/** [سبعة وخمسين وسبعمائة][2] على لقائه فلم يقدر على ذالك [بوجه وحجبه الله عنه][3] حتى تبعه يوم الجمعة من الجامع الأعظم على قدمه، وقد نعته الناس عنه له، وهم ينظرون إليه والملك لم يره فرجع عنه [متحسرا][4] على مافاته من بركة [لقائه][5] ، وقصده يوما أمير من المسلمين وطلب منه المعونة، فأعطاه مذينة كانت معدة عنده لتقطيع البقل فنادى[6] عليها الأسير في السوق فبلغت المزايدة فيها السبعة عشر دينار ذهبية، ولم يكن قوته إلا من نسخ العمدة في الحديث، وكيف يبعها ولمن يبعها، ولا يأخذ إلا قيمتها ولا زالت حالته وبركته في زيادة، وكان رحمه الله يصرح أن الكرامة لا تنقطع بالموت، ويحيل على ما هو معاين في ضريح ولي الله أبى العباس السبتي وكانت وفاته ببلده سلا سنة خمس وستين وسبعمائة رحمه الله ورضي عنه ونفعنا به وبأمثاله" [7] **/94/.**

كمل الجزء الأول من كتاب "النجم الثاقب" فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب الحمد لله على من به جميل عونه، وجزيل أفضاله، وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله، مما أمر بجمعه وتأليفه، مولانا الملك السلطان الأمام الماجد الأثيل الهمام، أمير المسلمين المتوكل على رب العالمين مولانا أبو عبد الله ابن مولانا الملك السلطان الإمام فخر الليالي، وتاج الأيام المقدس المنعم المرحوم أمير المسلمين، مولانا أبى عبد الله محمد، أعلا الله أعلامه، وأدام ملكه وأيامه، وافق الفراغ منه تاسع والعشرين من شهر ربيع الثاني عام تسعين وتسعمائة.

---

[1] إبن قنفذ- المصدر السابق- ص: 9-10.
[2] الزيادة من د.
[3] الزيادة من د.
[4] الزيادة من د.
[5] الزيادة من د.
[6] في ك ود نادا، والصحيح ما أثبتناه.
[7] إبن قنفد- المصدر السابق- ص: 10.

يتلوه. في أول الجزء الثاني ذكر سيدي أحمد بن الحسن الغماري إن شاء الله تعالى وكتبه بخط يده الغانية من رجا بركة من ذكر فيه من أولياء الله الصالحين في الدين والدنيا والآخرة، يا ولي يا منين يا سميع يا بصير، يا أمير عبيد الله تعالى الراجي رحمه مولاه الفتى به عمر سواه عبد الله بن عمر بن عثمان بن عبد الله الواحد بن عمر بن داوود التدغي أصلا، تاب الله عليه وغفر له جميع الآثام، مع والديه وجميع أمة محمد المختار صلى الله عليه واله وصحبه وسلم تسليما والحمد لله رب العالمين.

يعتبر مخطوط " النجم الثاقب " مصدرا من المصادر الحية التي تؤرخ لظاهرة التصوف بالغرب الإسلامي في مراحل مختلفة، بدأ من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي – إلى غاية القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي.

من هنا فهو وثيقة رئيسة وأساس لمعرفة بعض ظروف وخصائص كل مرحلة من هذه المراحل وكيفية تطورها، انطلاقا من التصوف النخبوي إلى التصوف الشعبي في نهاية المطاف.

فلا شك إذن أن مخطوط " النجم... " يسلط أضواء كم هي ضرورية لكل باحث في مجال التصوف، وتساعد على حل إشكالاته وألغازه.

وإذا كان صاحب النجم ترجم لعدد من المشارقة وأدرجهم في عداد التصوف فما كان ذلك إلاّ للتبرك بهم، واعتبارهم أسوة للمغاربة ليس إلاّ، ولا يبرر ذلك في نظرنا إلاّ بدفع البدعة عن التصوف المغربي، وأنه شرعي ومؤصل.

بالتالي، فالذي يهم في المخطوط هو المغاربة، لأن المشارقة مترجم لهم خلاله، ما هو إلاّ عبارة عن نقولات حرفية عن مصادر متنوعة (تاريخ، تراجم سير...)

كما أن طبيعة المخطوط هو عبارة عن تراجم منقبية صرفة، بحيث لا يذكر ويسجل عنهم إلاّ مناقبهم وشمائلهم... لأن المتصوفة هؤلاء أو الأولياء كما لقبوا من غير استثناء كانوا، عصب الحياة ومحركها الرئيس بكل مجالاتها المتنوعة من اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية.

فضلا عن ذلك، يبرز لنا المخطوط علاقتين اثنتين لا ثلاثة لهما لهؤلاء المتصوفة مع مجتمعاتهم:

علاقة إيجابية: تقوم على النصح والإرشاد والتوعية، ونصرة المظلوم، والوقوف في وجه الظالم، مهما كان هذا الظلم، سياسيا أو اقتصاديا.

بيبليـــوغرافية
البحـــث

قائمة البيبلوغرافية:

أ- **القرآن الكريم**

ب- **المصادر المخطوطة**

✓ **مخطوط مناقب أبي العباس السبتي، بدون إسم المؤلف وتاريخ النسخ، المكتبة الوطنية – الجزائر – تحت رقم: 1713.**

جـ- المصادر المطبوعة:

1- إبن الآبار، محمد بن عبد الله، أبوعبد الله – **التكملة لكتاب الصلة** – تحقيق: عبد السلام الهراس – دار الفكر – بيروت – لبنان – 1995/1425 م – ج:1.

2- إبن أبي الدنيا- **التوكل على الله**- تحقيق: سالم بن محمد بن عبد الهادي – مكتبة التراث الإسلامي – الجزائر.

3- إبن أبي زرع، على الفاسي – **الدخير السنية في تاريخ الدولة المرينية** – دار المنصور – الرباط – طبعة 1972 .

4- إبن الأثير، محمد بن عبد الكرم (ت 630 هـ) – **الكامل في التاريخ** – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – الطبعة الرابعة 1403 هـ /1983 م.

5- إبن بشكوال، خلف بن عبد الملك، أبو القاسم – كتاب الصلة – الدار المصرية للتأليف – 1966م.

6- إبن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، أبو الفرج (ت 597 هـ) – **صفة الصفوة** – دار الفكر للطباعة – بيروت – لبنان – الطبعة الثالثة 1998. ج2.

7- إبن حبان، محمد بن حبان – **المجروحين** – دار الوعي – بدون تاريخ.

8- إبن الحجر، أحمد بن علي، أبو الفضل (ت 856 هـ) **تهذيب التهذيب** – تحقيق: محمد ضميره – دار صادر – بيروت – لبنان – طبعة 1325 هـ / 1905م.

9- // **ريب التهذيب** – تحقيق: محمد عوامة – دار الرشيد – بيروت – الطبعة الرابعة 1418 هـ /1997 م.

10- // - **نزهة الألباب في الألقاب** - تحقيق: عبد العزيز السديدي- مكتبة الرشيد - الرياض - بدون تاريخ.
11- // - **لسان الميزان** - مؤسسة الأعلام للمطبوعات - بيروت - لبنان - الطبعة الثانية - 1986.
12- // - **الإصابة في تميز الصحابة** - دار صادر - بيروت - لبنان - طبعة الأولى.
13- إبن حنبل، احمد بن محمد، أبو عبد الله - **مسند أحمد بن حنبل** - بيت الأفكار الدولية - الرياض - السعودية - طبعة 1409 هـ / 1988 م.
14- إبن حيان، حيان بن خلف - **المقتبس من أبناء أهل الأندلس** - تحقيق: محمود علي مكي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - 1393 هـ/1973م.
15- إبن حيان، محمد بن حيان (ت 345 هـ) - **مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار**- تحقيق: مرزوق علي إبراهيم - دار الوفاء - 1991م.
16- إبن خردادبه عبيد الله، أبو القاسم - **المسالك والممالك** - طبعة ذي غوجي - بريل 1889م.
17- إبن الخطيب، محمد بن عبد الله، أبو عبد الله (ت 776 هـ) - **الإحاطة في أخبار غرناطة** - دار الكتب العلمية - بيروت -لبنان - الطبعة الأولى 1424 هـ/ 2003 م.مج: 1.
18- // - **نفاضة الجراب في غلالة الاغتراب** _ تحقيق: أحمد مختار الهادي - دار الكتاب العربي - القاهرة - بدون تاريخ.
19- إبن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، أبوزيد (ت 808 هـ) - **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** - دار الكتاب - بيروت - لبنان - 1983 مج: 6 و مج: 7.
20- إبن خلدون، يحي (ت 780 هـ) **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**- تحقيق: عبد الحميد حاجيات - المكتبة الوطنية الجزائر - 1980م.

21- إبن خلكان، أحمد بن محمد، أبو العباس (ت 681 هــ) – **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** – تحقيق: إحسان عباس- دار صادر – بيروت – بدون تاريخ . ج:1.
22- إبن سعد، محمد بن سعد- **طبقات الكبرى** – دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- الطبعة الثانية -1418هــ/1997م- مج: 6.
23- إبن سعيد، علي بن موسى: أبو الحسن – **كتاب الجغرافيا** – تحقيق إسماعيل العربي – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – الطبعة الثانية – 1981.
24- // – **المغرب في حلي المغرب** – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – 1417 هــ / 1997 م. ج: 2.
25- ابن صعد، محمد الأنصاري (ت 901 هــ) – **روضة النسرين في التعريف بالأئمة الأربعة المتأخرين**- تحقيق: يحي بوعزيز – منشورات ANEP- الجزائر- الطبعة الأولى- 2002م.
26- إبن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله – **فتوح إفريقيا والأندلس** – تحقيق: عبد الله أنيس الطباع – مكتبة دار الكتاب اللبناني – بيروت – لبنان- 1964م.
27- إبن عبد الملك، محمد بن محمد، أبو عبد الله، المراكشي – **الذيل والتكملة** – تحقيق: محمد ابن شريفة – دار الثقافة – بيروت – لبنان – بدون تاريخ – ج: 2.
28- إبن عذاري، المراكشي- **البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس**: تحقيق: ج س كولان وليفي بروفنسال- دار الثقافة – بيروت – لبنان – 1980 – ج: 1.
29- // – **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** – قسم الموحدين – تحقيق: محمد ابراهيم الكتاني وآخرون – دار الغرب الإسلامي – بيروت – لبنان – 1985م.
30- إبن عدي، عبد الله بن محمد، أبو محمد – **الكامل في ضعفاء الرجال** – تحقيق: مختار الغزاوي – دار الفكر – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية – 1409 هــ/ 1988م.

31- إبن فرحون، إبراهيم بن نور الدين (ت 799 هـ) **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب** – تحقيق: مأمون بن محي الدين الجنان – دار الكتب العربية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى 1966.

32- إبن الفرضي، عبد الله بن محمد، أبو الوليد – **تاريخ علماء الأندلس** – تحقيق: روحية عبد الرحمن السويقي – دار الكتب العلمية – بيروت – 1997.

33- إبن قنفد، أحمد بن الحسن، أبو العباس (ت 810 هـ) **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية** – تحقيق: محمد الشادلي النيفر وعبد المجيد التركي – الدار التونسية – تونس 1968.

34- // – **أنس الفقير وعز الحقير** – تحقيق: محمد الفاسي وأدولف فور – مطبعة الرباط 1965.

35- // – **الوفيات** – تحقيق: عادل نويهض – مؤسسة نويهض الثقافية – بيروت – لبنان.

36- إبن كثير، إسماعيل بن عمر – **البداية والنهاية** – بيت الأفكار الدولية – الرياض – السعودية – طبعة 2004. ج: 2 .

37- إبن ماجة، محمد بن يزيد، القزويني – **سنن ابن ماجة** – دار إحياء الكتب العربية – بدون تاريخ – ج: 2.

38- إبن مبارك، عبد الله، أبو عبد الله – **الزهد** – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – بدون تاريخ.

39- إبن مرزوق، محمد التلمساني – **المسند الصحيح في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن** – تحقيق: ماريا خيسوس بيفيرا – الشركة الوطنية للنشر – الجزائر – 1981.

40- إبن الملقن، عمر بن الملقن (ت 804 هـ) **طبقات الأولياء** – تحقيق: نور الدين بن شريبة – مكتبة الخانجي – القاهرة – الطبعة الثانية – 1415 هـ/ 1994م.

41- إبن النديم، محمد بن مكرم – **لسان العرب** – دار صادر – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – 1997- مج: 6.

42- إبن النديم، محمد بن إسحاق (عاش ق 5 هـ) **الفهرست**- تحقيق: مصطفى الشويمي – الدار التونسية للنشر- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر- 1415 هـ/1985م.

43- أبو داوود، سليمان بن الاشعت، السجستاني- (ت 275 هـ) **سنن أبي داوود**- دار ابن حزم – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – 1988.

44- الإدريسي، محمد بن محمد، أبو عبد الله (ت 487 هـ) **تاريخ المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** – تحقيق: محمد حاج صادق – بدون تاريخ.

45- الأصبهاني، أحمد بن عبد الله، أبو نعيم (ت 430 هـ) – **حلية الأولياء وبلغة الأصفياء** – دار الكتاب العربي – الطبعة الخامسة – 1987. ج: 3 و 7 و 8 و10.

46- الباديسي، عبد الحق بن إسماعيل (كان حيا سنة 722 هـ) **المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف** – تحقيق: سعيد أعراب – المطبعة الملكية – الرباط – الطبعة الثانية – 1993.

47- البخاري، محمد بن إسماعيل، أبو عبد الله (ت 250 هـ) **صحيح البخاري** – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – بدون تاريخ.

48- البستي، محمد بن حيان – **مشاهير علماء الأمصار وفقهاء الأقطار** – تحقيق: مرزوق على إبراهيم – دار الوفاء – الطبعة الأولى – 1411 هـ/1998م.

49- البغدادي، أحمد بن علي (ت 463 هـ) **تاريخ بغداد** – تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – 1417 هـ/1997- مج 9 و10 و11.

50- البغدادي، عبد المومن بن عبد الحق (ت 739 هـ) **مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع** – تحقيق: على محمد البجاوي – دار الجيل – بيروت – لبنان- 1412 هـ/ 1992 م – مج:3.

51- البغدادي، قدامة بن جعفر، أبو الفرج – **نبذ من كتاب البدئ والتاريخ** – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – 1417 هـ/1997 م.

52- البكري، أبي عبيد الله بن عبد العزيز (ت 487 هـ) – **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك** – مكتبة المتنبي – بغداد – بدون تاريخ.

53- البلخي، أحمد بن سهل، أبوزيد – **كتاب البدء والتاريخ** – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – 1417 هـ/1997 م. ج: 2.

54- البلخي، الحاكم الجشمي، بن عبد الجبار، أبو القاسم – **فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة** – بدون تاريخ.

55- البهيقي، أحمد بن الحسي، أبوبكر – **شعب الإيمان** – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان –1421 هـ/2000 م. مج: 4.

56- التادلي، يوسف بن يحي (ت 617 هـ) **التشوق إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي** – تحقيق: أحمد توفيق – الطبعة الثانية – 1997.

57- // – **كتاب المعزى في مناقب الشيخ ابي اليعزى** – تحقيق: على الجاوي – مطبعة المعارف الجديدة – الرباط.

58- الترمذي، محمد بن عيسى، أبو عيسى – **سنن الترمذي** – دار ابن حزم – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى 1422هـ/2002 م.

59- التنسي، محمد بن عبد الله، أبو عبد الله (ت 899 هـ) **تاريخ دولة الأدارسة من كتاب نظم الدر والعقيان** – تحقيق: عبد الحميد حاجيات – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – 1984 م.

60- // - **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان** – تحقيق: محمد بوعياد – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر –1985م.

61- الجزري، محمد بن محمد، أبو الخير (ت 833 هـ) **غاية النهاية في طبقات القراء** – الطبعة الثالثة 1406 هـ/1982 م. دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان.

62- الحاكم، محمد بن عبد الله، النيسابوري – **المستدرك على الصحيحين** – دار المعرفة – بيروت – لبنان- بدون تاريخ.

63- الحسن الوزان، الحسن ابن محمد، المشهور (بليون الإفريقي) – **وصف إفريقيا** – دار الغرب الإسلامي – الطبعة الثانية. ج:1.

64- الحموي، ياقوت بن عبد الله، أبو عبد الله – **معجم البلدان** – دار صادر – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية. 1996- مج: 1 ،2 ، 5.

65- // - **معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب** – تحقيق: إحسان عباس – دار الغرب الإسلامي – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى.

66- الحميري، محمد بن عبد المنعم- **الروض المعطار في خبر الأقطار** – تحقيق: إحسان عباس – بيروت- لبنان- الطبعة الثانية 1984.

67- الدارقطني، علي بن عمر، أبو الحسن – **سنن الدارقطني** – تحقيق: عبد الله هاشم اليميني – دار المعرفة – بيروت – لبنان – طبعة 1366 هـ/ 1966 م.

68- الداودي، أحمد بن جعفر، أبونصر (ت 402 هـ) **كتاب الأموال** – تحقيق: رضا محمد سالم شيقاده – مركز إحياء التراث المغربي – الرباط – بدون تاريخ.

69- محمد بن علي – **طبقات المفسرين** – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – بدون تاريخ.

70- الدباغ، عبد الرحمان بن محمد، أبوزيد (ت 696 هـ) **معالم الإيمان** – تحقيق: إبراهيم شبوح- مطبعة السنة المحمدية – الطبعة الثانية – 1968 .

71- الذهبي، محمد بن أحمد، أبو العباس (ت 748 هـ) **العبر في خبر من عبر** – دار الفكر – الطبعة الأولى – 1414 هـ / 1997 م- ج:1.

72- // - **سير أعلام النبلاء** – مكتبة الصفا – الطبعة الأولى 1424هـ/2000م. ج: 5، 6، 8.

73- // - **تذكرة الحفاظ** – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان- طبعة الثانية 1418هـ/ 1997م.

74- // - **الإصابة في تميز الصحابة** – دار صادر – بيروت – لبنان- .

75- // - **ميزان الاعتدال في نقد الرجال** – دار الكتب العلمية – الطبعة الأولى – 1412 هـ/1995 م.

76- // - **التلخيص** – دار المعرفة – بيروت- لبنان – بدون تاريخ.

77- // - ذيل تذكرة الحفاظ – دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان 1419هـ/1998م- ج:5.

78- الرازي، محمد بن علي – **الجرح والتعديل** – الطبعة الأولى – بدون تاريخ.

79- الزمخشري، محمود بن عمر، أبو القاسم (ت 467 هـ) **الكشاف** – دار المعارف – بيروت – لبنان – بدون تاريخ.

80- السبكي، عبد الوهاب بن علي (ت 727 هـ) **طبقات الشافعية الكبرى** – تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود الطانجي- الطبعة الأولى – 1323 هـ/ 1964م.

81- السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، (ت 902 هـ) **ضوء اللامع لأهل القرن التاسع** – مكتبة الحياة – بيروت – لبنان- بدون تاريخ- ج: 7.

82- // - **المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة** – تحقيق: محمد الخث – دار الكتاب العربي – الطبعة الأولى 1985- .

83- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911 هـ) **تاريخ الخلفاء** – تحقيق: محي الدين عبد الحميد- دار المصرية للطباعة 1422 هـ/2001 م .

84- // - **بغية الوعاة في طبقات اللغوين والنحاة** – دار الفكر – الطبعة الثانية – 1399 هـ/1979م – ج: 2.

85- // - **طبقات الحفاظ** – دار الكتب العلمية بيروت – الطبعة الأولى – 1403 هـ/ 1983م.

86- شراويه بن شهردار، الديلمي، أبو منصور – **الفردوس الكبير**- تحقيق: سعيد بسيوني زغلول – دار الكتب العلمية – الطبعة الأولى – 1986م.

87- الشيرازي، إبراهيم بن علي، أبو إسحاق (ت 476 هـ) **طبقات الفقهاء** – تحقيق: إحسان عباس – دار التراث العربي- بيروت – الطبعة الثانية – 1981م.

88- الصفدي، خليل بن أبيك- **الوافي بالوفيات** – دار النشر- طبعة 1401 هـ/ 1981م – ج: 5.

89- الطبري، سليمان بن أيوب، اللخمي – **المعجم الصغير للطبراني** – دار الكتب العلمية – بيروت لبنان – 1403 هـ/1983م .

90- العصفري، خليفة بن الخياط (ت 854 هـ) **تاريخ خليفة بن خياط** – تحقيق: سهيل زكار – دار الفكر 1414 هـ/ 1993م.

91- الفراء، محمد بن محمد، أبو الحسين(ت 526 هـ) **طبقات الحنابلة** – دار المعرفة – بيروت – لبنان – بدون تاريخ.

92- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب (ت 817 هـ) **القاموس المحيط** – مؤسسة الرسالة – الطبعة السادسة – 1419 هـ/1998 م.

93- القاضي عياض، بن موسى، ليحصبي (ت 597 هـ) **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك** – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – 1418 هـ/ 1998م- ج: 2.

94- // - **الشفا بتعريف حقوق المصطفى** - مطبعة المشهد الحسيني - القاهرة - بدون تاريخ.

95- القاضي النعمان، بن محمد، أبو حنيفة (ت 346 هـ) **كتاب افتتاح الدعوة** - تحقيق: فرحات الدشراوي - دار النشر التونسية - تونس - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - الطبعة الثانية - 1986م.

96- القشيري، عبد الكريم بن هوزان، أبو اقاسم (ت 465 هـ) **الرسالة القشرية في علم التصوف** - تحقيق: رزيف على عبد الحميد أبو الخير - دار الخير للطباعة النشر - الطبعة الثانية - 1995.

97- القلصادي، علي بن محمد، أبو الحسن (ت 891 هـ) **تمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب (رحلة القلصادي)**- تحقيق: محمد أبو الأجفان - الشركة التونسية للتوزيع - تونس 1978.

98- الكتبي، محمد بن أحمد - **فوات الوفيات** - تحقيق: علي معوض، وعادل أحمد عبد الموجود- دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى 1424هـ/2000م.

99- المالكي، عبد الله بن محمد، أبو بكر - **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم** - تحقيق: بشير بكوش - دار الغرب الإسلامي - الطبعة الثانية - 1964م.

100- المبرد، محمد بن يزيد، أبو العباس (ت 285هـ) **الكامل في الأدب واللغة** - دار الفكر - الطبعة الأولى - 1419 هـ/ 1998م- ج: 1.

101- المسعودي، الحسن بن علي (ت 346 هـ) **مروج الذهب ومعادن الجوهر**- تحقيق: قاسم الشماعي الرفاعي - دار العلم - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - 1408هـ/ 1989م. ج: 3.

102- مالك بن أنس (ت 179هـ) **الموطأ** - تحقيق: فؤاد عبد الباقي- دار الكتاب المصري- القاهرة - دار الكتاب اللبناني- بدون تاريخ .

103- مسلم، مسلم بن الحجاج (ت 261 هـ) **صحيح مسلم** - بيت الأفكار الدولية - دار الرياض- طبعة 1998 .

104- المقريزي، أحمد بن علي (ت845 هـ) **إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا** - تحقيق: جمال الدين الشيال - دار الفكر الغربي - القاهرة- 1367 هـ/ 1948م.

105- المقدسي، محمد بن محمد، أبو عبد الله - **أحسن تقاسيم في معرفة الأقاليم**- مكتبة خياط - بيروت - بدون تاريخ.

106- المكي، محمد بن علي، الحارثي (ت 386هـ) **قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد** - مطبعة مصطفى البابلي الحبيب وأولاده - مصر - الطبعة الأولى 1961.

107- المناوي، محمد بن عبد الرؤوف - **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية** - تحقيق: محمد أديب الجاوي - الطبعة الأولى- 1999م.

108- الهيثمي، نور الدين بن علي (ت 807هـ) **بغية الرائد في تحقيق مجمع الروائد ومنبع الفوائد** - دار الفكر للطباعة والنشر -1994.

109- النووي، محي الدين بن شرف، أبو زكريا - **مختصر طبقات الفقهاء** - تحقيق: عادل عبد الموجودي وعلي معوض- مؤسسة الكتب الثقافية - الطبعة الأولى 1416هـ/ 1995م.

110- // - **تهذيب الأسماء واللغات** - بدون تاريخ.

111- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، أبو يعقوب - **فتوح البلدان** - دار إحياء التراث العربي - الطبعة الأولى 1408هـ/ 1988م.

د- المراجع العربية و المستعربة

112- إبن العافية، أحمد بن محمد (ت1025هـ) **ذرة الحجال في غرة أسماء الرجال**- تحقيق: عبد القادر عطا- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- 1423هـ/ 2001م.

113- إبن عماد، عبد الحي، الحنبلي – **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** – دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان- مج: 4.

114- إبن مريم، محمد بن أحمد، أبو عبد الله – **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان** – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر 1986.

115- إبن القاضي، أحمد بن محمد، المكناسي- **جذوة الاقتباس في كل من حل مدينة فاس** – الرباط – 1993م.

116- أبو القاسم سعد الله – **تاريخ الجزائر الثقافي** – دار الغرب الإسلامي – الطبعة الأولى – 1998 – ج: 1 ، 2.

117- إسماعيل باشا، البغدادي – **هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون** – دار الكتب العلمية – بيروت –لبنان- ج: 1.

118- بروكلمان كارل- **تاريخ الأدب العربي**- دار المعارف- الطبعة الثانية – طبعة 1977- ج: 2.

119- بوداود عبيد – **ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط بين القرنيين السابع والتاسع الهجريين** – دار الغرب للنشر .

120- التبكتي، احمد بابا (ت 1036 هـ) **ميل الابتهاج بتطريز الديباج** – منشورات الدعوة الإسلامية – طرابلس – الطبعة الأولى 1989م.

121- // - **كفاية المحتاج لمن ليس بديباج** – دار ابن حزم – الطبعة الأولى – 1422 هـ/2002م.

122- جمال الدين بوقلي، حسن- **الإمام السنوسي وعلم التوحيد** – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – بدون تاريخ.

123- حاجيات عبد الحميد – أبو موسى الزناتي: **حياته وآثاره** – الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الطبعة الثانية 1982م.

124- الحسيني، أبو بكر بن هداية الله (ت 1014 هـ) – **طبقات الشافعية** – تحقيق: عادل نويهض – دار الآفاق الجديدة – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – بدون تاريخ.

125- الحفناوي، محمد بن إبراهيم، الَدسي (ت 1036هـ) **تعريف الخلف برجال السلف** – مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الثانية .

126- الزركلي، خير الدين – **الأعلام لتراجم أشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين** – دار العلم للملايين – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية – 1409هـ/ 1998م.ج: 1.

127- الشوكاني: محمد بن علي (ت 1173هـ) **الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة** – تحقيق: عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – بدون تاريخ.

128- عادل نويهض- **معجم المفسرين** – مؤسسة نويهض الثقافية – الطبعة الثالثة – 1409هـ/1988م.

129- // – **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر** – مؤسسة نويهض الثقافية – بيروت – لبنان – الطبعة الثالثة – 1403هـ/1983م.

130- عبد الحي، بن عبد الكبير، الكتاني – **فهرس الفهارس والأنساب ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات** – دار الغرب الإسلامي – الطبعة الثانية – 1402هـ/1902م.ج: 02.

131- عبد الرحمن الجيلالي- **تاريخ الجزائر العام** - دار الغرب الإسلامي - الجزائر - طبعة الأولى - 1998م.ج: 2

132- عبد الرحمان عثمان- **ابن الجوزي وكتابه الموضوعات** - تحقيق: عبد الرحمان عثمان - المكتبة السلفة - المدينة المنورة - 1396 هـ / 1986 م.

133- عبد الله شريط ومحمد الميلي - **الجزائر في مرآة التاريخ**- مكتبة البعث- قسنطينة- الطبعة الأولى - 1985.

134- العجلوني، إسماعيل بن محمد، الجراحي- **كشف الخفا ومزيل الالتباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس** - مؤسسة الرسالة 1405هـ/1985م - الطبعة الرابعة- ج: 2.

135- علي حجي - **التاريخ الأندلسي** - دار العلم - دمشق - الطبعة الخامسة - 1418هـ/1997م.

136- عمر رضا الحجالة - **معجم المؤلفين وتراجم الكتب العربية** - مؤسسة الرسالة - بيروت- الطبعة الأولى - 1414هـ/ 1993م.

137- محمد رمضان شاوش - **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان** - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - طبعة 1995م.

138- محمد الطمار- **الروابط الثقافية في الجزائر والخارج** - الشركة الوطنية للنشر - طبعة 1983م.

139- محمد ناصر الدين الألباني- **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها** - المكتب الإسلامي - بيروت - لبنان - الطبعة الرابعة 1405هـ/1985م.مج: 2.

140- // - **الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها** - مكتبة المعارف - الرياض - 1415هـ/1995م.مج: 6.

141- // - سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السيئ على الأمة - المكتب الإسلامي - الطبعة الخامسة - 1405هـ/1985م.

//

142- **ضعيف الجامع الصغير وزيادته** - دار ابن حزم - بيروت - لبنان- الطبعة الثانية- 1408هـ/1948م.

143- مخلوف، محمد ابن مخلوف - **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية** - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - 1424هـ/2003م.ج: 1.

144- مصطفى الشكعة - **الإمام أحمد بن حنبل** - دار الكتاب اللبناني - بيروت - لبنان- الطبعة الأولى - 1404هـ/1984م.

145- المقري، أحمد بن محمد، التلمساني - **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب** - تحقيق: إحسان عباس - الطبعة الأولى 1415هـ/1995م.ج: 7 ، 9.

146- الناصري، أحمد بن خالد، أبو العباس - **الإستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى**- تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري - الدار البيضاء- 1954.ج: 3 ، 4

147- النبهاني، يوسف ابن إسماعيل- **جامع كرامات الأولياء**- المكتبة العتيقة - بيروت- لبنان- طبعة 1412هـ/1991م.ج: 1 .

148- هاملنتون جب - **دراسات في الحضارة الإسلامية** - دار العلم للملايين - بيروت- مؤسسة فرانلكين للطباعة والنشر - طبعة 1964م.

المراجع باللغة الأجنبية

149- bargé, JLL complément de l'histoire de beni zeyan rois de telemcen – Ernest – leraux. Paris.

150- JJL , Bargés – telemcen ancienne capital du royoine de ce nom d' ouvriers d'un voyage.

151- H. Argibb, j kramers, et l provençal Jschactt encyclopédie de l'islam – éditions G.P maisonnaivre larose. S-A – paris – 1991 – tome 1.

152- Henri corvin, histoire de l'Afrique des origines a nos jours payot, depont copolani, même ouvrage cité.

153- C. handré julien – histoire de l'Afrique du nord – payot. Paris. 1935.

154- William marçais et Georges marcais – les monument arabes de telemcen – ancienne libraire. Thorin . paris.

المقالات باللغة العربية

155- حاجيات عبد الحميد- الحياة الفكرية في عهد بني زيان- الأصالة - - السنة 1975م- العدد 26 .

156- محمد الطالبي - الهجرة الأندلسية على إفريقيا أيام الحفصيين- الأصالة - السنة 1975م- العدد 26.

157- المهمدي البوعبدلي، الأحداث الفكرية بتلمسان عبر التاريخ - الأصالة - السنة 1976م- العدد 26.

المقالات باللغة الأجنبية

158- Abdelhamid Hadjiat- rôle du sufisme dans l'évolution du peuple du maghréb act du 2eme congrée international d'études des cultures de méditerrané occidentale.

الفـــــــهارس الفنيـــــــة

فهرس الآيات

فهـــــرس الأحـــاديث

الأثر

فهرس الأبيات الشعرية

فهرس الكُتب الواردة بالمتن

الألف

الباء

التاء

الحاء

الراء

الزاي

الشين

السين

الصاد

الكاف

القاف

الميم

فهرس الأعـــــــلام

الألف

الباء

التاء

الجيم

الحاء

الخاء

الدال

الذال

الراء

الزاي

السين

الشين

الصاد

العين

الفاء

النون

الواو

الياء

فهرس الأماكن

الألف

الباء

التاء

الجيم

الحاء

الخاء

الدال

الفاء

القاف

الميم

الواو

فهرس القبائل

الفهارس العامة

المواضيع **الصفحة**